حكايات الجن الدنماركية

هانز كريستيان أندرسن

ترجمة وتقديم
د. توفيق على منصور

لوجو
الهيئة المربع

سلسلة
آفاق عالمية

تصدرها
الهيئة العامة لقصور الثقافة

• حكايات الجن الدنماركية
• ترجمة و تقديم:
د. توفيق على منصور
• الطبعة الأولى:
الهيئة العامة لقصور الثقافة
القاهرة - 2010م
216ص. 5ر13 × 5ر19 سم
• تصميم الغلاف: أحمد اللباد
• المراجعة اللغوية: سوزان عبدالعال
• رقم الإيداع: ٧٥٩٤/ ٢٠١٠
• الترقيم الدولى: 1-021-704-977-978
• المراسلات :
باسم / مدير التحرير
على العنوان التالى : 16 أ شارع أمين سامى - قصر العينى
القاهرة - رقم بريدى 11561
ت : 27947891 (داخلى : 180)

• الطباعة والتنفيذ :
شركة الأمل للطباعة والنشر
ت : 23904096

88

سلسلة شهرية تعنى بنشر الأعمال المترجمة إلى اللغة العربية فى الأدب والنقد والفكر من مختلف اللغات

حكايات الجن الدنماركية

مقدمة المترجم

ما إن أصدرت سلسلة آفاق عالمية عن الهيئة العامة لقصور الثقافة عددها رقم ٣٧ «حكايات الجن الألمانية» التى جمعها وصنفها الأخوان جريم وترجمها كاتب هذه المقدمة حتى نفدت من الأسواق.

فقد تلقتها جماهير القراء على اختلاف أعمارهم وثقافتهم وتوجهاتهم بنهم شديد فى عام ٢٠٠٤، وطلب الكثيرون إعادة إصدارها فى طبعة ثانية.

فلعل حكايات الجن الدنماركية هذه تلاقى من الإقبال ما لاقت سابقتها «حكايات الجن الألمانية».

وهناك فرق بين هذه الحكايات الدنماركية وتلك الحكايات الألمانية. ذلك أن الحكايات الألمانية جمعها الأخوان جريم من قرى ألمانيا وصنفاها دون أن يدخلا عليها شيئا من الإبداع، فكانت معبرة عن الأدب الشعبى المنتشر فى ربوع ألمانيا خير تعبير. أما حكايات الجن

الدنماركية فقد جمع بعضها هانز كريستان أنديرسين وأدخل فيها الأساطير الشعبية للأبطال، وعبر عنها بأسلوبه تعبيرا شخصيا تبدو فيه عناصر من سيرته الذاتية « دائرة المعارف البريطانية الجديدة

(THE NEW elopaedia Eritannica Vol.4. 1998.660)

وهانزكريستيان آنديرسين (١٨٠٥– ١٨٧٥) أشهر مؤلفى الدنمارك على الإطلاق. وقصص الجن التى ألفها تزيد على ١٥٠ قصة، وتعتبر من أشهر الأعمال الواسعة الانتشار فى العالم، تبث الحكمة ببساطة شديدة، ويقرؤها الصغار والكبار، وهى ذات تأويلات ومعانٍ صادقة، ولكل حكاية أسلوب يميزها عن غيرها. وتشتمل على أشكال من قصص الحيوانات وقصص البطولات وقصص السحر وغيرها.

وتدخل فى تصنيف الأدب الشعبى وأدب الأطفال.

«دائرة معارف الكتاب العالمية»

(world book eney clopedia , vol.1, pp.338-10)

ولد هانز فى أودنيسا بالدنمارك فى ٢ أبريل ١٨٠٥ لأب فقير يعمل صانع أحذية، مات وولده فى الحادية عشرة من العمر. وكان أبوه متعلما، بينما كانت أمه غير متعلمة وتؤمن بالخرافات. وكان هانز رقيق الإحساس، واسع الخيال، ذا طموح إلى الشهرة. وقد تلقى تعليما فى المدارس بقدر محدود.

رحل الطفل ذو الأربعة عشر ربيعا إلى كوبنهاجن يداعبه أمل فى أن يحترف الغناء أو الرقص أو التمثيل.

ولكن بعد كثير من الإحباط والمعاناة نجح فى الالتحاق بالمسرح الملكى فى كوبنهاجن، وسرعان ما غادره.

وفى عام ١٨٢٢ ساعده جوناس كولين أحد مديرى المسرح، والموظف الحكومى المرموق على إلحاقه بمنحة دراسية فى المدرسة الثانوية فى سلاجيلس، وأقام فى منزل مدير المدرسة الخبيث، فعانى كثيرا فى صمت. وفى ١٨٢٧ أخرجه كولين من المدرسة وهيأ له تعليما خاصا، إلى أن أتيحت له الفرصة للالتحاق بجامعة كونبهاجن حتى أكمل تعليمه.

نشر أنديرسين أول قصيدة له بعنوان:

«طفل يصارع الموت» عام ١٨٢٢ فى جريدة كونبرباجن. وفى أعقابها نشر عدة قصائد ومسرحيات وروايات.

وفى ١٨٣١ زار ألمانيا، فألهمته كثيرا فى أدب الرحلات فى السويد وإسبانيا وإيطاليا والبرتغال والشرق الأوسط. وذا ع صيته بعد نشر «حكايات الجن fairy tales» التى كتبها بين عامى ١٨٣٥ و١٨٧٢.

ومات دون أن يتزوج، رغم أنه أحب ثلاث فتيات لم يبادلنه الحب.

وفى حكايات الجن عادة يترك البطل أو البطلة منزله ليحقق هدفا ما، وبعد عدة مغامرات يربح جائزة أو يتزوج أميرة فى أغلب الأحيان. وفى معظم الحكايات يلعب أحد الحيوانات دورا مماثلا للإنسان ويعتبر لغزا.

وفى هذه المجموعة تتحدث الحكاية الأولى «فرح البط الدميم» عن

فرخ بط دميم عانى من معاملة أقرانه ولم يجد المتعة والسعادة إلا فى رحاب البجعات الجميلات.

وفى حكاية «عروس البحر الصغيرة» تعيش عروس البحر الصغيرة فى قصر أبيها مع أخوانها تحت الماء، وتقع فى غرام أمير من البشر وتتمنى أن تتحول إلى إنسانة كى تتزوجه، ولكنه يتزوج أخرى.

وتحاول الساحرات إقناعها بقتله ولكنها ترفض ذلك وتطمئن إلى حياة البحر بعدئذ.

وفى حكاية «ملكة الجليد» يتحول بنا القاص بين بلاد اسكندافيا الجليدية من فنلندا حتى القطب الشمالى ويدور بنا فى رحلات فيها الساحرات وفيها الأبرار فى تشويق مستمر وحبكات درامية ذكية.

وفى «توماليزا» تمر الفتاة القزمة التى لا يتجاوز طولها بوصة بعالم الطيور والفئران فيخطب كل منهم ودها، حتى يراها عصفور أنقذته من الموت حملها على ظهره إلى البلاد الدافئة التى تهاجر إليها الطيور فى الشتاء حيث تزوجت أمير الحوريات وغنت لها العصافير وقدمت لها الهدايا.

وتحكى «القداحة» عن جندى وساحرة، إذ هبط الجندى من تاج إحدى الأشجار خلال جذعها إلى قصر منيف أسفلها، فوجد قداحة تلبى رغباته حتى صار ثريا وبدد ثروته وحكم عليه بالإعدام ولكن القداحة أنقذته من ورطته.

وفى «البجعات البرية» تلعب زوجة الأب الشديدة دورا فى السحر

والشعوذة، فتحيل أبناءه إلى بجعات أثناء النهار ثم يصيرون أمراء فى الليل. وتشرد الأمراء وشقيقتهم الأميرة، حتى إذا اجتمع شملهم تم فك السحر، فعادوا إلى طبيعتهم البشرية. وتزوجت الأميرة من أحد الملوك بعد مؤامرة خبيثة من رئيس الأساقفة فى القصر، والتف إخوتها من حولها.

وتحكى قصة «الحذاء الأحمر» عن فتاة فقيرة كانت تعمل خادمة عند أحد النبلاء، فأعطاها رغيفا وأمرها أن تزور والديها فى بلدتهما. ولبست الفتاة حذاءً أحمر جميلا، ولكن الأرض الموحلة جعلتها تضع الرغيف فى الوحل كى تطأه للمحافظة على جمال حذائها. وفى نظير ذلك لقنتها الحياة دروسا قاسية على إهانة نعمة الله التى أنعمها على الإنسان.

أما فى «قبقاب القدر» فنرى عدة أحداث ومواقف حرجة، إذ يلبى القبقاب أول رغبة يتمناها من يلبسه. فيلبسه المستشار ويتمنى أن يعود به إلى القرن الخامس عشر عصر الملك هانز الذهبى، ثم يلبسه الحارس الذى يتمنى أن يكون ضابطا، ويخيب ظنه فى هذه الأمنية. ويلبسه أمين الشرطة الذى يتمنى أن يكون شاعرا، فيصبح شاعرا. ويلبسه طالب فى القداسة الإلهية ويتمنى أن يزور إيطاليا فيزورها، وكأنهم جميعا يحلمون.

وكل هذه المواقف والأحداث يتناولها القاص بأسلوب جذل وينتقل من موقف إلى آخر بسهولة ويسر. فمن يبدأ فى قراءة القصة لا يلبث أن يتمها وهو فى غاية السعادة والمتعة والتشويق فهيا إلى الحكايات!

فرخ البط الدميم

كان الصيف مبهجا فى الريف، إذ وقف القمح مذهبا والشوفان أخضر وتكدست أكوام التبن فى الوادى الأخضر، وحلَّق اللقلاق (أبو قردان) بأرجله الطويلة ولغته المصرية التى تعلمها من أمه. وتحف بالحقول والوديان غابات كثيفة فى وسطها بحيرات عميقة.

حقا، كان الصيف مبهجا فى الريف.

ويقوم بثبات قصر مالك الضيعة تحت أشعة الشمس الساطعة ويدور حوله خندق عميق، وتنمو حول الجدران نباتات متسلقة تتدلى على الماء، ويستطيع الأطفال الصغار أن يقفوا تحت أكبرها نموا. وكانت كثيفة كالغابة جلست بها بطة فى عشها، على وشك أن تفرخ فراخا صغارا رغم أنها مكتفية بعدد كبير منها ونادرا ما يزورها أحد. والبط الآخر متيمٌ بالسباحة فى الخندق المائى أكثر من إعجابه بالوقوف تحت أوراق النبات المتسلق للتسلى بالحديث.

تحت أوراق النبات المتسلق للتسلى بالحديث.

وأخيرا، بدأت بيضة تتشقق بعد الأخرى.

تقول فراخ البط الصغيرة: «صو! صو!» فكل من صفار البيض خرج إلى الحياة وأطل برأسه وإذا قالت البطة الأم: كاك! كاك! رددت الصوت الفراخ بأعلى صوت ونظرت حولها فى جميع الاتجاهات تحت أوراق الأشجار الخضراء ودعتها الأم للنظر حولها كما تشاء، فاللوق الأخضر مفيد للنظر.

وصاح الصغار جميعا: «ياللعجب! ما أوسع الدنيا! «فقد اتسعت الرقعة حولها بعد أن كانت قاصرة على داخل البيضة.

وقالت الأم: «أتظنون أن هذا هو كل العالم؟ فالعالم ممتد على طول المدى حتى الجانب الآخر من الحديقة وحتى قصر مالك الضيعة فى الوادى، الذى لم أزره من قبل. حسنا، عليكم أن تبقوا هنا جميعا! فمازالت أكبر بيضة موجودة هناك.

وسوف يطول بها الأمد لفقسها ولكن لن أصحبكم جميعا إلى هناك! والآن سوف أتكبد مشقة كبيرة ثم استقرت ثانية.

وسألتها بطة كبيرة أتت لزيارتها: «كيف تسير الأمور؟

فأجابت البطة الراقدة على البيض ليفقس: بيضة واحدة تستغرق وقتا طويلا ولا تريد أن تفقس! وعليك أنت رعاية الآخرين، فلم أرقط أجمل منهم، فكل منهم يشبه أباه القاسى، الذى لم يأت حتى لزيارتنا.

فقالت البطة الكبيرة: «دعينى أرى البيضة التى لا تريد أن تفقس!

فهل أنت واثقة فى أنها ليست بيضة ديك رومى! لقد وقعت فى هذا السفه مرة، ويا لأسفى ومتاعبى من هؤلاء الفراخ الصغار، لأنى أستطيع أن أقول إنهم يخشون الماء! ولا أستطيع أن أدفعهم إليه! فقد صحت وطقطقت دون جدوى! دعينى ألقى نظرة على هذه البيضة! نعم، إنها بيضة فرخ رومى بالتأكيد. دعك منها الآن وعلمى فراخك الصغار كيف تعوم.

فقالت البطة: «آه، مازلت أريد أن أنتظر مدة أطول! فقد مكثت راقدة عليها فترة طويلة وأريد أن أبقى فوقها قليلا!.

فقالت البطة الكبيرة قبل أن تنصرف: «على رسلك» وأخيرا فقست البيضة الكبيرة، وقال الفرخ وهو يتعثر فى مشيه «صو! صو!» وكان فرخا كبيرا ودميماً، ونظرت إليه البطة وقالت: يا له من فرخ كبير مزعج! فلا أحد من الآخرين يشبهه! فهل يكون فرخا روميا؟ وسرعان ما نتبين حقيقته، فسوف يعوم فى الماء إذا دفعته أنا بنفسى إليه! وفى اليوم التالى جاء الجو صحوا، فأشرقت الشمس على الأوراق الخضراء، وتوجهت البطة الأم إلى الخندق المائى ومعها كل أسرتها.

فقفزت إلى الماء: طش! ثم صاحت: «كاك! كاك!» وقفزت الفراخ كل وراء الآخر، وطغى الماء على رؤوسهم جميعا، ولكنهم سرعان ما طفوا وعاموا على ما يرام: وحركتهم أرجلهم، وهم جميعا فى الماء، وحتى الفرخ الرمادى الدميم عام هو الآخر.

فقالت الأم :«ليس هذا روميا، انظر كيف يستخدم رجليه فى

العوم بدهاء، وكيف يحافظ على توازنه. وهذا هو فرخى، والحقيقة أنه رشيق جدا عندما ينظر المرء إليه، كاك! كاك! سوف أطوف بك العالم وأقدمك إلى فناء البط، وعليك أن تظل ملاصقا لى حتى لا تطؤك أقدام أحد المارة. واحترس من القطة!.

وهنا وصلا إلى فناء البط، وكان فيه اضطراب مفزع، لأن عائلتين كانتا تتقاتلان على رأس ثعبان سمك، ولكن القطةالتهمته بطبيعة الحال.

وقالت البطة الأم وهى تتلمظ بمنقارها اشتهاء لرأس الثعبان السمكى: «انظر، ذلك هو أسلوب العيش فى الدنيا، استخدم رجليك! فلتتخذ خطوات رشيقة ولتحن رقبتك أمام هذه البطة الكبيرة، فهى أرقى طبقة فى هذا المجال، لأنها تجرى فى عروقها الدماء الإسبانية.

وهذا هو الذى جعلها سمينة هكذا. وانظر إليها ترى شريطا أحمر ملتفا حول رجلها، وهو أمر خاص يدل على أسمى درجات الشرف يمكن أن يصبو إليها البط. ويعنى هذا أنها محصنة مصونة لا يؤذيها أحد وأنها معروفة ومتميزة بين الحيوان والإنسان فلتسارع! سر على أطراف أصابعك! فالبطة التى أُحسنت تربيتها تخطو بخطى واسعة ورجلاها متباعدتان كما يسير أبوها وأمها! انطلق الآن، واحن رقبتك وقل: «كواك»! وبعد أن فعلا هذا نظر إليهما كل البط من حولهما وصاحوا بصوت عال: «انظر! لقد أضيفت إلينا دفعة فقس أخرى، وكانت فينا الكفاية! ياللعار كيف يبدو هذا الفرخ! لا نريد التآلف معه» وعلى حين غرة طارت بطة وضربت الفرخ الدميم على عنقه.

وصاحت الأم: دعوه وشأنه، فهو لا يؤذى أحدا!

وقال الفرخ الذى ضربه: «إنه ضخم وغريب! ولهذا يجب استبعاده».

فقالت البطة الكبيرة ذات الشريط الأحمر حول رجلها:

«فراخ الأم جميعا رشيقة ما عدا هذا، فلا يبدو سويا أود لو تعيد الأم تشكيله»

وقالت البطة الأم: » هذا لا يمكن أن يحدث يا صاحبة العزة.

نعم، إنه ليس رشيقا، ولكن له قدرات فائقة النزعة، فهو يسبح مثل الآخرين وأستطيع أن أقول إنه أفضل منهم فى السباحة. وأعتقد أنه سوف يتحسن فى وقت قصير، فقد بقى فى البيضة فترة طويلة ولهذا لم يتخذ شكلا سويا»

ثم نفشت ريشه ثم سوته وقالت: إلى جانب هذا، فهو ذكر البط، ولهذا فالأمر ليس فى غاية الأهمية، وأعتقد أنه سيشب أقوى وأفضل.

وقالت البطة الكبيرة: ما أجمل الفراخ الأخرى وأرجو أن تشعروا بأنكم فى منزلكم، وإذا وجدتم رأس ثعبان سمك فأحضروه إلىَّ».

وهكذا شعر الجميع بالألفة.

ولكن الفرخ المسكين الذى خرج من البيضة أخيرا يبدو دميما، عضه الآخرون ودفعوه بعنف وسخرية ونبذه كل من البط والدجاج. وقالوا: إنه ضخم جدا وهذا الديك الرومى الذى ولد بمخالب خلفية ويظن أنه إمبراطور، يسير منتفخ الأوداج كأنه سفينة بسطت

أشرعتها فى الهواء، ذهب إليه الجميع وطاروا يكركرون حتى أحمر وجهه تماما. ولم يعرف هذا الفرخ المسكين أيظل مقيما معهم أم يهجرهم.

كان بائسا لأنه قبيح، وكان أضحوكة لكل ما فى فناء البط من دواجن.

وهكذا مر اليوم الأول فتحول الأمر إلى الأسوأ، إذ طاردت الفراخ الفرخ المسكين، وصار كل من إخوته وأخواته يكرهونه حتى قالوا: ليت القطة تلتهم هذا البائس الدميم!،

وقالت أمه: «ليتك تغرب عن وجهى!» وضربه البط ونقره الدجاج، وركلته الفتاة التى تطعمهم بأرجلها.

وحينئذ جرى وطار ووقف على السور، فخافت الطيور الصغيرة منه. وقال الفرخ الدميم: «حدث كل هذا لأننى دميم!»

ثم أغمض عينيه وراح يجرى حتى وصل إلى المستنقع الكبير حيث يعيش البط البرى. وكان منهكا وغاضبا حيث رقد طوال الليل.

وفى الصباح طارت الطيور البرية ونظرت إلى صديقهم الجديد وقالت له:«من أى نوع من البط أنت؟» فاستدار من جانب إلى آخر وحياهم أفضل تحية.

وقال البط الوحشى:« ما أقبحك! ولكن لا يضرنا ذلك مادمت لا تتزوج من فصيلتنا!»

يا لهذا المسكين! لم يكن يفكر فى الزواج، فكل ما يسعى إليه هو أن يسمح له بالبقاء فى المستنقع وأن يشرب جرعة ماء منه.

وهناك رقد يومين كاملين حين وردت إليه إوزتين وحشيتين وكانا من ذكور الأوز اللذين لا يضعان بيضا وكانا متغطرسين.

فقالا له: «أيها الرفيق، أنظر! رغم أنك دميم فإنك تروق لنا. وهل تريد أن تكون من الطيور العابرة؟ ففى مستنقع مجاور لنا تعيش إوزات برية رقيقة وجميلة كلها أعزبات لم يتزوجن يقلن كواك! كواك وأنت فى وضع تصير فيه سعيدا فى مستقبلك رغم قبحك!

ودوّت طلقتان: «طاخ !طاخ!» فوق الأوزتين البريتين فسقطتا فى المستنقع وتلطخ الماء بلون الدم الأحمر «طاخ !طاخ» دوَّت ثانية طلقات بنادق الصيادين فطارت أسراب من الأوز الوحشى من الشجيرات فى المستنقع ، حيث كان الصيد عظيما للصيادين الراقدين فى المستنقع، وكان بعضهم مختفيا فى أغصان الأشجار التى تتدلى على الماء.

وارتفع الدخان الأزرق من فوهات البنادق وتسلل بين الأشجار الداكنة وحلَّق فوق الماء. وفى الوحل أقبلت كلاب الصيد. وانتشر البوص والشجيرات فى كل جانب. فارتعدت فرائص الفرخ المسكين، الذى أدار رأسه ليضعها تحت جناحه، وفى نفس اللحظة وجد نفسه وجها لوجه أمام كلب كبير مفزع! تدلى لسانه من فمه ولمعت عيناه بالفزع، وفتح فكيه واتجه نحو الفرخ وكشر عن أنيابه الحادة ثم انطلق إلى الماء دون أن يصيبه بأذى.

فشهق الفرخ قائلا: آه، بحق السماء! إننى لدميم إلى الدرجة التى أحجم فيها الكلب عن أن يعضنى!»

ورقد ساكنا فى موقعه بينما سمع أصوات طلقات متتاليات تدوى فى الشجيرات والمستنقع.

وفى ساعة متأخرة من النهار هدأت المنطقة، ولكن فرخ البط المسكين لم يستطع النهوض. وانتظر عدة ساعات قبل أن ينظر حوله، ثم سارع فى الخروج من المستنقع.

هرول فوق الحقول والوديان، حتى هبت ريح عاصفة تعذر معها السير.

وباقتراب المساء أتى إلى منزل صغير متواضع أيل للسقوط ولا يعرف أحد إلى أى جانب يسقط فظل صامدا.

وهبت ريح صرصر عاتية حول الفرخ فاضطر إلى الجلوس على ذيله خشية أن تجرفه الريح. ولاحظ الفرخ أن باب المنزل مووب من إحدى مفصلاته فانزلق داخلا من هذا الشق.

وفى البيت تعيش امرأة عجوز مع قطتها ودجاجتها. وتدعى قطتها سَنىٍّ وتستطيع أن تقوس ظهرها وتخرخر فى نشوة وسعادة، ولكنها تقذف من عينيها الشرر إذا أساء إليها أحد. أما الدجاجة فكانت ذات رجلين دقيقتين ولهذا سميت كيكى ذات الرجلين القصيرتين. وكانت تضع بيضا كثيرا، وكانت المرأة العجوز تحبها كثيرا كأنها ابنتها.

وفى الصباح رأت القطة الفرخ الدميم فخرخرت ورأته الدجاجة فقرقرت، ورأته المرأة العجوز فقالت «ما هذا؟! ياللعجب إنه لصيد ثمين! والآن سوف نحصل على بيض البط إذا لم يكن هذا ذكرا

فلنحاول! وظل الفرخ الدميم مقبولا فى المنزل تحت الاختبار لمدة ثلاثة أسابيع دون أن يضع بيضا وكانت القطة ربة البيت والدجاجة خادمتها. وكانت القطة والدجاجة يظنان أنهما نصف العالم والنصف الآخر هو هذا المخلوق فيقولان: «نحن والعالم!» وظن الفرخ أنه لابد أن يكون هناك رأى آخر، ولكن الدجاجة لا تصدق هذا.

فسألته الدجاجة: هل تبيض ؟! فأجاب الفرخ الدميم: «لا!»

فقالت الدجاجة: إذا، لا تتفوه بأية كلمة!»

وقالت القطة: «هل تستطيع أن تقوس ظهرك، وأن تخرخر وأن تقذف من عينيك الشرر؟!

فأجاب الفرخ الدميم: لا!.

فقالت القطة: «حسنا، عليك أن تحتفظ برأيك لنفسك ولا تنطق عندما يتحدث العقلاء!

فجلس فرخ البط فى ركن من الأركان فى حالة معنوية متدنية. وبدأ يفكر فى الهواء الطلق والشمس الساطعة.

ونمت فى نفسه الرغبة فى الطفو فوق الماء. ولم يستطع كتمان أمره، بل يفشى سره إلى الدجاجة.

فسألته الدجاجة: ماذا تعانى! لست مشغولا بشىء وهذا هو السبب فى ظهورك بهذا المظهر! ضع البيض مثل الدجاجة أو خرخر مثل القطة ينتهى كل شىء.

فقال فرخ البط: ولكنى أحب أن أعوم فوق الماء، وأن أدعه يغمر رأسى وأن أغطس إلى القاع.

وقالت الدجاجة: نعم، أستطيع أن أرحب بماتقول ! لقد أصابك الجنون. سل القطة، وهى أعقل من عرفت، إذا كانت تريد العوم فوق الماء أوالغوص فيه. ولا داعى لأن تذكرنى!

سل سيدتنا، ربة البيت العجوز، فليس أعقل منها فى العالم.

أتظن أنها تريد أن تسبح وتغمر رأسها فى الماء؟!

وقال فرخ البط:« أنت لم تفهمينى!»

وقالت الدجاجة:« حسنا، إذا لم نفهمك نحن، فمن ذا الذى يفهمك ؟! الحقيقة أنك لن تكون أعقل من القطة ولا من المرأة العجوز، ناهيك عنى أنا. لا تتظاهر بالذكاء يا ولدى! واشكر خالقك على كل طيب أصابك ألم تدخل بيتا دافئا وتنعم بحضور حلقة علم تتعلم منها شيئا؟ ولكنك أبله، وليس فى صحبتك أية متعة! صدقنى عندما أقول لك قولا جافا ولكنه صادق فإن هذا لصالحك، فبهذه الطريقة تعرف الصديق الصدوق. فلتبدأ الآن بوضع البيض وتعلُّم الخرخرة وإطلاق شرارات من عيونك.

فقال الفرخ:« أظن أننى ذاهب إلى العالم الفسيح!»

وقالت الدجاجة: «نعم، عليك أن تفعل ذلك!»

ولهذا خرج فرخ البط وعام فوق الماء وغطس إلى القاع ولكن جميع الحيوانات تجنبته لقبحه.

وأقبل الخريف، فتلونت أوراق الغابة باللونين الذهبى والبنى. وأمسكت بها الريح فراحت ترقص. وبدت السماء باردة، وتلبدت بالغيوم الثقيلة المحملة بالبرد والثلج. ووقف غراب فوق السور وصرخ

«قاق، قاق» وقد ظن أنه فى سبيله إلى التجمد، بينما كان فرخ البط المسكين فى حالة سيئة.

وذات مساء غربت الشمس بكل بهائها وخرج من الشجيرات سرب كبير من الطيور الجميلة، لم ير الفرخ مثلها فى الجمال. كانت ناصعة البياض ذات رقاب مطاطة إذ كانت بجعات بسطت أجنحتها العريضة الرائعة فى الهواء عند سماعها صيحة عجيبة، وطارت من السهول الباردة إلى بلاد أكثر دفئا محلقة فوق البحار. وحلقت عاليا عاليا، حتى تولد عند فرخ البط الصغير شعور غريب. فدار حول نفسه دورات فى الماء كالعجلة وقد مط رقبته عاليًا فى الهواء ومن ورائهم أطلق صرخة عجيبة أفزعت الجميع حتى نفسه. آه، إنه لم ينس هذه الطيور الجميلة السعيدة، ولمّا غابت عن بصره غاص إلى القاع، وعندما عاد إلى السطح تبين له أنه وقف وحيدا. ولم يعرف مسمى هذه الطيور ولا إلى أين تطير، ولكنه كان متيما بها بقدر غيرمسبوق. ولم يكن يحسدهم، وكل ما كان يتمناه لنفسه تمناه لهم ويسره كثيرا أن يسمح له البط بالبقاء بينهم وهو الطائر الدميم المسكين.

وجاء البرد قارسا، فكان على فرخ البط أن يظل عائما حتى لا يتجمد، ولكن كلما جاءت ليلة ضاق الثقب الذى يعوم فيه رويدا رويدا. ولما تجمد الثقب من أعلى، ظل الفرخ يحرك رجليه فى الثقب حتى لا يقفل، ولكن الثقب قفل أخيرا ورقد الفراخ ساكنا وتجمد فى الجليد.

وفى الصباح الباكر أتى أحد الفلاحين، فرأى الفرخ متجمدا ففتح ثقبا فى الجليد بحذائه الخشبى وأخرج الفرخ وحمله إلى زوجته فى المنزل. وهكذا عاد إلى الحياة.

وأراد الأطفال أن يلعبوا معه فظن الفرخ أنهم يريدون أن يؤذوه، ومن شدة فزعه طار فوق وعاء اللبن فانسكب وأغرق الغرفة، فصرخت المرأة ولوحت بذراعيها، ثم طار فوق قدر الزبد وهبط فوق برميل الدقيق وخرج منه. ياللهول! كيف يكون منظره الآن؟! فصرخت المرأة وضربته بماسك الفحم وتلاطم الأطفال مع بعضهم البعض وهم يحاولون الإمساك به ولكنهم ضحكوا وصاحوا. ومن حسن الحظ أن يكون الباب مفتوحا، فهرب فرخ البط ودخل بين الشجيرات حيث كانت السماء تمطر جليدا من جديد، ورقد هناك مندهشا.

وكان من الأسى أن نُبلغ عن بؤسه ومعاناته خلال الشتاء القارس. وظل راقدا بين الشجيرات فى المستنقعات حتى بدأت الشمس تسطع بالدفء من جديد، وغنت القنابر للربيع الجميل.

وعلى حين غرة رفع الفرخ جناحيه، وضربهما بشدة لم يسبق لها مثيل حتى حملاه إلى مكان قصّى. وقبل أن يعرف اسم المكان وجد نفسه فى حديقة كبيرة ازدهرت فيها أشجار التفاح، وعبقت فيها رائحة السوسن الذى تدلى من الأغصان الخضراء الطويلة حتى بلغت منحنى القناة.

آه، ما أجمل هذا الموقع فى الربيع المزهر. ومن الغوطة جاءت ثلاث بجعات جميلات، نفشت ريشها وعامت بخفة فوق الماء. وعندما

ميز فرح البط هذه الطيور الرائعة انتابته نوبة من الكآبة عجيبة.

وقال لنفسه: «سأطير نحو هذه الطيور الملكية، وسوف تنفرنى حتى الموت لأننى دميم، ولكنى سأقترب منها، ولا يهمنى الأمر، فالأفضل عندى أن أموت بعضاتهم من أن أموت بعضات البط أوالدجاج، أو تلتقطنى الفتاة التى ترعى فناء الطيور، أو أعانى من متاعب الشتاء! وطار حتى عام فوق الماء واقترب من البجعات الرائعات، فلما رأينه سارعن إليه وخفقت أجنحتهن.

فقال لهن الكائن المسكين بعد أن حنى رأسه فوق الماء فى انتظار الموت: «اقتلننى! فماذا رأى فى الماء الصافى؟ نظر تحته إلى صورته فى الماء، فلم ير الطائر الرمادى الداكن الدميم، المقزز، بل رأى نفسه بجعة جميلة!

فإذا ولد فى فناء البط لا يعنى إلا أنه كان راقدا فى بيضة بجعة!

وشعر بالسعادة التامة بعد المتاعب والشقاء اللذين مربهما. وهو الآن يقدِّر السعادة والجمال اللذين أتيا لتحيته. والتفت حوله البجعات الثلاث ونقرنه بمناقيرهن.

وأتى إلى الحديقة بعض الصبية وراحوا يلقون الخبز والحبوب فى الماء، وقال أصغرهم:«هنا جاء طير جديد!» وصاح بقية الصبيةبابتهاج: «نعم، لقد أتى طائر آخر!» وصفقوا بمرح ورقصوا ثم هرولوا إلى آبائهم وأمهاتهم بعد أن ألقوا بالخبز والكعك فى الماء وقالوا:« إن أجمل واحد فى هذه الطيور هو الجديد، فهو صغير وجميل وحنت البجعات الثلاث الكبار رؤوسها تأييدا لما قالوا.

وحينئذ شعر بالخجل الشديد ووضع رأسه تحت جناحه وهو لا يعلم لماذا فعل ذلك. كانت السعادة تغمره ولكن دون زهو أو افتخار، لأن القلب الطيب ليس فخورا. وفكر كم كان مضطهداً ومنتقدا، وهو الآن يسمع من كل فرد أنه أجمل الطيور وأبهاها. وحنت السوسنات أغصانها على الماء وسطعت الشمس دافئة لامعة ثم هز ريشه ورفع عنقه النحيل وقال من أعماق قلبه: «لم أكن أحلم بهذه السعادة عندما كنت فرح البط الدميم.

عروس البحر الصغيرة

هناك بعيدا فى البحر ترى الماء أزرق مثل أوراق زهرة العنبر الجميلة ورائقا مثل أصفى أنواع الزجاج ولكنه عميق جدا. أعمق من أن يدرك قاعه أطول مخطاف لسفينة.

وإذا وضعنا عدة أبراج للكنائس فوق بعضها لأمكننا الوصول من سطح الماء إلى عمق القاع. وهناك تعيش عرائس وعرسان البحر.

والآن، لا يظن أحد قطعا أن القاع رملى مسطح فقط، بل تنمو به أعجب أنواع الأشجار والنباتات ذات السيقان والأوراق المرنة التى تميل فى حركاتها استجابة لأقل حركة للمياه وكأنها كائنات حية وتنزلق جميع الأسماك، كبيرها وصغيرها داخل الأغصان وخارجها مثلما تنطلق الطيور بين الأغصان هنا فى الهواء. وفى أعمق بقعة فى البحر يقع قصر الملك، جدرانه من المرجان ونوافذه الطويلة المتدرجة من أصغي أنواع الكهرمان ولكن سقفه من المحارات الرخوية التى

تفتح وتقفل مع تيارات المياه والمشهد جميل، لأن فى كل محارة لؤلؤة جميلة تقدر كل منها تقديرا خاصا كأنها فى تاج الملكة.

ظل ملك البحر أرملاً لعدة سنوات، وتدير شئون القصر أمه العجوز ، وهى امرأة عاقلة تفتخر بنسبها الملكى، ولهذا فهى تضع على ذيلها أثنتى عشرة محارة، بينما تضع النبيلات ست محارات فقط فضلا عن هذا فهى تحظى بتقدير كبير وخاصة بأنها كانت تهتم كثيرا بحفيداتها، الأميرات الصغيرات. وكن ستًا من الطفلات الجميلات، ولكن صغراهن كانت أجملهن فكانت بشرتها صافية وبراقة كأنها تويجات وردة.

وكانت عيناها زرقاوتين كلون أعمق البحار، ولكنها مثل شقيقاتها وغيرهن ليست لها أرجل، بل كان جسدها ينتهى بذيل سمكة.

وطوال اليوم كن يلعبن فى ردهات كبيرة فى القصر حيث تنمو الزهور على الجدران. وعندما تفتح النوافذ الكهرمانية الكبيرة يسبح السمك خلالها تماما كما تطير العصافير عندما نفتح نوافذنا على الارض. ولكن السمك يسبح قاصدا الأميرات الصغيرات ليتناول الطعام من أيديهن كما لو كانت الأسماك من المدللات.

وفى خارج القصر توجد حديقة كبيرة بها أشجار حمراء مثل اللهب وزرقاء مثل الليل، وتلمع فيها الفواكه كأنها من ذهب، بينما تبدو الزهور كأنها لهب متوهج، لأن سيقانها وأوراقها تتحول دائما وكان القاع يحتوى على أصفى الرمال، ولكنه أزرق اللون مثل لهب الكبريت، ويغطى كل شىء لون عجيب أزرق براق أشبه شىء بقبة

السماء إذا نظرت إليها عبر الأثير.

ويمكن تبين الشمس فى حالات الهدوء الشامل، وتبدو كزهرة مخملية ينبثق الضوء من كأسها.

وكان لكل أميرة صغيرة حوض صغير فى الحديقة تحفر فيه وتزرع فيه ما تشاء. جعلت إحداهن حوض زهورها على شكل حوت، بينما جعلت أخرى حوضها علي شكل عروسة البحر الصغيرة، أما صغراهن فقد جعلت حوضها مستديرا كالشمس وزرعت فيه زهورا تبدو حمراء مثل قرص الشمس. كانت طفلة عجيبة هادئة كثيرة التأمل والتفكير وبينما كانت شقيقاتها يزيِّن حدائقهن بأشياء غريبة جلبنها من السفن الغارقة، كانت هى تفضل أن تضع تمثالا جميلا من المرمر إلى جانب الزهور الحمراء مثل الورود التى تشبه الشمس فى العالم العلوى وكان التمثال لولد نحت من صخر أبيض شفاف، وجدته فى إحدى السفن الغارقة فى قاع البحر. وإلى جانب قاعدة التمثال زرعت صفصافة فى حمرة الورد، نمت بأعجوبة وألقت بأغصانها على التمثال وتدلت إلى القاع الرملى الأزرق حيث يبدو ظلها بنفسجيا مثل الأغصان. وتبدو كما لو كان تاجها وجذورها يقبِّل بعضها بعضا.

ولم يسرُّها شىء قدر سرورها بالاستماع إلى أى شىء يدور حول عالم البشر فى العالم العلوى. وكانت الجدة العجوز تحكى عما تعرفه عن السفن والمدن والبشر والحيوانات.

ويبدو هذا رائعا وجميلا فى نظرها، فالأزهار على الأرض ذات

شذا طيب ليس له مثيل للأزهار فى قاع البحر، والغابات خضراء، والأسماك التى تسبح بين الأغصان تبدو كأنها تغنى فتسعدها بأعلى الأصوات وأعذبها. فما كانت الجدة تذكره عن الأسماك لم تكن غير طيور صغيرة، وإلا لما استطاعت الأميرات أن تفهم ما تقول لهن، لأنهن لم يشاهدن طيرا قط.

قالت الجدة:« عندما تبلغن الخامسة عشر من العمر، يُسمح لكن بالذهاب إلى سطح الماء والجلوس على الصخور في ضوء القمر، والنظر إلى السفن وهى تسافر فوق سطح الماء، وسوف ترين كذلك الغابات والمدن.

وفى السنة التالية تبلغ الأخت الكبرى الخامسة عشر، بينما تصغر الأخوات الأخريات عاما بين كل واحدة والتى تليها، ولهذا تمر خمس سنوات قبل أن تصعد أصغرهن إلى سطح الماء قادمةمن قاع البحر لترى كيف يبدو عالمنا العلوى على سطح الأرض. ووعدت كل من تصعد إلى سطح الماء بأن تحكى لأخواتها كل ما تشاهد فى اليوم الأول وتخص بالذكر أعجب ما شاهدت من أشياء، مما لم تستطع الجدة أن تحكى عنها، فهناك الكثير الذى سوف يحكين عنه.

ولم يبلغ الشوق مداه إلا عند الأميرة الصغرى التى يتحتم عليها أن تنتظر أطول فترة لترى الحياة على سطح الأرض، وهى المعروفة بالهدوء والتأمل. أمضت كثيرا من الليالى وهى واقفة إلى جانب النافذة المفتوحة تنظر إلى أعلى خلال الماء الأزرق الداكن حيث تسبح الأسماك وتخفق بزعانفها وبذيلها واستطاعت أن تشاهد القمروالنجوم.

ومن المؤكد إنها شاحبة اللمعان، ولكنها تبدو فى الماء أكبر حجما عما تبدو لأنظارنا من على سطح الأرض. فإذا كانت تبدو كظل أسود ينزلق ببطء تحتها، لعرفت أنها إما أن تكون حوتا يسبح فوقها أو سفنية تحمل على متنها بعضا من البشر. ومن المؤكد أن ركاب السفينة لا يتبادر إلى أذهانهم أن هناك عروسة البحر الجميلة الصغيرة تقف أسفل منهم تمد أياديها البيضاء إلى أعلى قاصدة غاطس السفينة.

والآن، بلغت الأميرة الكبرى الخامسة عشرة وسُمح لها بالصعود إلى سطح الماء. وعندما عادت كانت لديها مئات الأشياء التى تحكى عنها، ولكن أروع شيء حكت عنه هو الاسترخاء فى ضوء القمر على الشاطئ الرملى للبحر الهادئ والنظر إلى المدينة الكبيرة الملاصقة للشاطئ حيث تتلألأ الأضواء مثل مئات النجوم والاستماع إلى الموسيقى والحركة الصاخبة للمركبات والبشر، والنظر إلى أبراج الكنائس وقبائها المتعددة، والاستماع إلى أنغام الأجراس. ونظرا إلى أن الأخت الصغرى لم تصعد إلى سطح الماء، فكانت أكثرهن اشتياقا لكل هذا.

آه، ما أعجب عروس البحر الصغرى وهى تتنصت إلى الحديث. ففى المساء، عندما تقف بجوار النافذة المفتوحة، وتنظر إلى أعلى خلال الماء الأزرق الداكن، تفكر فى المدينة الكبيرة بصخبها وضوضائها، فتتخيل أنها تستطيع أن تسمع أجراس الكنائس وهى تدق لها.

وفى السنة التالية سُمح للأخت الثانية بالصعود إلى سطح الماء والسباحة حيث تشاء. صعدت بينما كانت الشمس تغرب فبهرها هذا المشهد، فالسماء تبدو مذهبة والسحب تبدو كذلك، ولن تستطيع أن تصف هذا الجمال، ذا اللون القرمزى والبنفسجى، الذى يبدو فوقها. ولكن سربًا من البجع البرى كان يطير أسرع من السحاب كستارة بيضاء تطير فوق الماء متجهة نحو الشمس، سبحت فى اتجاهها ولكنها غطست وغطى الوهج الوردى سطح البحر والسحب.

وفى السنة التالية صعدت الأخت الثالثة، وكانت أكثرهن جرأة، فسبحت فى نهر واسع يصب فى البحر، وشاهدت تلالاً خضرا جميلة تكسوها أشجار العنب، وقصورا ومزارع تطل من بين الغابات الكبيرة. وسمعت الطيور تغنى والشمس ساطعة بحرارة، اضطرتها إلى الغطس فى الماء لتبرد وجهها الذى لفحته الحرارة. وفى أحد الخلجان الصغيرة شاهدت مجموعة من الأطفال الصغار وهم عرايا تماما يهرولون فى الماء، فأرادت أن تلعب معهم ولكنهم فروا هاربين خوفا منها. ثم أتى حيوان صغير أسود اللون، هو كلب، ولم يسبق لها رؤية كلب قبله. ونبح الكلب بشدة فى اتجاهها حتى أصابها الفزع فانطلقت فى عرض البحر.

ولم تنس أبدا الغابات الخضراء ولا التلال الخضراء ولا الأطفال الصغار الذين يسبحون فى الماء رغم عدم وجود أذيال أسماك لهم.

ولم تكن الأخت الرابعة جريئة مثل سابقتها، فمكثت فى عرض

البحر المتلاطم الأمواج وقالت إن هذا هو أجمل شىء.

واستطاعت أن تشاهد ما حولها على بُعد عدة أميال، وكانت السماء تبدو أشبه شىء بناقوس زجاجى كبير.

وشاهدت السفن ولكن من بُعد، فكانت تبدو كنوارس البحر. وكانت درافيل البحر تدور منقلبة حول نفسها، والحيتان الكبرى تقذف نوافير المياه من مناخرها حتى بدت كمئات من النوافير حولها.

والآن، جاء دور الأخت الخامسة. كان عيد ميلادها فى الشتاء، لهذا رأت ما لم تره الأخريات، إذ يبدو البحر هادئا أخضر اللون، وجبال الجليد الضخمة تعوم حولها فى كل مكان، ويبدو كل منها كاللؤلؤة كما قالت، ولو أنها أكبر من ذلك بكثير، أكبر حتى من أبراج الكنائس التى يبنيها البشر. وهى تبدو فى أعجب الأشكال وتلمع مثل الألماس. جلست ذات مرة فوق أضخمها، وارتعدت السفن العائمة حولها بينما يعبث النسيم بشعرها الطويل. وفى المساء ملأت السحب السماء، وبرق البرق ورعد الرعد بينما رفع البحر الأسود جبال الجليد الضخمة عاليا حيث لمعت فى ومضات الضوء المبهرة وطوت جميع السفن أشرعتها فى خوف وهلع، بينما جلست هى هادئة هانئة فوق جبل الجليد الطافى تشاهد طبقات البرق المتعرج الزرقاء فى البحر.

وفى كل مرة تزور فيها إحدى الأخوات سطح البحر كانت تغمرها الدهشة لأول وهلة عندما تشاهد الأشياء الجديدة والعجيبة، ولكنهن

الآن بعد أن كبرن وسمح لهن بالصعود كيفما يردن وصارت الأمور عادية فى أبصارهن، كن يشتقن للعودة إلى البيت. وبعد شهر تراءى لهن أن أجمل شىء فى الوجود هو قاع البحر حيث يعشن وأجمل ما فيه هو منزلهن.

وفى كثير من الأمسيات كانت الأخوات الخمس يصعدن إلى سطح البحر وكل منهن ممسكة بيد الأخرى. وكانت أصواتهن الجميلة أعذب من أصوات نظائرهن من البشر، وحينما توشك العاصفة أن تثور ويظنن أن السفينة العائمة عرضة للغرق، اقتربن منها وغنين بأعذب الأصوات لركابها يعرِّفنهم بأن قاع البحر ليس موحشا بالشكل الذى يخشونه، فكم هو قاع جميل! ولكن الركاب والبحارة فى السفينة لا يفقهون ترنيمهن، بل يظنون أن أغانيهن أصوات اضطراب العاصفة.

وليسوا قادرين على رؤية العجائب فى قاع البحر، لأنهم بعد أن تغرق السفينة يغرق البشر من طاقمها وركابها ولا يصلون إلى قصر الملك فى قاع البحر إلا جثثا هامدة.

والآن، أقبل المساء، وصعدت الأخوات الأربع إلى سطح الماء وقد تشابكت أيديهن، ظلت الأخت الصغرى وحيدة فى القصر تبحث عنهن، وكانت على وشك أن تجهش بالبكاء. ولكن عرائس البحر ليست لهن دموع، فلقيت معاناة كبيرة.

وقالت ياليتنى أبلغ الخامسة عشر! فإنى أعلم أننى سوف أعشق العالم الأرضى والبشر الذين يعمرونه ويقطنونه.

وأخيرا بلغت الخامسة عشر.

فقالت لها جدتها: «الآن، جاء دورك. تعالى لأزينك كما زينت أخواتك من قبل» ووضعت الجدة العجوز الملكة الأرملة إكليلا من الياسمين فوق شعر حفيدتها.

ولكن كل ورقة من أوراق الزهور كانت نصف لؤلؤة. ووضعت الملكة العجوز ثمانى محارات متجاورة بإحكام على ذيل الأميرة لتدل على رفعة شأنها.

وقالت عروسة البحر الصغيرة: «إنها تؤلمنى كثيرا!» وقالت الملكة العجوز: «عليك أن تتحملى قليلا من المعاناة لكى تبدى جميلة».

آه! يالها من سعادة عندما تتخلى عن مظاهر الأبهة هذه وتخلع عن رأسها ذلك الإكليل الثقيل. فزهور حمراء فى حديقتها أجمل فى نظرها من كل هذا، ولكن لا تستطيع أن تخالف ما أمرت به. وقالت: «الوداع» ثم صعدت بخفة وسهولة مثل فقاعة الهواء التى تصعد إلى سطح الماء.

كانت الشمس على وشك الغروب عندما صعدت رأسها إلى سطح الماء، ولكن السحب كانت لا تزال تلمع مثل الورود وكأنها ذهب، وفى وسط السماء الوردية لمعت نجمة المساء بوضوح وبهاء. وكان الهواء نقيا لطيفا والبحر ناعم السطح مثل الزجاج. وهناك تقف سفينة كبيرة ذات ثلاثة أشرعة، منها شراع واحد ارتفع فوق ساريته، ولم يكن هناك نسيم، وقد جلس البحارة حول الحبال والأشرعة. وصدحت الموسيقى وسمعت الأغانى حين أظلم المساء وأوقدت مئات المصابيح ذات الألوان المتعددة.

ويبدو المشهد كان أعلام جميع الدول ترفرف فى الهواء.

وسبحت عروس البحر الصغيرة قاصدة نافذة المقصورة، وكلما رفعتها أمواج البحر عاليا فى الهواء استطاعت أن تشاهد من خلال النوافذ الزجاجية كثيرا من البشر الذين يرتدون ملابس فاخرة واقفين، وكان أكثرهم أناقة الأمير الصغير ذو العيون الواسعة الداكنة الذى يبدو أنه لا يزيد عن ستة عشر عاما، كان ذلك اليوم هو عيد ميلادة، ولهذا أقيمت له كل هذه المظاهر والاحتفالات. رقص البحارة على متن السفينة، وعندما أقبل الأمير الصغير انطلقت مئات الصواريخ فى الهواء، فأضاءت ما حولها بمثل ضوء النهار، ولهذا خافت عروس البحر الصغيرة وغاصت تحت الماء. ولكنها رفعت رأسها ثانية فخيل إليها أن نجوم السماء تتساقط حولها، لأنها لم تشاهد مثل هذه الألعاب النارية من قبل. ودارت حولها شموس هائلة، وانطلقت أسماك لامعة رائعة فى الجو الأزرق، وكل ذلك انعكست صوره على سطح البحر الصافى الهادئ. وكانت السفينة مضاءة بالقدر الذى يسمح برؤية أقل الحبال سمكا ناهيك بما عليها من بشر.

آه! ياله من أمير رشيق، يلوح بيديه ترحيبا بكل الحضور وهو يضحك ويبتسم بينما تملأ الموسيقى جو هذه الليلة الرائعة.

وفى هذا الوقت المتأخر لم تستطع عروس البحر الصغيرة أن تحوِّل بصرها عن السفينة وبها الأمير الرشيق. وأُطفئت الكثير من المصابيح الملونة، وتوقف إطلاق الصواريخ فى الهواء، كما توقف

إطلاق المدافع للتحية ولكن أعماق البحر أخذت تقرقر وتدمدم وحينئذ راحت تطفو وتغطس حتى استطاعت أن ترى القمرة، بينما جدَّت السفينة فى السير ورفعت سواريها واحدا بعد الآخر وارتفعت الأمواج وتعاظمت السحب وشوهد البرق يلمع من بعيد. آه!

لقد لاحت فى الآفق عاصفة رهيبة، ولهذا طوى البحارة الأشرعة. واندفعت السفينة بأقصى سرعة فى البحر الهائج. وارتفع الماء فى موج كالجبال السوداء الهائلة وانصب فوق سوارى السفينة. ولكن السفينة غاصت بين الأمواج العاتية لتترك نفسها تصعد فوق قمة المياه العالية وظنت عروس البحر أن هذه السرعة مطمئنة على عكس ما يظن البحارة. وتمزقت السفينة وانهارت الأشرعة فى وسطها وانقلبت السفينة على جانبيها وتدفق الماء إلى مخازنها ورأت عروس البحر الصغيرة أنهم جميعا فى خطر، وكان عليها أن تتوقى ضربات الأخشاب وقطع الحطام الطافية فوق الماء.

وما هى إلا لحظة حتى أظلمت الدنيا فلم تستطع أن ترى شيئا، ولكن البرق أضاء ما حوله فاستطاعت أن تميز كل من كان على متن السفينة. تخبط الجميع وصاروا يصارعون الأمواج من أجل الحياة. وبحثت بصفة خاصة عن الأمير الصغير، فرأته يغرق عندما تفصدت السفينة ويغوص فى الأعماق. أسعدها الأمركثيرا فى أول الأمر لأنه قدم إليها، ولكنها سرعان ما أدركت أن البشر لا يستطيعون العيش فى الماء وأنه لن يصل إلى قصر أبيها فى أعماق البحر إلا جثة هامدة وحدثتها النفس: «كلا! لا يمكن أن يموت» وهكذا سبحت بين

الكتل والدعامات الخشبية الطافية فوق سطح البحر، وقد نسيت أنها قد تهلكها وغاصت فى أعماق البحر ثم طفت على السطح بين الأمواج حتى عثرت على الأمير الصغير أخيرا، وهو الذى كان يصارع الموت فى البحر العاصف.

ضعفت ذراعاه ورجلاه، وأغمضت عيناه. وكاد أن يغرق لولا أن أدركته عروس البحر الصغيرة رفعت رأسه عاليا فوق الماء وتركت الأمواج تحملهما حيثما أرادا.

وفى الصباح هدأت العاصفة، ولم تبد من بقايا العاصفة أية شظية وأشرقت الشمس حمراء ساطعة من تحت الماء كما لو كانت تبعث الحياة فى وجنات الأمير، ولكن عينيه لا تزالا مغمضتين فقبَّلت عروس البحر أعلى جهته الرشيقة. ورفعت عن وجهه شعره المبتل.

وظنت أنه يشبه التمثال المرمرى المقام فى حديقتها الصغيرة وقبَّلته ثانية وتمنت أن يعيش.

وأطلتّ على اليابسة أمامها، فرأت جبلا شاهقا تتوج هامته هالة من الجليد اللامع كما لو كانت تفترشها مجموعة من البجع. ويوجد بجوار الساحل غابات خضراء جميلة، ومن بعيد تظهر كنيسة أو دير، لم تعلم عنها شيئا ولكنها كانت بناء على أية حال. وفى الحديقة تنمو أشجار الليمون والبرتقال وفى مواجهة البوابة تقف نخلات شاهقات. وللبحر خليج صغير هادئ وعميق فى مواجهة الصخرة العاتية حيث يقذف البحر إليها رمالا بيضاء ناعمة. وهناك سبحت ومعها الأمير الرشيق فوضعته على الرمال، وتطلعت إليه فرأت رأسه

ترتفع مع ارتفاع الشمس فى مسارها.

ودقت الأجراس فى البناء الأبيض الكبير، وتسللت عدة فتيات من الباب إلى الحديقة وهنا سبحت عروس البحر الصغيرة بعيدا واختبأت خلف صخرة كبيرة برزت من الماء، ثم غطت شعرها وصدرها بزبد البحرحتى لا يرى أحد وجهها الصغير، وظلت تراقب كل من يقترب من الأمير المسكين.

ولم يمض وقت طويل حتى أدركته فتاة صغيرة حيث كان يرقد. ويبدو أنها كانت مذعورة لمدة وجيزة فقط.

ثم أحضرت بعضا من الناس، ولاحظت عروس البحر أن الأمير عاد إلى صوابه وابتسم لكل من كان حوله. ولكنه لم يبتسم لها، لأنه لا يعلم أنها هى التى أنقذته، فغضبت لذلك. وعندما حملوه إلى البناء الكبير غاصت فى الماء وهى غاضبة ميممة وجهها شطر قصر والدها.

كانت دائما صامتة ومتأملة، ولكنها الآن أكثر صمتا وتأملا.

وسألتها أخواتها عما رأت فى أول مرة تصعد فيها إلى سطح البحر، ولكنها لم تحر جوابا!

وفى كثير من الأمسيات كانت تسبح صاعدة إلى سطح الماء حيث فارقت الأمير، ولاحظت أن الفواكه فى الحديقة نضجت وحان قطافها، وأن الجليد فوق قمم الجبال ذاب وانحسر، ولكنها لم تشاهد الأمير فعادت إلى منزلها أشد أسفا وأكثر غضبا ولم تجد راحة نفسية إلا فى حديقتها الصغيرة حيث تلقى بذراعيها حول التمثال

المرمرى الجميل الذى يشبه الأمير. ولم تكن ترعى زهورها التى نمت حول الممرات كأنها أزهار برية تنمو فى أحد الأدغال، إذ التفَّت سيقانها الطويلة وأوراقها بأغصان الأشجار حتى أظلمت الحديقة.

ولم تتحمل مرارة الصمت الطويل حتى أبلغت إحدى أخواتها بما حدث. وعلم الجميع من الأقرباء وقليل من عرائس البحر المقربات بالخبر، لأن إحداهن لا تبلغ إلا العرائس المقربات. وعرفت إحداهن الأمير. ورأت مظاهرالزينة والفرح على السفينة، كما عرفت من أين أتى وفى أى مكان تقع مملكته.

قالت الأميرات لأختهن الصغرى: « تعالى!» ووضعت كل منهن ذراعهاعلى كتف شقيقتها وصعدن فى صف طويل إلى سطح الماء أمام الموقع الذى يعتقدن أن يكون فيه قصر الأمير.

وكان مصنوعا من نوع لامع من الحجر الأصفر الفاتح، ذا دَرجٍ كبير، يصل أحدها مباشرة إلى الماء. وله قباب مذهبة رائعة فوق السقوف، وتماثيل مرمرية مصفوفة بين أعمدة تحيط بكل المبنى وكأنها حية. ومن خلال النوافذ العالية الزجاجية تبدو للناظر أبهاء فخمة تعلَّق فيها ستائرمن حرير وطنافس وسجاجيد على جدران كلها محلاة بنقوش كبيرة تبعث فى نفس المشاهد السرور. وفى وسط أكبر بهو تبعث إحدى النافورات الماء، تدفع الماء عاليا إلى القبة الزجاجية فوق السقف حيث تسطع الشمس فوق مياه النافورة بينما تنمو النباتات الجميلة فى البركة الكبيرة.

عرفتْ الآن أين يعيش، وفى كثير من الأمسيات والليالى كانت

تصعد هناك فوق سطح الماء، وكثيرا ما سبحت بالقرب من موقعه على الأرض حيث لا يجرؤ إنسان على الاقتراب منه. وهناك دخلت فى القناة الصغيرة تحت الشرفة المرمرية التى تلقى بظلها على الماء، وجلست تنظر إلى الأمير الصغير الذى يعتقد أنه يجلس وحيدا فى ضوء القمر الصافى.

وفى كثير من الأمسيات كانت تراه فى زورق رائع يطفو فوق الماء على أنغام الموسيقى ورفرفة الأعلام ، وتطل عليه من بين النباتات الخضراء، وتتلقى الهواء فى خمارها الفضى الأبيض الطويل، حتى إذا رآها أحد الناظرين ظن أنها بجعة تبسط جناحيها فى الهواء.

وفى كثير من الليالى سمعت من الصيادين الذين كانوا يصيدون الأسماك على ضوء المصابيح، يقصُّون حكايات كثيرة عن الأمير الصغير الذى سرَّها أن تنقذ حياته عندما كان يوشك على الغرق. وفكرت كيف قبلته بحرارة، وهو لا يعلم شيئا عن كل هذا ولا يحلم بها ذات يوم.

وصارت أكثر إعجابا بالجنس البشرى، وتمنت أكثر فأكثر لو أنها تعيش بين الناس، وظنت أن عالمهم أوسع من العالم الذى تعيش فيه. وياللعجب!

فهم يستطيعون السفر فى السفن فوق سطح البحر، وتسلق الجبال العالية فوق السحب، وتمتد أرضهم بالغابات والحقول على مساحات أرحب مما ترى فى عالمها.

وهناك الكثير الذى ينبغى أن تعرف ، ولكن أخواتها لا يعرفن

الإجابة عن أسئلتها، ولهذا لجأت إلى جدتها العجوز التى تعرف الكثير عن العالم العلوى الذى تطلق عليه مسمى «الأرض فوق البحر» سألتها عروس البحر الصغيرة:« إذا لم يغرق الإنسان فهل يعيش إلى الأبد؟! وهل يموتون بالطريقة التى نموت بها فى البحر؟!

فأجابت الملكة العجوز: « ياللعجب! نعم، فلابد أن يموتوا، وعمرهم أقصر من عمرنا بكثير. فنحن نعيش ثلاثمائة عام، وعندما تنتهى أعمارنا هنا فنحن نتحول فقط إلى زبد يطفو فوق سطح الماء، وليست لنا مقابر هنا بين أحبابنا، ولا روح خالدة، فلا حياة لنا بعد الموت.

فنحن نشبه نبات الأسل الأخضر، إذا قُطع فلن يعود أخضر ثانية. أما البشر فلهم روح تعيش إلى الأبد حين توارى أجسادهم فى الثرى، إذ تصعد عبر الأثير النقى إلى النجوم الساطعة. ومثلما نصعد إلى سطح الماء ونرى أرض البشر، كذلك تصعد أرواح البشر إلى أماكن جميلة مجهولة لا نستطيع أن نراها.

وسألت عروس البحر الصغيرة وهى حزينة: «لماذا لا نحصل على روح خالدة؟ يسرنى أن أعطى ما أملك من سنوات عمرى التى تحسب بالمئات فى نظير أن أكون خالدة ولو ليوم واحد أستطيع أن أشارك فى هذا العالم السماوى».

وأجابتها جدتها الملكة العجوز: «لا ينبغى أن تذهبى أو تفكرى فى ذلك، فنحن هنا أفضل بكثير من عالم البشر العلوى هناك. وسأموت أنا كذلك وأطفو زبدا فوق سطح البحر، فلا أسمع موسيقى الأمواج، ولا أرى الزهور الجميلة والشمس الحمراء.

وسألت عروس البحر الصغيرة: «أليست هناك حيلة أحتالها لكى أكتسب روحا خالدة؟!

فأجابتها الملكة العجوز: «كلا! بل إن الإنسان إذا أحبك حبا جما بحيث تكونين أعز عليه من أبيه وأمه وإذا ظلت تشغلين ذاكرته وصرت على اتصال به وثيق حتى يدع الراهب يضع يدك اليمنى فى يده اليمنى وترتبطان برباط الإخلاص من الآن وإلى الأبد، فحينئذ تطفو روحه وتدخل فى جسدك وتشاركين عالم الإنسان فى السعادة، فيعطيك روحا بينما يتحفظ هو بروحه كذلك. ولكن هذا لن يحدث، فأجمل شيء هنا فى عالم البحر هو ذيل السمكة الذى تتحلين به، سيجدونه شيئا منفرا فى العالم الأرضى.

فهم لا يعرفون ما هى أفضل إلا تلك الرجلين القميئتين اللتين يصفونهما بالجمال.

فتنهدت عروس البحر الصغيرة وبدا عليها الحزن عندما نظرت إلى ذيلها الذى يشبه ذيل السمكة.

وقالت لها الملكة العجوز: دعينا نرضى ونرقص مرحا فى أعوامنا الثلاثمائة التى نعيشها. وهذا وقت طويل حقا، وبعدئذ يستريح المرء فى قبره وهو قرير العين. وفى هذا المساء سنذهب إلى حفل راقص.

والآن، هذا ثراء لا يرى فوق الأرض. فالحوائط والأسقف فى قاعة الرقص الكبيرة مصنوعة من الزجاج الصافى السميك. وعدة مئات من المحارات الرخوية الهائلة ذات الألوان الحمراء الوردية والخضراء كالحشائش أُعدَّت فى صفوف على كلا الجانبين بالمشاعل

الزرقاء، أضاءت كل جنبات قاعة الرقص ولمعت على الجدران حتى أضاءت البحر من حولها. ويستطيع المرء أن يتبين الأسماك التى لا حصر لها وهى تسبح نحو الجدران الزجاجية، وقد لمعت قشورها بلون مخملى بينما بدى بعضها فضيا ومذهبا. وعبر منتصف قاعة الرقص يمر جدول عريض ترقص حوله عرائس البحر وعرسانه على أنغام الموسيقى والأغانى التى يترنمون بها. ولا تتوافر لدى البشر أصوات بمثل هذه العذوبة. وكان أجمل الأصوات تبثها عروس البحر الصغيرة التى صفَّق لها الجميع. وفى لحظات وجيزة امتلأ قلبها سرورا، عندما علمت أن صوتها أجمل صوت على وجه الأرض وفى البحر كذلك. وسرعان ما بدأت تفكر مرة ثانية فى العالم الأرضى، فلم تنس أبدا ذلك الأمير الصغير، ولكن تملكها الغضب لأنها ليست مثله تحصل على روح خالدة. وحينئذ تسللت خفيةخارج قصر أبيها، وبينما كان الجميع ينعمون بالمرح والغناء، جلست هى حزينة فى حديقتها الصغيرة.

ثم سمعت بوقا يدوى فى أعلا الماء، فقالت لنفسها:

«الآن لعله يبحر فوق سطح الماء هناك، وهو الذى أحبه أكثر من أبى أو أمى، أظل دائما أذكره وأتمنى أن أضع فى يده كل سعادتى فى الحياة. وسوف أغامر فى سبيله وأضحى بكل شىء كى أحصل عليه وعلى روح خالدة.

سأذهب إلى ساحرةالبحر التى كنت دائما أخشاها.

ولكنها ربما نصحتنى وساعدتنى».

وخرجت عروس البحر الصغيرة من حديقتها نحو الدوامات العنيفة التى تعيش خلفها الساحرة، ولم تكن ذهبت إليها مسبقا. وهناك لا تنمو زهور ولا حشائش، بل يوجد فقط قاع رملى رمادى قاحل يمتد نحو الدوامات العنيفة التى تزأر مثل أحجار الطاحونة وتدور فتسحب إليها كل ما يأتى فى طريقها وتقذفه إلى الأعماق. وبين هذه الدوامات الطاحنة كان عليها أن تذهب إلى مملكة ساحرة البحر، ولم يكن أمامها سبيل آخر سوى فقاعات الوحل التى تسميها الساحرة مستنقعها الخطير. وخلف هذا كله يقبع منزلها الذى يتوسط غابات مخيفة، حيث الأشجار والشجيرات كلها حيوانات مائية.. نصفها حيوان والنصف الآخر نبات. وهى تشبه الأفاعى ذات مئات الرؤوس التى تبرز من الأرض، وكل أغصانها أذرع طويلة زلقة ذات أصابع تشبه الدود المتعوج، ومفاصلها تتحرك من الجذور إلى أطرافها الخارجية. وكل ما تقتنصه فى البحر تلف أذرعها عليه ولا تدعها تفلت منها.

ظلت عروس البحر الصغيرة واقفة خارج الغابة وقد تملكها الخوف وملأها الرعب. واضطرب قلبها من شدة الفزع، وأوشكت أن تدير ظهرها لهذا العالم، ولكنها فكرت فى الأمير، والروح الخالدة فأدركتها الشجاعة، ولفت شعرها الطويل المتهدل حول رأسها حتى لا تقنصها منه الأخطبوط. وعقدت يديها على صدرها وراحت تمرق بين الأخطبوطات البغيضة التى بسطت أذرعها وأصابعها إليها، ورأت كيف يقبض كل منها على شىء يمسكه بمئات الأذرع الصغيرة

وكأنها قضبان حديدية، وصفوف من عظام البشر البيضاء الذين غرقوا فى البحر وغاصوا حتى القاع تبدو بين أذرع الأخطبوط.

وهناك الكثير من عجلات السفن وصناديقها تمسكها الأخطبوطات بإحكام وهياكل عظمية لحيوانات برية، ولكن أشد ما أخافها كانت عروس البحر التى استولت عليها الأخطبوطات وخنقتها.

ثم وصلت إلى فتحة كبيرة زلقة فى الغابة تتوثب فيها تعابين الماء الكبيرة السمينة وتظهر منها بطونها الصفراء القبيحة. وفى وسط هذه الفتحة شيد منزل من عظام البشر الذين غرقت بهم السفن، وبه تجلس الساحرة تطعم من فمها ضفدعا كبيرا مثلما يطعم الناس عصفور الكنارى قطع السكر من أفواههم. وكانت تسمى ثعابين الماء المخيفة الغليظة كتاكيتها الصغار وتدعها تتلوى حول أثدائها الإسفنجية.

وقالت ساحرة البحر: «عرفت ما أتيت من أجله!

وهو شىء من الحماقة أن تقدمى عليه، إلا أننى ألبى مطلبك الذى يجلب لك الحظ السىء يا أميرتى العزيزة!

تريدين أن تتخلصى من ذيلك وتحصلين على رجلين تسيرين بهما مثل البشر، حتى يقع الأمير فى حبك وتحصلين على روح خالدة وحينئذ انطلقت من الساحرة ضحكة صاخبة مخيفة قذفت بالضفدع وثعابين البحر بعيداً تتلوى على الأرض.

ثم قالت الساحرة: «لقد أتيت فى لحظة حرجة. وفى الغد بعد

شروق الشمس لا أستطيع أن أساعدك بشىء إلا بعد مرور عام، أقوم فيه بتحضير جرعة دواء تتناولينها قبل شروق الشمس ثم تسبحين إلى العالم الأرضى وتجلسين على الشاطئ. وحينئذ سوف ينفصل ذيلك ويتقلص إلى ما يسميه البشر أرجلا، وهو شىء مؤلم ، كما لو كان سيف يشقه . وكل من يراك من البشر سيقول إنك أجمل طفل بشرى رأته عيناه. وسوف تحتفظين بخفة حركتك، فلا يستطيع أى إنسان أن يرقص أو يسبح مثلك. ولكن كل خطوة تمشينها ستكون كما لو تكونى تسيرين فوق حد سكين حاد، ولهذا سوف تدمى قدماك! فإذا أردت أن تتحملى كل هذه المعاناة فسوف أساعدك.

وأجابت عروس البحر الصغيرة بصوت مرتعش وهى تفكر فى الأمير وفى الروح الخالدة التى تتمناها: «نعم!» وأضافت الساحرة: ولكن تذكرى أنك بمجرد أن تكتسبى شكل الإنسان لن تعودى ثانية لتكونى عروس البحر، ولن تستطيعى أن تغوصى فى الماء لتعودى إلى أخواتك وإلى قصر أبيك، وإذا لم تستحوذى على حب الأمير بحيث تنسيه أباه وأمه ولا تبرحين فكره وتصبحين زوجة له يرعى زواجكما الكاهن، فلن تحرزى روحا خالدة. وأول يوم يمر بعد زواجه من فتاة أخرى سوف يتحطم قلبك وتتحولين إلى زبد يطفو فوق الماء.

فقالت عروس البحر الصغيرة وقد اعتراها ذبول مميت:

«أريد ذلك»

وقالت الساحرة: «ولكنك يجب أن تدفعى إلى أجرى كذلك، وما

أطلبه منك ليس هينا. فصوتك أجمل صوت هنا فى قاع البحر، وربما تظنين أنك سوف تسحرينه بصوتك، ولكن هذا الصوت ستمنحينني إياه. أريد أفضل شىء تجيدينه ليمتعنى عند الشراب. ويا للعجب! فلابد أن أضع فيه دمى حتى يصير مثل سيف ذى حدين.

وقالت عروس البحر: إذا أخذت صوتى، فماذا يتبقى لدى؟!

فأجابت الساحرة: جسمك الفتان وحركتك الرشيقة وعيناك اللامعتان. وبها جميعا يمكنك أن تسحرى قلب أى إنسان بالطبع! فلتخرجى لسانك الصغير حتى أقطعه مقابل أجرى، وسوف أمنحك جرعة الدواء الناجعة!»

وقالت عروس البحر :« فليكن ما يكون!»

ووضعت الساحرة الإناء الذى تعد به جرعة الدواء السحرية بحيث يجهزها للاستخدام، وقالت: «النظافة شىء طيب».

ثم نظفت الإناء بثعابين الماء بعد عقدها مع بعضها البعض. وقطعت ثديها وجعلت دمها الأسود يسيل فى الإناء.

وشكَّل البخار أشباحا عجيبة ترعب وتميت من يراها.

وفى كل لحظة كانت الساحرةتضيف شيئا جديدا إلى الإناء، حتى إذا نضجت الجرعة تماما صارت مثل دموع التماسيح. وأخيرا صارت الجرعة جاهزة وكانت مثل الماء الصافى.

وقالت الساحرة: هذه هى الجرعة الناجعة ثم قطعت لسان عروس البحر الصغيرة حتى صارت بكماء لا تتكلم ولا تغنى.

وأضافت الساحرة: إذا جاءك أى أخطبوط يريد أن يمسك بك

وأنت فى طريق العودة داخل الغابة، ألق بقطرة من هذه الجرعة عليه فسوف تنفجر أذرعه وأصابعه وتتفتت إلى ألف قطعة. ولكن عروس البحر الصغيرة ليست فى حاجة إلى ذلك، لأن الأخطبوطات فرَّت فى فزع عندما رأت الجرعة المشعة اللامعة تضىء فى يدها وكأنها نجمة متوهجة سرعان ما مرت فى الغابة والمستنقع والدوامات العنيفة.

ورأت قصر أبيها وقد أطفئت مصابيح قاعة الرقص الكبيرة فلابد أن يكون الجميع قد ناموا، ولكنها لم تجرؤ على البحث عنهم الآن وقد صارت بكماء وهى فى سبيل فراقهم إلى الأبد. وكانت كمن يتمزق قلبه حزنا.

وانسلَّت إلى الحديقة وقطفت زهرة من كل حوض من أحواض أخواتها، ووجهت إلى القصر مئات القبلات ونهضت تصعد إلى سطح البحر.

لم تكن الشمس أشرقت عندما رأت قصر الأمير، وصعدت الدرج الرخامى الرائع، وكان القمر ساطعا لامعا بوضوح. وتجرعت عروس البحر الصغيرة الجرعة الناجعة الملتهبة، وكانت كأن سيفا ذا حدين يخترق جسدها الرقيق، فأغمى عليها ورقدت كالموتى. وعندما صعدت الشمس إلى عنان السماء فوق البحر أفاقت وشعرت بألم شديد ، ولكن كان أمامها مباشرة يقف الأمير الرشيق. وثبت عينيه السوداوين عليها فحوَّلت نظرها عنه فرأت أن ذيلها الذى يشبه السمكة زال واستبدل بساقين أبيضين جميلين لا تملك أية فتاة مثلهما. وكانت عادية تماما، فغطت نفسها بشعرها الطويل. وسألها

الأمير عمن تكون وكيف أتت إلى هذا المكان، فنظرت إليه بحنان وحزن بعينيها الزرقاوتين الداكنتين لأنها بطبيعة الحال لا تستطيع أن يتكلم. وكانت كل خطوة تخطوها، كأنها تخطو فوق مثاقيب حادة أو سكاكين مسنونة كما قالت الساحرة ولكنها تحملت كل هذا بصبر وجلد. وقفت كالفقاعة بسهولة ويسر إلى جانب الأمير، فتعجب الأمير شأنه شأن أى إنسان آخر من حركتها الرشيقة الدافقة.

وهنا مُنحت ملابس ثمينة من الحرير وأثواب من القطن الرقيق، وكانت أجمل من فى القصر جميعا، ولكنها كانت خرساء لا تستطيع الكلام ولا الغناء. وجاءت فتيات من الجوارى الحسان يرتدين ملابس من الحرير والذهب، أقبلن وغنين للأمير ووالديه الملكيين، غنَّت إحداهما بصوت أعذب من أصوات الأخريات فصفق لها الأمير وابتسم. فحزنت عروس البحر الصغيرة، لأنها تعرف أنها كانت تفوقها فى الغناء وقالت لنفسها آه لو عرف الأمير أننى تنازلت عن صوتى من أجل أن أكون إلى جانبه وأن أتمتع بروح خالدة.

والآن رقصت الفتيات الجوارى رقصا جميلا وأدين حركات مبهرة على أنغام الموسيقى الحالمة وحينئذ رفعت عروس البحر الصغيرة ذراعيها الأبيضين، ووقفت على أطراف قدميها وانزلقت عبر أرضية القاعة، ورقصت كما لم يرقص أحد قبلها. وفى كل حركة كان يبدو جمالها أكثر وضوحا، وتكلمت عيناها بأعمق مما كانت الفتيات الجوارى تغنى.

وسحرت أعين الناس وخاصة الأمير الذى أسماها لقيطته

الصغيرة، ورقصت كثيرا على الرغم من أن كل لحظة تطأ قدماها الأرض كانت كما لو كانت تسير على سكاكين حادة.

وقال الأمير إنه سوف يبقى عليها إلى جواره مدى الحياة، وسمح لها بالنوم خارج غرفته على وسادة من المخمل.

وألبسها ملابس الصبية حتى ترافقه على ظهور الخيل.

وركبا خلال الغابات الطيبة الرائحة حيث مشطت الأغصان الخضراء كاهليها وغنت لها الطيور الصغيرة خلال أوراق الشجر الناضر. وصعدت مع الأمير الجبال الشاهقة، ورغم أن قدميها الرقيقين ينزفان دما رآه الأخرون ، ضحكت لهذا وتابعت السير معه حتى رأيا السحب تسرى من دونهما مثل أسراب الطيور التى تسبح فى طريقها إلى أراض بعيدة.

وعند عودتهما إلى قصر الأمير ، أقبل الليل ونام الجميع، ذهبت إلى الدَرج الرخامى وبردَّت قدميها الملتهبين بالوقوف فى ماء البحر البارد. وحينئذ فكرت فيمن يعيشون دونها فى أعماق البحر.

وذات ليلة أقبلت أخواتها كل تمسك بذراع الأخرى. وأنشدن أغنية حدادية عندما كن يسبحن فوق الماء فلوحت بيديها إليهن، فتعرفن عليها وأبلغنها كم كن تعساء بدونها وبعدئذ كن يزرنها كل ليلة حتى جاءت ليلة رأت فيها جدتها العجوز التى لم تصعد إلى سطح البحر منذ عدة سنوات مضت، كما رأت ملك البحر وقد لبس تاجه فوق رأسه ومدت الأخوات أذرعهن إليها، ولكنهن لم يستطعن الاقتراب من الشاطئ الذى تقف عليه أختهن.

وتزايد إعجاب الأمير بها يوما بعد يوم. وأحبها كما يحب المرء طفلا عزيزا عليه، ولكنه لم يتبادر إلى ذهنه أن يجعلها ملكة. وتمنت هى أن تصبح زوجته إذا متد بها العمر، وإلا لما اكتسبت الروح الخالدة ولعادت لتصير زبدا فوق سطح البحر فى صبيحة يوم زفافه.

وتحدثت عينا عروس البحرالصغيرة عندما أخذها الأمير من ذراعيها وقبلها من جبهتها الجميلة وكأنها تقول له:

ألست تحبنى أكثر من الجميع؟!

فأجابها الأمير بلى أحبك طبعا أكثر لأنك تحملين أطيب قلب. فأنت موهوبة لى، وأنت تشبهين فتاة رأيتها ذات مرة، ولكننى لم أرها بعد، إذ كنت فى سفينة غرقت فحملتنى الأمواج إلى شاطئ قريب من أحد المعابد الذى يأوى إليه العديد من الفتيات الصالحات حملتنى صغراهن إلى الشاطىء وأنقذتنى، ولم أرها سوى مرتين، وهى الوحيدة التى أحبها فى هذا العالم. وأنت تشبهينها وقد شغلت صورتك مكانها فى روحى. وهى من أتباع المعبد، وقدساقتك إلىَّ الصدفة الحسنة، وسوف لا نفترق أبدا.

وفكرت عروس البحر الصغيرة: ياللهول! فهو لا يعرف أننى أنا التى أنقذته ! فقد حملته فوق سطح البحر إلى الغابةالتى يقع فيها المعبد، ثم اختفيت تحت الزبد وانتظرت حتى أرى أى إنسان يأتى إليه وشاهدت الفتاة الجميلة التى يحبها أكثر منى ثم شهقت بعمق لأنها لا تستطيع الصراخ. وقالت لنفسها: يقول الأمير إن الفتاة من أتباع المعبد المقدس، ولن تخرج إلى هذا العالم، وسوف لا يلتقيان،

ولكننى أظل معه فأراه يوميا، وأرعاه وأحبه وأكرس حياتى من أجله.

والآن، لقد دار حديث بين الناس يقول: إن الأمير سوف يتزوج ابنة جاره الملك الجميلة. وهذا هو الذى حداه إلى أن يجهز سفينة فاخرة، أشيع أن الأمير سيسافر فيها إلى بلد الملك المجاور، ومن الطبيعى أن يرى هناك ابنته. ولابد أن يصطحب حاشية كبيرة معه.

ولكن عروس البحر الصغيرة هزت رأسها وضحكت فهى تعرف فكر الأمير أكثرمن الآخرين. فقد سبق أن أبلغها:

«أنا مضطر إلى الذهاب لرؤية الأميرة الجميلة، التى أصر والداى عليها، ولكنهما لن يستطيعا إجبارى على إدخالها منزلى عروسا لى، فأنا لا أحبها، لأنها لا تشبه فتاة المعبد الجميلة التى تشبهينها أنت. فإذا قدر لى أن أختارعروسا فأنت المرشحة لذلك يا لقيطتى الصغيرة الصماء ذات العيون المتكلمة!

وقبَّلها من فمها الوردى، وعبثت أصابعه فى شعرها الطويل وأسند رأسه إلى قلبها الذى كان يحلم بالسعادة البشرية والروح الخالدة.

وبينما هما واقفان على متن السفينة الفاخرة التى تقلهما إلى بلد الملك المجاور، قال لها الأمير: هل تخافين يا طفلتى الصغيرة الصماء من البحر؟! وأبلغها عن العواصف والهدوء والأسماك العجيبة فى الأعماق وما رأى الغطاسون فى قاع البحر فابتسمت لكل ما قص عليها، لأنها بطبيعة الحال تعلم عن قاع البحر أكثر من أى شخص آخر.

وفى ليلة قمراء، كان الجميع نياما حتى البحار الذى يدير دفة

السفينة، جلست بجوار سور السفينة وحملقت كثيرا فى الماء الصافى وكأنها تريد أن ترى قصر أبيها وفى الذروة وقفت جدتها العجوز وتاجها الفضى فوق رأسها، ثم صعدت أخواتها إلى سطح الماء، فنظرن إليها بنظرات حزينة ثم لوين أياديهن البيضاء حسرة عليها. ولوحت لهن بأيديها وابتسمت وكأنها تريد أن تبلغهن أنها سعيدة وأن كل شىء يسير على ما يرام، ولكن أحد بحارة السفينة ظهرعلى السطح فغاصت الأخوات، وظن أن اللون الأبيض الذى رآه ما هو إلا زبد طفا فوق سطح البحر.

وفى اليوم التالى دخلت السفينة ميناء عاصمة الملك المجاور ودقت جميع نواقيس الكنائس، وانطلقت الأبواق من أبراجها العالية، واصطف الجنود يلوحون بأعلامهم، بينما تلمع أسلحة البنادق البيضاء. وفى كل يوم تقام الولائم، وتعاقبت حفلات الرقص والغناء، ولكن الأميرة لم تظهر بعد، فقد قيل إنها تعلمت فى معبد قدسى بعيد، وبه تعلمت جميع الفضائل الملكية. وأخيرا وصلت.

وانتظرت عروس البحر الصغيرة فى شوق زائد لترى جمال الأميرة، وتعترف بأنها لم تر قط مخلوقا أجمل منها، فبشرتها ناعمة رقيقة ومن تحت أهدابها الطويلة الداكنة تبتسم عينان زرقاوان داكنتان.

قال الأمير: «إنها أنت! أنت التى أنقذتنى عندما رقدت على الشاطء على وشك الوفاة!» ثم تلقى عروسه الخجولة بين يديه. وقال لعروس البحر الصغيرة: «آه! إننى سعيد جدا، فما كنت أتمناه تحقق أخيرا وسوف تسعدين بحظى السعيد، لأنك تحبيننى أكثر من الجميع.

فقبلت عروس البحر الصغيرة يديه، ولكنها شعرت بأن قلبها ينفطر ففى صبيحة زفافه سوف يأتيها الموت وتتحول إلى زبد يطفو فوق سطح البحر.

دقت أجراس جميع الكنائس. وركب المنادون خيولهم وجاسوا خلال الديار يعلنون الخطبة. واحترقت فى جميع المحاريب زيوت عطرية فى مصابيح ثمينة فضية. وتأرجحت المباخر فى أيدى الرهبان، وتناول العريس بيديه يدى عروسه وتلقى كل منهما البركات من بابا الكنيسة ووقفت عروس البحر وقد ارتدت ملابس من الحرير المطعم بالذهب تمسك بذيل العروس ولكن أذنيها لم تسمعا موسيقى الاحتفال، ولم ترعيناها الحفل المقدس. وفكرت فى صباح يوم وفاتها وفى كل ما فقدت فى هذا العالم.

وفى ذات المساء ذهب العريس وعروسه إلى متن السفينة فانطلقت المدافع بالتحية ورفرفت الأعلام.

وفى منتصف ظهر السفينة نصب سرادق ملكى مخملى ذهبى ذو وسائد ناعمة، أعد لنوم العريس وعروسه فى تلك الليلة الهادئة الباردة، وملأ النسيم الأشرعة وانزلقت السفينة برقة وسهولة فوق سطح البحر الصافى.

وعندما بدأ الظلام يخيم أضيئت عدة مصابيح ملونة، ورقص البحارة على متن السفينة، الأمر الذى جعل عروس البحر تسترجع ذكرى اليوم الأول الذى صعدت فيه إلى سطح الماء وترى هذه الاحتفالات العجيبة. ورقصت كالعصفور الذى يحلق فى الهواء عندما

يكون مطاردا فصفق لها الجميع وانطلقت منهم صيحات الإعجاب، فلم يسبق لها أن رقصت بهذه الروعة.

وكلما وطأت قدماها الأرض كانت تشعر بأن سكاكين حادة تقطع أقدامها الرقيقة ولكنها لم تبد أى شعور بالألم.

وكان الألم الذى يعتصر قلبها أشد قسوة وعرفت أن هذا المساء هو آخر الأمسيات التى ترى فيها ذلك الشخص الذى تركت أسرتها ومنزلها وضحت بصوتها الجميل وتحملت فى سبيله المتاعب اليومية دون أن يدرك ذلك وتلك هى آخر ليلة تتنسم فيها نفس الهواء الذى يتنسمه، وترى البحر العميق والسماء ذات النجوم وكان ينتظرها ليل لا نهاية له ولا أحلام فيه، إذ لم تحصل على الروح التى تبتغيها ولا يبدو أنها ستحصل عليها قط.

كانت البهجة والمرح يعمان السفينة حتى بعد أن انتصف الليل. وضحت ورقصت وهى تفكر فى الموت فى قلبها.

وقبَّل الأمير عروسه الجميلة التى عبثت بشعره الداكن، ثم رافقها يدا بيد إلى السرير المعد فى السرادق الجميل.

وران الهدوء والسكينة على السفينة وظل مدير الدفة فى السفينة ونظرت إلى الشرق فى انتظار الفجر، تترقب أشعة الشمس الأولى التى تعرف أنها ستقتلها. ثم رأت شقيقاتها يسبحن فوق سطح الماء، وكان الشحوب يبدو عليهن، ولم يبد شعرهن الجميل الطويل طافيا ولا سابحا فى الهواء، فقد قصص شعرهن.

وقلن لها: «ذهبنا إلى الساحرة بطلب منها مساعدتك وإنقاذك من

الموت فى هذه الليلة فأعطتنا سكينا، وهذه هى، وانظرى كم هى حادة؟! وقبل شروق الشمس عليك أن تغمديها فى قلب الأمير! وعندما يلطخ دم الأمير قدميك فسوف يتحولان إلى ذيل سمكة وتعودين مرة ثانية إلى سيرتك الأولى عروسا للبحر تغوصين معنا إلى قاع البحر وتعيشين ثلاثمائة عام قبل أن تصيرى إلى العدم وتتحولى إلى زبد مالح فوق سطح البحر. فهيا سارعى إلى قتله، فإما أن تموتى أنت وإما أن يموت هو قبل طلوع الشمس. لقد حزنت جدتنا العجوز كثيرا حتى تساقط شعرها مثلما فقدنا شعورنا بمقص الساحرة. اقتلى الأمير وعودى إلينا! هيا هل ترين الشفق الأحمر فى الأفق؟ فما هى إلا بضع لحظات حتى تشرق الشمس وتموتين! وانطلقت منهن شهقات عميقة عجيبة قبل أن يغصن فى الماء.

وأزاحت عروس البحر الستارة المخملية من السرادق ونظرت إلى العروس الجميلة النائمة ورأسها مستند إلى صدر الأمير. ومالت عروس البحر تقبل جبهة الأمير.

ونظرت إلى السماء التى صار لونها ورديا، كما نظرت إلى السكين الحادة وأغمضت عينيها على صورة الأمير، الذى تمتم باسم عروسة وهو يحلم، فهى وحدها تشغل باله. ولمعت السكين فى يد عروس البحر، فألقت بها بعيدا بين الأمواج التى عكست لون الشفق الأحمر حيث سقطت وكأن قطرات من الدم تبقبق فى الماء. ومرة ثانية ألقت بنظرة قاتمة على الأمير ثم ألقت بنفسها من السفينة وغاصت إلى قاع البحر، وشعرت بأن جسدها يتحلل إلى زبد.

والآن، أشرقت الشمس من وراء الأمواج، فسقطت أشعتها اللطيفة على الزبد البارد الميت ولم تكن عروس البحر قد شعرت بعد بالموت. ورأت الشمس الصافية وطافت حول رأسها مئات من المخلوقات الشفافة الجميلة.

ومن خلالها استطاعت أن ترى أشرعة السفينة البيضاء والسحب الوردية فى السماء وكانت أصواتها عذبة النغمات ولكنها أثيرية بحيث لا تسمعها أسماع البشر ولا تدركها أعينهم، فليست لها أجنحة بل تسبح فى الهواء لخفة وزنها.

وشعرت عروس البحر أن جسدها صار أثيريا كأجسادها، فارتفعت فى الهواء رويدا رويدا.

وقالت وصوتها مثل أصوات المخلوقات الأخرى يدوى عبر الأثير بحيث لا تستطيع الموسيقى البشرية تقليدها:

«إلى أى شىء تحولت؟!

فأجابتها المخلوقات الأخرى: «تحولت إلى فتيات الهواء، فعروس البحر ليست لها روح خالدة ولا يمكنها الحصول عليها مالم تحب إنسانا. فخلودها يرجع إلى قوة غير معلومة، وفتيات الهواء كذلك لا يحصلن على أرواح خالدة كذلك، ولكن بالعمل الصالح يمكنهن اكتسابهابأنفسهن. ونحن نطير فى البلاد الحارة حيث تقتل الرطوبة والأوبئة البشر، ولكن هناك نهب كالنسمات الباردة، وتبث روائح الأزهار فى الهواء ونبعث النشوة والعلاج. وبعد نضال يدوم ثلاثمائة عام نفعل فيها الخير يمكننا الحصول على روح خالدة وتشارك البشر

فى سعادتهم الدائمةالسرمدية.

فيا عروس البحر الصغيرة، لقد ناضلت بكل قلبك من أجل هذا الهدف، فناضلت وتحملت المعاناة، ولهذا فقد رفعت إلى عالم الأرواح فى الهواء. والآن بعملك الصالح اكتسبت لنفسك روحا خالدة بعد ثلاثمائة عام.

ورفعت عروس البحر الصغيرة ذراعيها الشفافين إلى شمس الله فى عليائها، ولأول مرة تذرف الدموع.

وفى السفينة عادت الحياة والحركة، فرأت الأمير وعروسه الرقيقة يبحثان عنها، فنظرا آسفين إلى الزبد المبقبق كما لو كانوا يظنون أنها ألقت بنفسها فى البحر. وقبَّلت جبين العروس وهى غير مرئية وابتسمت للأمير قبل أن تصعد مع الأطفال الآخرين إلى الهواء فى السحب الوردية التى تسبح فى الهواء.

«وبعد ثلاثمائة عام سنطفو مثل هذا فى ملك الله!»

وهمس أحدهم: يمكننا أن نأتى إليه مبكرا. فنسبح فى منازل البشر حيث توجد الأطفال، وفى كل يوم نجد طفلا صالحا يسعد والديه ويستحق حبهم، يقصر الله فترة معاناتنا. ولا يعلم الطفل إننا نسبح فى غرفته، وعندما نبتسم فرحين يمر عام من الثلاثمائة. وإذا رأينا طفلا شقيا شرسا، نبكى بدموع الأسى وكل دمعة تضيف يوما إلى فترة معاناتنا!»

ملكة الجليد
(مغامرة فى سبع حكايات)

الحكاية الأولى
عن المرآة وشذورها

انظر هناك! الآن سوف نبدأ. وعندما نأتى إلى نهاية الحكاية، سنعرف أكثر مما نعرف الآن، بسبب الطُّعم الشرير! إذ كان واحدا من أسوأ ما يكون، كان شيطانا. فذات يوم كان فى حالة انسجام تام، لأنه صنع مرآة ذات خاصية تجعل كل شىء جيد وجميل إذا انعكس عليها صار لا شىء، ولكن أى شىء تافه وقبيح صار أسوأ مما كان عليه. فأجمل المناظر الريفية تبدو فيها مثل السبانخ المطهية، بينما يبدو أفضل الناس قميئا يقف على رأسه وليس له بطن، ويصير وجهة مشوها بحيث لا يمكن تمييزه، فإذا كان بوجهه نمش انتشر على أنفه وفمه كذلك، قال الشيطان: «إنها لتسلية عظيمة» والآن، إذا كان لشخص فكر إيمانى طيب، ظهرت فى المرآة بسمة عريضة،

وضحك شيطان الطُّعم على هذا الاختراع الغريب. وكل من ذهب إلى مدرسة الطُّعم – التى يديرها الشيطان – نشر الخبر أن معجزة قد حدثت: ففى المرة الأولى، وسوف ترى الآن كيف يبدو العالم وكل البشر فى الحقيقة. داروا بالمرآة، وأخيرا لم توجد أرض ولا شخص إلا وقد شوهته. وأرادوا الآن أن يطيروا إلى السماء ذاتها، ليسخروا من الملائكة.. والحقيقة أنهم كلما طاروا عاليا بالمرآة، اتسعت البسمة الساخرة! وتعذر عليهم الإمساك بها وطاروا أعلى وأعلى حتى اقتربوا من الملائكة.. وحينئذ اهتزت المرآة بشدة فى بسمة ساخرة حتى هوت من أيديهم وسقطت على الأرض فتحطمت إلى مئات البليونات بل يزيد – من الشذور الدقيقة، فأحدثت أضرارا أكثر خطرا عما سبق، لأن بعض الشذور كانت تزيد حجما عن حبة الرمل، انتشرت فى أنحاء العالم، فإذا استقرت فى عين شخص ظلت كامنة حتى يرى كل شىء خاطئا أو يرى مساوئ الأشياء وعيوبها، ذلك لأن الجزىء الدقيق من كسر المرأة احتفظ بقدرة المرآة الكاملة. ودخلت بعض شذور المرآة الدقيقة إلى قلوب بعض الناس فحولت القلب إلى كتلة من الجليد، وهو أمر مرعب حقا. أما بعض الشذور الكبيرة من المرآة فقد استخدمها البعض زجاجا للنوافذ، ولكن من المرغوب فيه ألا ينظر أحد إلى أصدقائه من خلال زجاج النوافذ هذا. وصارت بعض الشذرات الأخرى نظارات، يتعذر على من يستخدمها أن يرى جيدا أو يتصرف تصرفا حسنا. وضحك الشيطان ملء شدوقه حتى انفجر جانباه، ثم هاج وصار لونه قرنفليا.

وما زالت جزئيات دقيقة من شذور المرآة عالقا فى الهواء.

دعونا الآن نرى ماذا حدث!

الحكاية الثانية

ولد صغير وبنت صغيرة

فى إحدى المدن الكبرى يوجد الكثير من المنازل والناس الذين لا يتمتعون بفراغ كافٍ لاقتناء حديقة صغيرة، لجأ البعض إلى اقتناء زهور فى الأوعية، وكان فيها طفلان مسكينان لهما حديقة صغيرة، تكبر نوعا عن وعاء الذهور. ولم يكونا شقيقين، ولكنهما كانا معجبين بأحدهما الآخر كما لو كانا حبيبين. وتسكن أسرتاهما بجوار بعضهما البعض فى غرفتين فوق أسطح منزلين سقفاهما متجاوران، ولكل غرفة نافذة بها ألواح زجاجية تواجه إحداهما الأخرى.

فإذا قفز أحد الطفلين من النافذة وصل إلى النافذة الأخرى. وفى خارج كل غرفة احتفظ الآباء بصندوق خشبى كبير زرعوا فيه أعشابا يستخدمونها بالإضافة إلى شجرة ورد صغيرة تنمو بنضرة فى كل صندوق. وقد لجأ الأباء فى كل غرفة إلى فكرة وضع الصناديق بجوار نوافذ الغرفتين حتى يبدو للناظر من الزجاج أن هناك حوضين من الزهور. وتدلت كرمة البازلاء من الصندوقين وبرزت أغصان شجيرات الورد وتشابكت حول النوافذ ومالت إحداهما على الأخرى، حتى صارت أشبه شىء بقوس نصر من خضرة وأزهار. ولما كانت الصناديق عالية علم الطفلان أنهما لا يستطيعان تسلقها، ولكنهما كثيرا ما يسمح لهما بالخروج والجلوس

على مقعديهما الصغيرين تحت شجرتى الورد، حيث يلعبان كيفما يشاءان.

فإذا أقبل الشتاء تبددت هذه السعادة. فالنافذتان متجمدتان تماما، حيث تعين على الطفلين أن ينظرا إلى بعضهما خلال ثقوب فى جليد النوافذ صنعاها بتسخين عملات معدنية على مواقد القرميد ووضعها على زجاج النوافذ المتجمد، ومن خلالهما يرى أحدهما الآخر. ومن خلف كل ثقب تطل عينان رقيقتان للولد الصغير وللبنت الصغيرة. فالولد يدعى كيى والبنت تدعى جيردا.

ففى الصيف يستطيع أحدهما أن يصل إلى الآخر بقفزة من النافذة بينما فى الشتاء يتعيَّن عليهما نزول بضع درجات من السلم ثم صعود بضع درجات من السلم الآخر حيث ينجرف الجليد.

وقالت الجدة العجوز: «النحل الأبيض يحلِّق فى ذرافات»

وسألها الولد الصغير: «هل لهم ملكة كذلك؟»

وكان يعرف أن هناك ملكة بين النحل الحقيقى.

وقالت الجدة العجوز: «نعم، لهم ملكة، تطير حيث يطير الحشد فى أكبر كثافة، وهى أكبرهم حجما ولا تظل قابعة على الأرض، بل تصعد فى طيرانها حتى السحب الداكنة. وفى كثير من ليالى الشتاء تطير فى شوارع المدينة وتنظر إلى النوافذ بشغف وكأن بها زهورا رغم تجمدها بالجليد.

وقال الطفلان بعد أن تبينا أنها الحقيقة:« نعم، لقد رأينا ذلك!»

وسألت البنت الصغيرة:«هل تستطيع ملكةالجليد أن تأتى إلى هنا؟»

وقال الولد: «دعيها تدخل، فسوف أضعها على الموقد الساخن كى تذوب.

ولكن الجدة مسحت بيدها شعره وقصت عليهما حكايات أخرى.

وفى المساء، بعد أن عاد كيى الصغير إلى منزله، وخلع نصف ملابسه، وقف فوق الكرسى المجاور للنافذة ونظر من خلال الثقب الصغير. وكانت قطع قليلة من الجليد تتساقط، وظلت أكبر قطعة منها راقدة على حافة أحد صناديق الزهور. ونمت وتضخمت قطعة الجليد حتى صارت امرأة كاملة، تدثرت بأرق شاش أبيض يبدو كما لو كان مصنوعا من الملايين من قطع جليدية تشبه النجوم. كانت جميلة وكبيرة، ولكنها من جليد لامع براق، حتى دبت فيها الحياة، ولمعت عيناها كما تلمع النجوم ولكن ليس فيهما سلام ولا راحة. وأومأت برأسها إلى النافذة وأشارت بيدها. فارتعد الولد الصغير وقفز من فوق الكرسى. ثم بداله أن طائرا ضخما طار أمام النافذة.

وفى اليوم التالى بدأ الدفء وذوبان الجليد حتى أقبل الربيع، سطعت الشمس وظهرت النباتات على سطح الأرض، وبنت الطيور أعشاشها وفتحت النوافذ وعاد الأطفال الصغار إلى الجلوس فى حدائقهم الصغيرة.

وفى هذا الصيف ازهرت الورود بغزارة، وحفظت البنت الصغيرة ابتهالات دينية وردت فيها الورود، التى ذكرتها بالورود التى تقتنيها، فأنشدتها للولد الصغير الذى رددها معها:

«ورود تنمو فى الوادى

والطفل القدسيّ أنادى»

وقبَّل الطفلان الورود وسارا معا يدا بيد يتطلعان إلى شمس الله الساطعة ويحدثانها وكأنها الطفل اليسوع. ما أبهج أيام الصيف هذه، وما أعجب أن تكون بجوار أشجار الورد الطبيعية التى لا تريد أن تكف عن بث البراعم.

جلس كيى وجيردا يطالعان كتابا مصورا عن الحيوانات والنباتات. وحين دقت أجراس برج الكنيسة الكبيرة الساعة الخامسة قال كيى: « آه، لقد أصابنى شىء فى قلبى! ودخل فى عينى شىء ما!

وطوقته البنت الصغيرة بذراعيها حين أغمض ثم فتح عينيه وقالت لا أرى فيهما شيئا.

وقال الولد: « أظن أنها راقت» ولكنها لم ترق، بل دخلتها شذرة من شذور الزجاج الذى قفز من المرآة السحرية. ويذكرنا هذا بالزجاج الذى قفز من المرآة السحرية. ويذكِّرنا هذا بالزجاج الخبيث الذى يحوِّل كل شىء جميل وكبير ينعكس عليها إلى بغيض وصغير، بينما يظل الشرير الخبيث على حالة، ويبدو كل خطأ فى الشىء واضحا مجسما فى الحال. مسكين أنت يا كيى! لقد أصابه جزء فى قلبه، سيحيله قريبا إلى كتلة من الجليد. ولن يشعر بأذاه الآن، إلا أنه موجود على أية حال.

وسألها:« لماذا تبكين؟ فأنت تبدين قبيحة جدا. وبكى فجأة وقال: « أعوذ بالله! لا أرى فى نفسى شيئا خطأ! وهذه الوردة أكلها الدود.

انظرى إلى تلك الوردة هى الأخرى عودها معوج، والحقيقة أن حزمة الورود هذه قبيحة المنظر، فهى تبدو مثل الصناديق التى تنمو فيها!»

ثم ركل الصندوق بقدمه بشدة ونزع منه الوردتين.

وصاحت البنت الصغيرة:«كيى! ماذا تفعل!» وعندما رآها منزعجة نزع وردة أخرى بشدة وابتعد عن جيردا الصغيرة مارا خلال نافذته.

وعندما جاءت مرة أخرى ومعها كتاب مصور قال لها إنه يناسب الأطفال! وإذا قصت عليه جدته حكايةاعترضها دائما قائلا: «ولكن..» فإذا سنحت له الفرصة سار وراءها وقد دخلت الزجاجة فى عينيه وقلدها فى الحديث تماما حتى يضحك الناس من حوله. واستطاع أخيرا أن يقلد صوت ومشية كل من يسير فى الشارع. وعرف كيى كيف يقلد غرائبهم وعيوبهم حتى قال عنه الناس:

«من المؤكد أن هذا الولد له رأس عبقرى!» ولكن الزجاجة التى دخلت فى عينه والزجاجة التى استقرت فى قلبه هما المسئولتان عن كل هذا وهما السبب كذلك فى إغاظة جيردا الصغيرة التى امتلأ قلبها بحبه.

واختلفت مداعباته تماما عما سبق، إذ صارت أكثر تعقلا، ففى أحد أيام الشتاء تكدست أكوام من الجليد فى كومة كبيرة، فأخذ زجاجة كبيرة ساخنة بطرف معطفه الأزرق وجعل أكوام الجليد تسقط فوقها.

وقال لجيردا: «انظرى الآن إلى الزجاجة!» فقد صارت كل كومة

جليدية أكبر مما كانت عليه، وبدت كأنها زهرة بديعة أو نجمة ذات عشرة أركان، تسر الناظرين.

وقال كيى: «انظرى كيف صارت مبهجة؟ فهى أكثر إثارة من الزهور الطبيعية! وليس بها عيب واحد، فهى دقيقة جدا طالما لم تذب.

وبعد قليل ظهر كيى وفى يده قفاز كبير وعلى ظهره زلاقة. وصاح فى أذنى جيردا: «سمح لى أبواى بأن أذهب للتزحلق فى الميدان الكبير الذى يلعب فيه الآخرون. ثم انطلق.

وفى الميدان غالبا ما يربط أكثر الأولاد جرأة زلاقاتهم فى عربة الفلاح حتى يقطعوا مسافة كبيرة معها. وهذا الأمر يبعث المرح. وبينما كانوا يلعبون أقبلت مركبةانزلاق تجرها الحيوانات، ذات لون أبيض، ويجلس بداخلها نفر متدثر بغراء أبيض ويضع على رأسه قلنسوة من الفراء الأبيض. دارت المركبة دورتين فى الميدان، وتمكن كيى من ربط زلاقته الصغيرة بسرعة فى المركبة وسار معها. تحركت أسرع وأسرع مباشرة فى الشارع التالى. واستدار قائد المركبة برأسه فرأى كيى وأومأ برأسه إيماءة لطيفة، وكأنهما يعرفان أحدهما الآخر. وأراد كيى أن يفك زلاقته من المركبة ولكن القائد أوما إليه ثانية حتى بقى كيى ثم قاد القائد مركبته مباشرة خارج بوابة المدينة. وبدأ الجليد يتساقط بكثافة لم يستطع معها الولد الصغير أن يرى يدا أمامه وهو متحرك. وحاول فك الحبل من المركبة دون جدوى وتحركت مركبته سريعا وانطلقت مثل الريح وصرخ

صرخة مدوية لم يسمعها أحد، وتكدست أكوام الجليد واندفعت فوقها مركبة الانزلاق. وبين حين وآخر صارت تقفز كما لو كانت تطير فوق الحفر والأسوار. وتملكه الفزع كثيرا حتى تمنى أن يصلى ويدعو الله بالنجاة، ولكنه لم يتذكر إلا جدول الضرب الكبير.

صارت أكوام الجليد أكبر وأكبر، وأخيرا ظهرت كأنها دجاجات كبيرة بيضاء، وفجأة قفزت جانبا وتوقفت مركبة الانزلاق الكبيرة، وقف من كان يقودها وقد غطى الجليد معطفه وقبعته. وكانت امرأة طويلة وهيفاء تلمع بالبياض، هى ملكة الجليد.

وقالت: «تقدمنا كثيرا، ولكن ألست تتجمد؟

ازحف إلى معطفى المصنوع من جلد الدب.» وحينئذ جلس بجوارها فى المركبة ولف نفسه بفرائها وكان أشبه شىء بمن يغوص فى كومة من الجليد.

وسألته بعد أن قبَّلته فى جبينه: «هل مازلت متجمدا؟» آه! كانت القبلة أبرد من الثلج، سرت مباشرة إلى قلبه الذى صار نصف كتلة من الجليد.

وشعر بأنه يموت، ولكن للحظة وجيزة ثم تيسرت الأمور، ولم يعد يشعر بالبرد حوله.

وحينئذ تذكر زلاقته فصاح: «زلاقتى لا تنس زلاقتى!» وكانت مربوطة فى إحدى الدجاجات البيضاء، التى طارت بها وهى على ظهرها. ثم قبَّلت ملكةالجليد كيى مرة ثانية، حتى نسى جيردا الصغيرة وجدته وكل من بمنزله.

وقالت له: «الآن، لن تحصل على قبلات بعد، وإلا قبَّلتك حتى الموت!»

نظر كيى إليها وكانت رائعة الجمال، تتمتع بالحكمة وبهاء الطلعة بشكل لا يتصوره ولم تعد تبدو كأنها من الجليد، حيث بدت فى ذلك الوقت كأنها تجلس خارج النافذة وتلوِّح له، وبدت كاملة فى نظره، ولم يعد يخشاها. وأبلغها أنه يعرف الحسابات الذهنية حتى الكسور، ويعرف مربع الأميال للأقطار وكم عدد سكانها. وكانت تبتسم له دائما. وبدا أن كل ما يعرفه يبدو ضئيلا. ونظر إلى أعلى ليرى السماء الفسيحة. وطارت معه عاليا فوق السحب الداكنة، وزمجرت العاصفة وزأرت– وكانت تشبه القصائد والأناشيد القديمة وهى تغنى. طارا فوق الغابات والبحيرات، فوق البحار واليابسة، وصفَّرت انفجارات الجليد من تحتهما وعوت الذئاب ولمع الجليد ومن فوقها صرخت الغربان الغاضبة وبدا القمر كبيرا ولامعا، ونظر كيى إليه طوال ليالى الليل الطويلة. وفى النهار رقد تحت أقدام ملكة الجليد.

الحكاية الثالثة

حديقة زهور المرأة الضليعة فى الشعوذة

ولكن كيف كان حال جيردا الصغيرة عندما علمت أن كيى لم يعد ثانية؟ وأين ذهب بعد كل هذا؟ لا يعرف أحد، ولا يستطيع أحد أن يتنبأ بشىء. فقد قال الأولاد إنهم رأوه يربط زلاجته فى مركبة الانزلاق الكبيرة الجميلة التى مرت بالشارع وخرجت من بوابة

المدينة. ولا يعرف أحد أين ذهب، وانهمرت الدموع من عينى جيردا الصغيرة وصارت تبكى كثيرا.

ثم قالوا إنه مات غريقا فى النهر المجاور للمدينة. آه، يالها من أيام شتاء قاحلة.

والآن أقبل الربيع بشمسه الدافئة. وقالت جيردا الصغيرة: «يا للحسرة لقد مات كيى!»

وقالت أشعة الشمس:« لا أظن ذلك!»

وقالت جيردا للعصافير:«لقد مات كيى ولن يعود»!

فأجابت العصافير: «لا نظن ذلك!» وأخيرا ظنت جيردا الصغيرة فى ذلك أيضا.

وذات صباح باكر قالت: سوف ألبس حذائى الأحمر الجديد، وهو الذى لم يره كيى، وأذهب إلى النهر وأسأله عنه كذلك!»

كان الوقت مبكرا. فقبَّلت جدتها العجوز التى كانت نائمة ولبست حذاءها الأحمر وسارت وحيدة من بوابةالمدينة إلى النهر.

وسألته: «هل حقا أخذت رفيق طفولتى الصغير؟ سوف أعطيك حذائى الأحمر هدية إذا أعدته إلىَّ ثانية!»

وبدالها أن الأمواج الكبيرة أومأت إليها بغرابة. وحينئذ خلعت حذاءها الأحمر، أعز ما تمتلك وألقت به فى النهر، فسقط بالقرب من الشاطء فحملته الأمواج وردته إلى الشاطئ. ويبدو أن النهر لا يريد أن يحرمها من أعز شىء لديها. وفى آخر الأمر لم يأخذ كيى الصغير قط.

وظنت أنها لم تقذف الحذاء بعيدا بالقدر الكافى، ولهذا تسللت إلى زورق واقف بين الشجيرات فى الأدغال.

وذهبت به إلى أبعد مكان تقذف منه الحذاء، ولكن الزورق لم يكن مربوطا جيدا فتحرك بها بعيدا عن الأرض. وعندما لاحظت ذلك حاولت الخروج منه، ولكنها ما إن وصلت إلى خلفية الزورق حتى كان انزلق بعيدا عن الشاطئ بسرعة.

وارتعدت فرائص جيردا الصغيرة وصارت تصرخ ولكن دون أن يسمع صراخها أحد إلا العصافير، التى لم تستطيع أن تحملها إلى اليابسة. وكل ما فعلته العصافير أن طارت وهى تغنى على امتداد الشاطىء وكأنها تهدئ من روعها، قائلة: «نحن هنا! نحن هنا!» وطفا الزورق وسار مع تيار النهر وجلست جيردا الصغيرة هادئة فى جوربها بعد أن عام حذاؤها الأحمر خلفها، لأنه لم يستطع أن يلحق بالزورق الذى اكتسب سرعة التيار.

كان منظر كلا الشاطئين جميلا، ففيه الزهور الجميلة والأشجار العتيقة والأغنام والأبقار، دون أن ترى شخصا واحدا.

وظنت جيردا الصغيرة:« ربما يحملنى النهر إلى كيى الصغير»وهذا الظن طمأنها قليلا فوقفت تحملق فى الشواطئ الخضراء النضرة عدة ساعات، حتى أتت إلى بستان كرز كبير فيه منزل عجيب نوافذه حمراء وزرقاء وسقف مغطى بالقش وفى الخارج جنديان خشبيان يحملات البنادق المصوبة إلى كل من يقترب من الشاطئ فى النهر.

فنادتهما جيردا الصغيرة حيث ظنت أنهما أحياء، ولكن أحدا لم يجب بطبيعة الحال، فاقتربت منهما لأن الزورق انجرف نحو الشاطئ.

وصاحت جيردا بصوت عال حتى خرجت من البيت امرأة عجوز جدا تستند إلى عكاز معقوف. وكانت تضع على رأسها قبعة كبيرة واقية من الشمس مزينة برسوم لزهور جميلة.

قالت المرأة العجوز: «أيتها الطفلة المسكينة، كيف أتيت فى هذا النهر القوى العظيم وسافرت بعيدا إلى هذا العالم الفسيح؟» وحينئذ نزلت السيدةالعجوز إلى الماء وشبكت الزورق بعكازها المعقوف وجذبته إلى الأرض وأخرجت منه جيردا الصغيرة.

وسعدت جيردا بوصولها إلى اليابسة ولكنها خافت من السيدة العجوز العجيبة.

فقالت العجوز: «خبرينى، من أنت وكيف أتيت إلى هنا؟»

وقصت جيردا عليها كل شىء، وهزت السيدة العجوز رأسها وقالت: «هى! هى! وعندما سألتها جيردا عما إذا كانت رأت كيى الصغير، أخبرتها العجوز أنها لم تره ولكنه ربما يكون بعيدا هناك، فلا تحزنى ، بل عليك أن تتذوقى كرزى وتتمتعى بزهورى، فهى أجمل بكثير من الزهور المصورة فى الكتب، وكل منها تحكى حكاية كاملة. ثم أخذت جيردا من يدها ودخلتا البيت الصغير ثم غلَّقت الباب.

كانت النوافذ عالية وزجاجها ملون بالأحمر والأزرق والأصفر. وسطع ضوء النهار بكل الألوان بشكل عجيب، وحملت المائدة أطيب

الثمار من الكرز، فأكلت جيردا ما طاب لها أن تأكل، ثم مشطت العجوز شعرها بمشط ذهبى وتضفر شعرها الأصفر ولمع بجمال حول وجهها الصغير الجميل، الذى يشبه الوردة فى استدارته.

وقالت العجوز: «كم كنت مشتاقة لبنت صغيرة جميلة مثلك! ولسوف ترين كيف نكون صديقتين!» وعندما كانت تمشط شعر جيردا الصغيرة، نسيت رفيق طفولتها الصغير كيى. ونظراً إلى أن المرأة العجوز ضليعة فى السحر، ولم تكن ساحرة شريرة، بل أبدت شيئًا قليلا من السحر من أجل متعتها فقط وها هى الآن تريد الاحتفاظ بجيردا الصغيرة. ولهذا ذهبت إلى الحديقة وضمت بعكازها المعقوف كل أشجار الورد التى كانت ناضرة جميلة الإزهار، فسقطت وغاصت فى الأرض السوداء، ولا يعرف أحد عن مصيرها شيئًا.

وخشيت العجوز أن تظن جيردا أنها ستلقى مصير أشجارالورد وتتذكر مصير كيى الصغير، فتفر هاربة.

والآن، قادت جيردا إلى حديقة الزهور. ياللعجب!

كم كانت رائحتها طيبة ومميزة! فكل زهرة خصبة فى كل مواسم السنة تقف هنا رائعة مزهرة، بشكل غير مألوف فى الكتب المصورة. وقفزت جيردا فرحا ولعبت حتى غربت الشمس خلف أشجار الكرز الطويلة.

وهيأت لها الساحرة سريرا وثيرا ذا فراش من حرير، مزينة بزهور البنفسج، فنامت فيه وصارت تحلم بما تحلم به الملكات فى أيام زفافها.

وفى اليوم التالى لعبت ثانية بالأزهار تحت أشعة الشمس الدافئة حتى مرت عدة أيام وعرفت جيردا كل الزهور، ورغم كثرتها بدى لها أن زهرة غائبة. ولكن أية زهرة لم تكن تعرفها، وفى ذات يوم جلست تنظر إلى قبعة الشمس الخاصة بالسيدة العجوز، ذات الزهور المرسومة عليها، وكانت أجملها وردة. ونسيت العجوز أن تنزعها من قبعتها عندما غطست الزهور الأخرى فى الأرض. وتلك هى الطريقة للنسيان لمن غاب وعيه.

قالت جيردا: ماذا؟ هل توجد أية ورود هنا؟»

ثم جرت بين أحواض الزهور باحثة ومنقبة ولكن دموعها الثخينة الحارة سقطت فى البقعة التى غاصت فيها شجرة الورد، وما كادت الدموع تبلل الأرض حتى برزت فجأة تلك الشجرة التى سبق أن غاصت حافلة بالزهور. فاحتضنتها جيردا بزراعيها وقبلت الورود وتذكرت الورود الجميلة التى كانت بمنزلها كما تذكرت كيى الصغير.

وقالت البنت الصغيرة: «آه! كيف تأخرت! يا للعجب! لقد كنت أبحث عن كيى. ألا تعرفين أين ذهب؟ ألا تظنين يا أيتها الورود أنه مات ولن يعود؟!

فقالت الورود: «إنه حى يرزق ولم يمت. وللتأكيد، لقد كنا فى باطن الأرض حيث يوجد الأموات، ولم نر كيى هناك».

وقالت جيردا الصغيرة: «شكرا لكم!» وذهبت إلى الزهور الأخرى ونظرت إلى كئوسها وسألتها:« ألاتعرفن أين كيى الصغير؟»

ولكن كانت كل زهرة تقف تحت أشعة الشمس تحلم بحكايات

الحوريات معها وبتاريخها، وعملت جيردا الصغيرة من كثير منها أن أحدا لم يعرف عن كيى شيئا.

والآن، ماذا قالت زهرة حنك السبع؟

قالت:«هل تسمعين دقات الطبل؟ بوم! بوم! لها مقطعان واستمعى إلى صيحات الرهبان! إذ تقف زوجة الهندوسى فى ثوبها الأحمر الطويل أمام المحرقة حيث يلتهمها اللهب هى وزوجها الميت. ولكن زوجة الهندوسى تفكر فيمن بقى حيا هنا فى الميدان، ذلك الشخص الذى تشع عيناه حرارة أشد من اللهب، ذلك الشخص الذى أتت عيناه اللتان تحترقان أقرب إلى قلبها من النار التى تحرق جسدها وجسد زوجها حتى تحيلهما إلى رماد. فهل تموت حرارة القلب فى لهب المحرقة؟»

وقالت جيردا الصغيرة:« أنا لا أفهم هذا بالمرة!»

فقالت زهرة حنك السبع:« تلك هى قصتى!»

وماذا يقول اللبلاب؟

قال:« يتعلق بذيل الجبل الضيق قصر باروني قديم، تنمو فيه أشجار قصيرة مزهرة بكثافة حول الجدران الحمراء العريقة، وتنثر أوراقها ورقة ورقة حول الشرفة التى توجد بها فتاة جميلة تستند إلى سور الشرفة وتطل على الطريق. ولا تتدلى وردة من غصن أنضر منها. وليست هناك زهرة التفاحة تحملها الرياح أكثر منها رشاقة، وما أبهى. ثوبها الطويل وهو يصدر حفيفا لسوف يحضر بعد كل هذا!»

وسألته جيردا الصغيرة:« أتعنى به كيى؟»

فأجابها اللبلاب:« إننى أتحدث عن قصتى وحلمى فقط» وماذا قالت قطرة الجليد؟

قالت:«علقت لوحة طويلة بالحبال بين الأشجار وصارت أرجوحة تتأرجح عليها طفلتان صغيرتان ترتديان ثيابا بيضا كالثلج، وتخفق من قبعتيهما أشرطة طويلة خضراء من الحرير ويقف بجوار الأرجوحة أخوهن الذى يكبرهن يلف حبلا حول ذراعه ليمسكه، بينما يقبض بإحدى يديه زبدية صغيرة، وفى الأخرى أنبوبا من الصلصال، ينفخ فيه فيطلق فقاعات، ومازالت الأرجوحة تتأرجح والفقاعات تحلق فى الجو بألوان بديعة متغيرة. ومازالت آخر فقاعة عالقة بالأنبوب وهى تخفق فى الهواء، والأرجوحة فى حركة دائبة. وقد وقف الكلب الصغير على رجليه الخلفيتين بخفة مثل الفقاعات وأراد أن يمتطى الأرجوحة، التى أطاحت به وصار ينبح بغضب بينما الفقاعات تنفجر. وكانت أغنيتى هى: أرجوحة تأرجحت ورغوة تطايرت».

فقالت جيردا: «ربما كان كل ما قلت جميلاً وأنت تذكره بامتعاض دون أن تذكر شيئا عن كيى. فماذا تقول النباتات العطرية؟

تقول: «كانت هناك ثلاث أخوات جميلات رقيقات كالنسيم، ترتدى أولاهن ثوبا طويلا أحمر، والثانية ترتدى ثوبا طويلا أزرق، والثالثة ترتدى ثوبا طويلا أبيض.

تشابكت أيديهن وهن يرقصن على شاطئ البحيرة الهادئة تحت ضوء القمر اللامع. لم يكنَّ جنيات ولكن كن من البشر. وانبعثت

رائحة طيبة اختفت على إثرها الفتيات فى الغابة، زادت شدة الرائحة العطرية: فهناك ثلاثة توابيت ترقد فيها الفتيات الثلاث الجميلات، وانزلقت التوابيت من الغابة الكثيفة عبر البحيرة. وطارت اليراعات تضوى وكأنها شمعات تحلق فوقهن. فهل كانت الفتيات الراقصات نائمات أم أمواتا؟ تقول رائحة الزهور إنهن جثث، وتدوى أصوات الأجراس للأموات!.

وقالت جيردا الصغيرة:«جعلتنى بائسة، فرائحتك العطرية قوية جعلتنى أفكر فى الفتيات الراحلات ياللسماء! فهل كيى الصغير ميت حقا؟ فالورود فى الحديقة تنفى ذلك!»

دقت أجراس النباتات العطرية وقالت:«دينج دونج!

نحن لا ندق على كيى الصغير، لأننا لا نعرفه. نحن نردد تراتيلنا التى نعرفها فقط!».

وذهبت جيردا إلى الزهرة البرية الصفراء، التى برزت من الأوراق الخضراء اللامعة. وقالت لها:«أنت شمس صغيرة لامعة، خبِّرينى إذا عرفت شيئا أين أجد رفيق طفولتى؟

ولمعت الزهرة البرية الصفراء بأناقة ونظرت إلى جيردا. فأى نشيد ترتله الزهرة البرية الصفراء بالصدفة لن يكون عن كيى.

قالت الزهرة البرية الصفراء:«فى أول يوم من أيام الربيع سطعت شمس الله دافئة فى فناء صغير. تسللت الأشعة إلى الحائط الأبيض المجاور التى تنبت بجواره أول زهور صفراء تلمع كالذهب تحت أشعة الشمس الدافئة. وكانت جدتى العجوز تجلس فى مقعدها،

بينما حضرت الحفيدة الجميلة المسكينة التى تخدمها إلى المنزل لزيارتها فقبلت جدتها فوجدت الذهب على شفتيها والذهب على الأرض والذهب حولها فى الصباح. انظرى! هذه هى كل قصتى.».

وشهقت جيردا وقالت: «جدتى العجوز المسكينة! نعم، ربما كانت تحزن علىَّ مثلما حزنت على كيى الصغير. ولكننى سأعود إلى منزلى وأحضر معى كيى الصغير. فلا فائدة من سؤال الأزهار التى لا تعرف سوى أناشيدها ولن تخبرنى بشىء. ثم رفعت ثوبها قليلا حتى تستطيع أن تجرى أسرع، ولكن زهرة النرجس ربتت على ساقها وهى تقفز من فوقها.

فتوقفت ونظرت إلى الزهرة الطويلة وسألتها:« هل تعرفين شيئا بالمصادفة؟ ومالت عليها فماذا قالت لها؟

قالت النرجسة: «أنا أرى نفسى ! أنا أرى نفسى! آه.. آه! ما أطيب رائحتى ! ففى غرفة صغيرة فوق سطح أحد المنازل وقفت راقصة صغيرة وقد ارتدت نصف ثيابها. وهى تقف الآن على قدم واحد، وحينئذ على الاثنين! وهى ترفس كل العالم ولم تكن سوى وهم منظور. وتصب الماء من إبريق الشاى على قطعة من القماش تمسكها، هى حزام الوسط خاصتها. فالنظافة شىء طيب. وقد غسلت ثوبها الأبيض وعلقته على المشجب حتى يجف فوق السقف، وهى ترتديه وتضع وشاح العنق الزعفرانى الأصفر حول عنقها.

وحينئذ يبدو الثوب أكثر بياضا وإذا علقت أرجلها فى الهواء سارت على ساق واحد! نظرى ! أنا أرى ذاتى، أنا أرى ذاتى!.

وقالت جيردا: «أنا لا أهتم بهذا فليس فيه شيء يفيدنى ثم هرولت إلى طرف الحديقة.

كانت البوابة مغلقة ، ولكنها حركت الترباس الحديدى الصدئ جانبا حتى انفك وفتحت البوابة وحينئذ جرت جيردا الصغيرة حافية القدمين إلى العالم الفسيح وأخيرا أدركها التعب ولم تستطع الجرى بعد، فجلست على حجر كبير.

وعندما نظرت حولها رأت الصيف فى نهايته، وأتت إلى آخر الخريف ولا يمكن أن ترى هذا على الإطلاق فى الحديقة الجميلة، حيث الشمس دائما ساطعة والزهور تزهر فى كل موسم. وقالت جيردا الصغيرة: يا إلهى! كيف أتوقف!.

ياللعجب! إنه الخريف! لا يمكن أن أستريح ثم نهضت لتواصل السير.

آه! كم أصاب قدماى من ألم ومن تعب، والدنيا من حولى تبدو باردة وغاضبة. وكانت أشجار الصفصاف تساقط الماء من أوراقها الصفراء، وتتساقط أوراقها الواحدة تلو الأخرى. ولم تكن تحمل الثمار إلا الأشجار ذات الزهور البيضاء، ولكن ثمرها مر يلسع الفم. آه، يبدو العالم الفسيح كئيبا وخاويا.

الحكاية الرابعة

الأمير والأميرة

آن لجيردا أن تستريح. وحينئذ وثب غراب ضخم وحط على كومةمن الجليد تقع أمام الحجر الذى جلست عليه. وظل لمدة طويلة

واقفا ينظر إليها ويهز رأسه، استنكارا، ثم قال:«قاق!قاق! جودا! جودا! ولم يستطع أن ينطق بأكثر من هذا. وكان يقصد بذلك جيردا الصغيرة ويسألها إلى أين تذهبين فى هذا العالم الفسيح. وفهمت جيردا كلمة «وحيدة» جيدا وأدركت تماما ماذا تعنى. ولهذا أبلغت الغراب قصتها كاملة وسألته عما إذا كان شاهد كيى.

وأومأ الغراب برأسه متأملا وقائلا: «ربما! ربما!» وصاحت الطفلة الصغيرة: «ماذا؟ أتظن ذلك؟» واحتضنت الغراب وضمته بشدة وكادت تقتله، وقبَّلته.

فقال الغراب:«تعقَّلى! تعقَّلى! أعتقد أنه كيى الصغير. ولكنه ربما نسيك الآن وهو مع الأميرة!.

وقالت جيردا: «هل هو يعيش مع الأميرة؟»

فأجاب الغراب: «نعم، اسمعى! ولكن من الصعب على أن أتحدث لغتك. فإذا كنت تجيدين الحديث كالغربان، فسأحكى لك أفضل.

وقالت جيردا: كلا، فلم أتعلمها بعد، ولكن جدتى تستطيع أن تفعل ذلك، كما تستطيع أن تتحدث اللغة الهولندية كذلك. ليتنى تعلمتها».

فقال الغراب: «لا بأس! فسأبلغك بقدر إمكانى، وإن كان سيئا على أية حال» وحينئذ قال لها ما يعرف:

«فى المملكةالتى نحن فيها الآن تسكن أميرة عاقلة بشكل غير مألوف. وعندما قرأت جميع الصحف التى تصدر فى العالم، نسيت كل شيء، لأنها عاقلة. وفى اليوم التالى كانت تجلس على العرش،

ويقال إنها لم تلق هناء بعدئذ. وبدأت تهمهم بأغنية تقول: لماذا لا أُزَف؟.. فقالت:« اسمع، فهناك شىء ما! وحينئذ أرادت أن تتزوج. وأرادت زوجا جاهزا بالرد على أى سؤال يوجه إليه، لا يشترط فيه المظهر الرفيع لأن ذلك أمر مزعج. فجمعت نساء حاشيتها وسرَّهن ما سمعن منها.

فقال الغراب:« قالت نساء الحاشية ما قالت الأميرة:

«أنا أحب ذلك! وهذا هو ما كنت أفكر فيه فى اليوم الآخر! صدقينى، فكل كلمة أقولها حقيقية. إذ إن لى صديقة أليفة تدور بحرية حول القصر، قالت لى كل شىء!.

وبطبيعة الحال كانت هذه غرابة كذلك، لأن الطيور على أشكالها تقع، فالغراب يهوى الغرابة.

قالت الغراب:«صدرت الصحف وبها حاشية من القلوب واسم الأميرة بالأحرف الأولى. تقرأ فيها بنفسك إن أى شاب حسن المظهر له مطلق الحرية فى الحضور إلى القصر والتحدث مع الأميرة. فمن تحدث بهذه الطريقة التى يشعر فيها بالألفة، وتحدث أفضل من الآخرين، كان هو الذى تتخذه الأميرة زوجا لها! حسنا ! حسنا! صدقينى، فهى حقيقة مثل وجودى هنا، فقد أقبل الناس زرافات. كان التدافع بالمناكب والمروق كثيرا بدون جدوى، لا فى اليوم الأول ولا فى اليوم الثانى. فالجميع يتحدثون جيدا وهم فى الشوارع، فإذا ما دخلوا بوابة القصر ورأوا الحراس فى أزيائهم الفضية والخدم فى ملابسهم الذهبية مصطفين حتى الدرج والقاعات الفسيحة بالإضاءة

المبهرة أصابهم الذهول. وإذا ما وقفوا أمام العرش الذى تجلس فيه الأميرة لا يستطيعون أن يقولوا شيئا إلا الكلمة الأخيرة التى تقولها، الأمر الذى تستنكف عن سماعه مرة أخرى، ويبدو أن الداخلين إلى القصر كما لو كانوا مخدرين بالسعوط الذى ابتلعوه أو دخلوا فى نوبات من الإغماء حتى يعودوا إلى الشارع، حيث يستطيعون الحديث.

كان هناك طابور طويل على طول الطريق من بوابة المدينة حتى القصر. وكنت بالداخل عندما رأيتهم بنفسى. وحين أدركهم الجوع والعطش وهم فى القصر لم يحصلوا منه إلا على كوب من الماء الفاتر ومن المؤكد أن الأذكياء منهم أتوا معهم بشطائر، لم يستطيعوا أن يقتسموها مع جيرانهم، إذ يدعوهم جوعى حتى لا تأخذهم الأميرة!

قالت جيردا، ولكن أين كان كيى الصغير؟ ومتى حضر؟ وهل كان مع هذه المجموعات؟

فأجاب الغراب:«مهلا»: أعطنى بعض الوقت! سوف نأتى إليه الآن. كان ذلك فى اليوم الثالث، حين دخل القصر شخص بدون حصان ولا مركبة، واثق الخطوة يمشى ملكا. تلمع عيناه مثل عينيك، وشعره طويل ولكنه رث الثياب.

فصاحت جيردا وهى فى قمة السعادة: «إنه كيى!

آه، لقد وجدته: وصفقت بيديها.

وقال الغراب:« كان يحمل حقيبة صغيرة على ظهره!»

فقالت جيردا: لا، إنها ربما تكون زلاقته، فقد ذهب بزلاقته!»

وقال الغراب: « هذا محتمل! فلم أتبينه بدقة! ولكننى علمت من حبيبتى الأليفة أنه دخل بوابة القصر ولم يجزع قلبه البتة عندما شاهد الحراس فى أزيائهم الفضية ولا الحشم فى ملابسهم الذهبية، بل قال لهم بعد أن أومأ برأسه: لا يليق بى أن أنتظر على الدرج بل ينبغى أن أدخل! وهناك كانت القاعات مبهرة الإضاءة، والمستشارون الخصوصيون وأصحاب الفخامة يسيرون حفاة وأقدامهم عارية وهم يحملون أطباقا ذهبية. ويكفى هذا لكى يجعل المرء وقورا. كان حذاؤه يصبر صريرا عاليا، ولكنه لا يزال يسير دون خوف».

قالت جيردا: « من المؤكد أن يكون هذا هو كيى! فأنا أعرف أنه كان يلبس حذاء جديدا، وسمعته وهو يصر فى ردهة جدتى.

قال الغراب: «حسنا، كان حذاؤه يصر! ولكن لم يثبط همته شىء، حتى ذهب مباشرة إلى الأميرة، التى جلست على لؤلؤة يماثل حجمها حجم عجلة الغزل.

وكانت الوصيفات ووصيفاتهن ورجال الحاشية وخدمهم وخدم خدمهم يصطفون على كلا الجانبين. وكل من اقترب من الباب كان عالى القدر رفيع الشأن. وكان الولد خادم الخدم الذى كان يمشى فى خف داخل الردهة لا يكاد المرء يراه، وكان شامخا فى وقوفه إلى الباب.

قالت جيردا: «إنه لشىء رهيب! وهل فاز كيى بالأميرة؟

وقال الغراب:« لولا أننى غراب لفزت بالأميرة رغم أننى خاطب

فى الحقيقة. ومن المفروض أنه تكلم جيدا كما أتكلم أنا بلغة الغربان. عرفت ذلك من حبيبتى الأليفة. لقد كان شجاعا وغير هياب، لم يحضر للخطبة، بل حضر للاستماع إلى حكمة الأميرة، فرأى ذلك جيدا، فوجدته هو الآخر جيدا.

قالت جيردا: «طبعا، ذلك هو كيى! كان عاقلا يستطيع أن يحسب العمليات الرياضية بالكسور! آه، ليتك تصحبنى إلى القصر!»

قال الغراب: «حسنا، فما أستهل القول، ولكن كيف يكون ذلك؟ سوف أحدِّث حبيبتى فى هذا الأمر. وأستطيع القول إنها سوف تنصحنا ولو أننى يجب أن أبلغك أن طفلة صغيرة مثلك لن يسمح لها بالدخول بالطريقة العارية».

قالت جيردا:« آه، نعم، نويت ذلك! فبمجرد أن يسمع كيى بوجودى هنا فسوف يحضر مباشرة لإحضارى».

قال الغراب وهو يهز رأسه قبل أن يطير: « انتظرينى على درجات السلم هناك»: وحلَّق بعيدا فى الفضاء.

لم يعد الغراب ثانية قبل المساء المتأخر، حين قال: واق! واق! طلبت منى أن أبلغك بحبها. وهذا هو رغيف صغير لكِ، أخذته من المطبخ الذى يوجد به خبز كثير، فربما كنت جائعة. ولا يمكن أن تدخلى القصر. لماذا؟

لأنك حافية عارية القدمين. فالحارس الفضى والخدم ذوو الزى الذهبى لن يسمحوا لك بذلك، ولكن لا تبك، لأنك بعد هذا كله سوف تدخلين. فحبيبتى تعرف سلَّما خلفيا صغيرا يؤدى إلى غرفة النوم

الملكية، وتعرف أين يوجد المفتاح!» ودخلا الحديقة ومرا بممر كبير تتساقط فيه أوراق الأشجار الواحدة تلو الأخرى، وعندما أطفئت الأنوار واحدا تلو الآخر فى القصر، قاد الغراب جيردا الصغيرة إلى باب خلفى موروب.

آه، كم كان قلب جيردا الصغيرة ينبض بالخوف والشوق!

وتبدو وكأنها تفعل شيئا خطأ، ولكنها أرادت أن تعرف ما إذا كان كيى الصغير هناك. والحقيقة، تفترض أنه هو، فقد تصورت بحيوية عينيه العاقلتين وشعره الطويل. واستطاعت أن ترى بوضوح طريقة ابتسامته، كما عهدتها فيه عندما كانا يجلسان فى المنزل تحت أشجار الورود. وبطبيعة الحال، سوف تسره رؤيتها ويتمنى أن يسمع كم عانت من طول الطريق الذى قطعته من أجله وأن يعلم أن كل من تركهم بالمنزل قلق عليه عندما غادر ولم يعد. آه، كم كانت خائفة وسعيدة!

وهما الآن على درجات السلم، وكان فوق الدولاب مصباح صغير مشتعل، ووقف الغراب الأليف فى منتصف الطريق يدير رأسه فى كل اتجاه، ويرمق جيردا التى أخذت تحيى الطريق بانحناءة الاحترام التى تعلَّمتها من جدتها.

قال الغراب الأليف: «حدثتنى عنك خطيبتى حديثا طيبا يا فتاتى الصغيرة، إذ قالت كذلك عن سيرتك إنها طيبة جدا! فإذا أخذت المصباح سأقودك فى الطريق. وستأتى إلى هنا عندما يطير الغراب، ولهذا لم نقابل أحدا!».

وقالت جيردا: «يبدو لى أن شخصا يتعقبنا!» ومرق شىء بجوارها، كما لو كان ظلا على طول الحائط، وخيلاً ذات أرجل نحيلة تطايرت أعرافها، وسياس ورجال وسيدات يمتطون الخيل.

قال الغراب الأليف: «تلك هى أحلام! أتت لتقتنص الأفكار الملكية. وهذا شىء جميل، لأنك تستطيعين رؤيتهم فى السرير. وإذا استحسنوك دل ذلك على أنك تحملين قلبا طيبا!.

وقال غراب من الغابة: « ياللعجب أليس هناك شىء يستحق الحديث عنه!»

دخلا الآن القاعة الأولى، ذات الحوائط المغطاة بالقماش الناعم الأحمر الوردى والزهور الصناعية. وكانت الأحلام تمرق بجوارهما، ولكن بسرعةلم تمكن جيردا من النظر إلى الركاب الملكيين. وكل حائط يفوق ما سبقه فى البهاء، بما يثير الدهشة، وهما الآن فى غرفة النوم. سقفها يشبه النخلة الهائلة ذات الخوص الزجاجى الثمين. وفى الوسط علِّق سريران يشبهان السوسن على قوائم من الذهب، كان أحدهما أبيض ترقد فيه الأميرة، بينما كان الآخر أحمر تبحث فيه جيردا عن كيى الصغير. نُحِّت جانبا أحد التويجات فشاهدت قفا رقبة بنية آه، ذلك هو كيى! وصاحت باسمه بصوت عال ورفعت المصباح تجاهه. فاندفعت الأحلام على ظهور الخيل فى الغرفة ثانية، واستيقظ وأدار رأسه.. فلم يكن كيى الصغير.

فقفا رقبة الأمير يشبه قفا رقبة كيى الصغير، ولكنه كان شابا وأنيقا. ومن السرير السوسنى الأبيض أطلت الأميرة وسألت عما إذا

كان هناك خطأ حدث. وحينئذ. بكت جيردا الصغيرة وأخبرتها بقصتها كاملة وما فعله الغربان من أجلها.

قال الأمير والأميرة :« أيها الكائن الصغير المسكين!» وامتدحا صنيع الغرابين وقالا لهما إنهما ليسا غاضبين منهما ولم يكررا المديح، ولكنهما يستحقان المكافآة.

وسألت الأميرةالغرابين:« هل تريدا أن تطيرا بحرية؟

أم تريدا منصبين دائمين فتكونا غرابى القصر ولكما كل ما يتساقط فى المطبخ؟»

فانحنى كلا الغرابين انحناءة احترام وطلبا المنصبين الدائمين، نظرا لكبر سنيهما، وقالا:« من الأفضل الحصول على شيء ندخرة للأيام المطيرة.»

ونهض الأمير من سريره ودعا جيردا للنوم فيه، ولم يفعل شيئا غير ذلك. فعقدت يديها الصغيرتين وفكرت. « يالهم من أناس وحيوانات طيبين» وأغمضت عينيها واستسلمت بارتياح لسلطان الكرى. وعادت إليها جميع الأحلام تطير كملائكةالله، يجرُّون وراءهم مزلجة جلس عليها كيى الذى أومأ برأسه. وكانت هذه مجرد أحلام تبددت بمجرد استيقاظها.

وفى اليوم التالى كانت ترتدى الحرير والمخمل من قمة رأسهاحتى أخمص قدميها. وقد دعيت للبقاء فى القصر فى رخاء، ولكن كل ما طلبت كانت مركبة صغيرة يجرها حصان وزوج من الأحذية الطويلة الدقيقة، ثم تقودها وتنطلق بها فى العالم الفسيح لتبحث عن كيى.

ومنحت حذاء طويلا وقفازا، وارتدت أبهى الملابس، وعندما كانت جاهزة للانطلاق، حضرت مركبة جديدة من الذهب الخالص ووقفت أمام الباب. ولمع شعار النبالة للأمير والأميرة لمعان النجم، وجلس سائق المركبة ورجال الحاشية من المشاة وحراس المقدمة وحراس المؤخرة والأجناب وهم يرتدون التيجان الذهبية. وساعدها كل من الأمير والأميرة على دخول المركبة وتمنيا لها حظا سعيدا. ورافقها فى رحلتها غراب الغابات – الذى تزوج أخيرا – فى مسافة الإثنى عشر ميلا الأولى، إذ جلس بجوارها لأنه لم يستطع أن يركب واقفا فى مؤخرة المركبة، بينما وقف الغراب الآخر على البوابة يخفق بأجنحته. ولم يرافقهما فى رحلتهما نظرا لإصابته بالصداع بسبب منصبه الدائم وكثرة الطعام.

وفى داخل المركبة صُفَّت أنواع البسكويت المالح والمسكر، وعلى المقعد وضعت الفواكه وشطائر الزنجبيل. وصاح الأمير والأميرة: «وداعا وإلى اللقاء!» وبكت جيردا الصغيرة وبكى الغراب، وهكذا مرت الأميال الأولى فى الرحلة. ثم ودعها الغراب كذلك، وكان وداعه أقسى عليها من أى وداع آخر.

وطار الغراب وحط فوق شجرة وظلت أجنحته تخفق طالما ظلت المركبة التى لمعت مثل ضوء الشمس تحت بصره.

الحكاية الخامسة

اللصة الصغيرة

مروا خلال الغابة المظلمة، ولكن المركبة لمعت كاللهب، وكانت تؤذى

أعين اللصوص ولم يستطيعوا أن يقاوموا ذلك.

وصاح اللصوص: «إنها من الذهب ! إنها من الذهب!» واندفعوا خارجين وأمسوا بالخيل وقتلوا حراس الأجناب والمؤخرة، وقائد المركبة والمشاة، ثم سحبوا جيردا الصغيرة خارج المركبة. قالت اللصة الحيزبون: «إنها سمينة! إنها جميلة! جاءت سمنتها من تناول نوايات البندق وهى فى سمنتها مثل الحمل الصغير السمين. آه، ما أشهى طعمها!» وكانت الحيزبون ذات لحية طويلة كثيفة وحواجب كثة تدلت فوق عينيها. وسحبت سكينها اللامع التى ضوت فى رعب.

وقالت الحيزبون فى نفس اللحظة وقد عضتها من أذنها طفلتها الصغيرة التى حملتها على ظهرها وكانت شقية بشكل مثير للمرح: «أى: أيتها الطفلة الشقية البغيضة»! ولم يتيسر لها الوقت لتذبح جيردا.

قالت اللصة الصغيرة: «سوف تلعب معى! وتعطينى القفاز وتلبسنى ثوبها الأنيق وتنام معى فى السرير!»

ثم عضَّت الحيزبون ثانية، فقفزت فى الهواء واستدارت حول نفسها، فضحك جميع اللصوص وقالوا:« انظروا كيف ترقص مع صغيرتها!»

وقالت اللصةالصغيرة التى تصر على أن تسلك طريقها، نظرا لكونها ضليعة فى السلب والنهب وقوية الإرادة: « أريد أن أركب المركبة!» وجلست هى وجيردا بداخلها وانطلقتا بها إلى الغوطة والأحراش فى عمق الغابة. وكانت اللصة الصغيرة فى حجم جيردا،

ولكنها أقوى منها، ذات أكتاف عريضة وبشرة داكنة، وعيناها سوداوتان تماما يبدو فيهما الحزن.

ولفت ذراعها حول وسط جيردا الصغيرة وقالت: « لن يذبحوك طالما لم أغضب منك. أتوقع أن تكونى أميرة؟!.

وأجابتها جيردا الصغيرة بالنفى وأبلغتها بكل ماحدث وأنها شديدةالتعلق بكيى الصغير.

ونظرت إليها اللصة الصغيرة بوقار تام وأومأت برأسها قليلا وقالت: لن يقتلوك حتى لو غضبت منك- فحينئذ أقوم أنا بقتلك « وهنالك كفكفت دموع جيردا الصغيرة ثم أدخلت كلتا يديها فى القفاز الناعم الدافئ.

والآن، توقفت المركبة، فى وسط فناء قصر أحد اللصوص، وقد تشرخ من أعلاه إلى أسفله، وتطير الغربان من بين الشقوق، وقفزت كلاب شرسة ضخمة فى الهواء، ويبدو أن كلا منها يمكن أن يبتلع رجلا. ولكنها لم تنبح، حيث أن ذلك محظور عليها أن تفعله.

وفى القاعة الكبيرة القديمةالمليئة بالسخام أُوقدت نار كبيرة فوق الأرضية الحجرية وتسلل الدخان من تحت السقف باحثا عن طريق إلى الخارج. وكان الحساء يغلى فى برميل هائل، بينما الأرانب تلتف حول البصاق.

وقالت اللصة الصغيرة: «سوف تنامين هذه الليلة معى ومع كل حيواناتى المدللة، التى تناولت شيئا من الطعام والشراب قبل أن تتوجه إلى الركن الذى وضع فيه القش والسجاد لتنام. وفوق

رأسيهما وقفت حوالى مائة حمامة على عصى وأغصان، ويبدو أنها جميعا نائمة ولكنها التفتت إلى الطفلتين عندما دخلتا.

وقالت اللصة الصغيرة وهى تمسك بسرعة بإحدى الحمامات القريبة من أرجلها وتهزها حتى تخفق بجناحيها: «إنها جميعا ملكى قبَّليها!» وقذفتها فى وجه جيردا. وهناك يجلس أشرار الغابة! ومضت تشير من خلف عدد من القضبان التى وضعت أمام ثقب فى أعلى الجدار، وتقول: « هذان الاثنان هما أشرار الغابة! وهما يهربان فورا إذا لم يغلق الباب بإحكام. وهنا يقف حبيبى من الرنة. ثم جذبت الرنة من قرونها. وكانت مربوطة بطوق نحاسى لامع حول رقبتها، وقالت:« نحن دائما نبقى عليها هنا، وإلا فرت هاربة منا! ففى كل مساء أخذها فى رقبتها بسكينى الحاد التى تخشاها!»

ثم نزعت اللصة الصغيرة سكينا طويلا من الجدار وطعنت به الرنة فى العنق، فرفس الحيوان المسكين برجليه، بينما ضحكت اللصة الصغيرة ثم جذبت جيردا إلى السرير بجوارها.

وسألتها جيردا:« هل تريدين أن تأخذى السكين معك عندما تذهبين إلى النوم؟!» ونظرت إليها نظرة قلق.

فأجابت اللصة الصغيرة: « أنا دائما أنام بالسكين! فلا يدرك المرء ما قد يحدث ، ولكن خبرينى الآن بما سبق أن قلت عن كيى الصغير، ولماذا خرجت إلى هذا العالم الفسيح!» وعندما أخبرتها جيردا منذ البداية، كانت حمامات الغابة تهدر فى القفص بينما كانت الأخرى نائمة. ولفت اللصة الصغيرة يدها حول عنق جيردا،

وأمسكت بالسكين فى يدها الأخرى، ثم نامت حتى سمع صوت نومها. ولكن جيردا لم يغمض لها جفن، فهى لا تعرف عن أمر حياتها أو موتها شيئا. وجلس اللصوص حول النار يغنون ويشربون، بينما دارت الحيزبون دورة فى الهواء. آه، يا له من مشهد مرعب، تشهده الطفلةالصغيرة.

وحينئذ هدرت الحمامات البرية قائلة:« كو! كو! لقد رأينا كيى الصغير. كانت تحمل زلاقته دجاجة بيضاء، بينما كان يجلس هو فى عربة ملكة الجليد التى انطلقت منخفضة فوق الغابة عندما كنا فى عشنا. ونفخت علينا شراذم فقتلت الجميع ما عدا نحن الاثنين. كو! كو!

فصاحت جيردا: «ماذا تقولان؟ وأين ذهبت ملكةالجليد؟ هل تعرفان شيئا عن ذلك؟

فأجابت الحمامتان:« ربما كانت فى رحلتها إلى لاپلاند، حيث يوجد الجليد والثلوج. وعليك أن تسألى الرنةالتى تقف مربوطة هناك بالحبل.

فقالت الرنة: «ذلك المكان يحتوى على الثلج والجليد، وهو مكان فخم وفسيح. ففيه يمكنك القفز بحرية فى الوديان الواسعة المضيئة. وهناك تنصب ملكة الجليد خيمتها فى الصيف، ولكن قصرها الدائم يوجد بالقرب من القطب الشمالى فى جزيرة تدعى سپيتزبيرجن! وشهقت جيردا وهى تقول: «آه، كيى، كيى الصغير!» وقالت اللصةالصغيرة: « نامى الآن فى هدوء، وإلا طعنتك بالسكين فى بطنك!

وفى الصباح أبلغتها جيردا كل شىء قالته الحمامات البرية، ونظرت اللصة الصغيرة باهتمام تام، ثم أومأت برأسها وقالت : «لا

تجزعي! لا تجزعي!» ثم سألت الرنة: «هل تعرفين لاپلاند؟»

فأجاب الحيوان وعيناه ترقصان فى رأسه: «من ذا الذى يعرفها أكثر منى؟! فهناك ولدت وتربيت، ومرحت فوق المروج الجليدية».

وقالت اللصةالصغيرة لجيردا: «اسمعى! تعلمين أن كل رجالنا فى الخارج، ولكن أمى مازالت باقية هنا، وبعد فترة من الصباح سوف تشرب قليلا من الزجاجة الكبيرة، ثم تصعد المدرج لتنال سنة من النوم. وحينئذ سوف أصنع شيئا لك. وقفزت من السرير وتعلقت برقبة أمها وجذبت شاربها بقوة وقالت: يا عنزتى الحبيبة، صباح الخير!» وخمشت أمها أنفها فتحول إلى اللونين الأحمر والأزرق ولكن بعاطفة صافية. والآن، وقد شربت أمها من قارورتها وذهبت لتنام، ذهبت اللصة الصغيرة إلى الرنة وقالت لها: «كنت أود أن أبقى عليك لأخزك بسكينى الحاد وأتسلى بذلك، ولكن لا شأن لى بذلك الآن، فسوف أطلق سراحك وأساعدك فى الخروج للتوجه إلى لاپلاند. وماعليك إلا أن تحملى هذه الطفلةالصغيرة إلى قصر ملكةالجليد، حيث يوجد رفيق طفولتها. وأستطيع أن أقول إنك سمعت ما قالت، إذ كانت تتحدث بصوت مرتفع، بينما كنت أنت تتنصتين. قفزت الرنة من شدة الفرح. ورفعت اللصةالصغيرة جيردا ووضعتها فوق الرنة وكانت حصيفة إذ ربطتها جيدا، بعد أن زودتها بوسادة صغيرة تجلس عليها. وقالت: «لا تبتئسى! فهاك هو حذاؤك الطويل المصنوع من الفراء، لأن البرد قادم. وسوف احتفظ بقفازك لأنه جميل! ولن تتجمدى، فهذا هو قفاز أمى الكبير، سوف يغطى يديك حتى المرفقين.

إلبسيه! ويداك الآن تشبهان يدى أمى البغيضة!»

وبكت جيردا من شدةالفرح.

وقالت اللصةالصغيرة:« لا أطيق صوتك الباكى!

يجب أن يرتسم السرور على وجهك! خذى هذين الرغيفين وقطعة من لحم الخنزير حتى لا تجوعى. وربطتهما فى مؤخرة الرنة، وفتحت الباب واستدعت كل الكلاب الكبيرة ثم قطعت حبل الرنة بسكينها وأوصت الرنة قائلة: انطلقى واحرصى على راحة الطفلةالصغيرة!»

وبسطت جيردا يديها بالقفاز إلى اللصةالصغيرة ولوحت بالودا ع، وانطلقت الرنة فوق الأشجاروفضلات الزراعة وخلال الغابات الكثيفةوفوق المستنقعات والسهول الواسعةالخالية من الأشجار بأسرع ما يمكن، بينما الذئاب تعوى والغربان تنعق وأتى من السماء صوت يدوى: « روووم! روووم!» وتلبدت السماء باللون الأحمر.

قالت الرنة: « تلك هى أضواء الشمال العريقة! أنظرى كيف تلمع! وحينئذ صارت تجرى أسرع وأسرع فى الليل وفى النهار. وتناولت جيردا الرغيفين ولحم الخنزير حتى وصلا إلى لايلاند.

الحكاية السادسة

الزوجة اللابية والزوجة الفنلندية

توقفا عند منزل صغير بائس، إذ سقط السقف على الأرض، وانخفض الباب لدرجة أن الأسرة تزحف على بطونها فى طريق دخولها فيه أو خروجها منه. ولم يكن بالمنزل سوى زوجة لابيَّة عجوز، وقفت تقلى السمك على مصباح نفط مثل مصابيح السكك الحديدية. وأبلغتها الرنة

قصة جيردا كاملة، بعد أن حكت حكايتها أولا، لأنها تظن أنها فى غايةالأهمية، وأصابت جيردا قشعريرة منعتها من الكلام.

قالت الزوجةاللابية: «ياللهول، أيتها المسكينتين! لقد قطعتما شوطا طويلا من الطريق، وعليكما أن تقطعا مئات الأميال للوصول إلى فينمارك، حيث تعيش ملكةالجليد فى الريف وتوقد ضوءا أزرق فى كل مساء. وسوف أكتب بعض الكلمات على قطعة من السمك الجاف «البكلاه» لأنى لا أملك ورقا، وأمنحها لكما لتقدماها إلى الزوجة الفنلنديةهناك، لأنها تستطيع أن تدلكما على الوجهة الصحيحة أكثر منى!

والأن، بعد أن نالت جيردا قسطا من الدفء وشيئا من الطعام والشراب، وبعد أن كتبت الزوجة اللابية بضع كلمات على قطعة من السمك المجفف، أبلغت جيردا أن تحافظ عليها، ولفتها فى عنق الرنة التى انطلقت بها.

وبقبقت السماء، وكانت أضواء الشمال الزرقاء الجميلة تضوى كل ليل، حتى وصلتا إلى الزوجة الفنلندية وطرقا مدخنتها، لأنها لم يكن لها باب.

الحكاية السادسة

الزوجة اللابية والزوجة الفنلندية

كان الطقس حارا هناك، لأن الزوجة الفنلندية كانت تشير شبه عارية تماما. وكانت صغيرة الحجم وذات بشرة سمراء. وخلعت على الفور ملابس جيردا الصغيرة، كما خلعت القفاز، وإلا شعرت

بالحرارة، ووضعت قطعة من الثلج على رأس الرنة، ثم قرأت المكتوب على السمكة المجففة. قرأته ثلاث مرات حتى حفظته عند ظهر قلب، ووضعت السمكة فى قدر الطعام، لأنها صالحة للتناول، فليست تضيع شيئا هباء.

والآن، قصَّت الرنة قصتها، ثم اتبعتها بقصة جيردا. وأغمضت الزوجة الفنلندية عينيها ولكنها لم تقل شيئا. وقالت لها الرنة: « يالك من حكيمة، لأننى أعرف أنك قادرة على طى جميع رياح العالم بخيط واحد. فعندما يفك الربان عقدة، يحصل على ريح طيبة، وعندما يفك العقدة الثانية، تهب ريح مواتية وعندما يفك العقد الثالثة والرابعة تأتيه عاصفة تقتلع أشجار الغابة. فليتك تعطين الطفلة الصغيرة القدرة التى تماثل قوة اثنى عشر رجلا، وتتغلب على ملكة الجليد؟

قالت الزوجة الفنلندية: «قوة اثنى عشر رجلا! الحقيقة أن ذلك يستغرق وقتا طويلا!» ثم ذهبت إلى أحد الرفوف، وأخذت جلدا كبيرا ملفوفا، وفكته. وكتبت حروفا عجيبة عليه، وقرأته حتى تصبب الماء من جبهتها.

ولكن الرنة للمرة الثانية توسلت إليها من أجل جيردا الصغيرة، التى نظرت بعينين دامعتين متوسلتين للزوجة، الفنلندية، التى أغمضت عينيها وسحبت الرنة إلى ركن القاعة حيث همست فى أذنيها وهى تضع ثلجا جديدا على رأسها.

قالت: «يعيش كيى الصغير بكل تأكيد سعيدا هانئا مع ملكة الجليد، ويعتقد أن مكانه هناك هو أفضل مكان فى العالم، ذلك لأنه

يحمل شذرة من الزجاج فى قلبه وذرة دقيقة من الزجاج فى عينه. ويجب إخراجهما أولا، وإلا لن يصبح رجلا، وسوف تحتفظ به ملكة الجليد فى حوزتها.

وقالت الرنة: «ألا تستطيعين أن تمنحى جيردا الصغيرة شيئًا يعطيها القوة للتغلب على كل ذلك؟»

فقالت الزوجة الفنلندية: «لا أستطيع أن أمنحها قوة أكثر مما تملك. ألا ترين كم هى قوية؟ ألا ترين كيف يخدمها البشر والحيوانات، وكيف أتت إلى العالم حافية القدمين؟ يجب عدم إبلاغها بقوتها علينا. فقوتها فى قلبها، ذلك لأنها طفلة بريئة وجميلة. فإذا لم تستطع ذاتها أن تصل إلى ملكة الجليد وتخرج الزجاج من كيى الصغير، فليست لنا حيلة فى ذلك! وتبعد حديقة ملكة الجليد عنا حوالى عشرة أميال. ويمكنك أن تحملى الطفلة الصغيرة إلى هناك، وتضعيها بجوار الشجرة الكبيرة ذات التوت الأحمر التى تقف فى الجليد. لاتضيعى الوقت فى الثرثرة، ثم عودى إلى هنا».

ثم رفعت الزوجة الفنلدنية جيردا الصغيرة إلى متن الرنة التى انطلقت بأقصى سرعة، وصاحت جيردا الصغيرة: «آه، لم أحصل على حذائى الطويل! ولم أحصل على قفازى!» وشعرت بذلك عندما قرصها البرد، ولكن الرنة لم تتوقف، إذ صارت تجرى حتى وصلت إلى الشجرة الكبيرة ذات التوت الأحمر، حيث وضعت جيردا الصغيرة وقبلتها من فمها وانحدرت دموع غزيرة على خدود الحيوان، ثم عادت بأقصى سرعة.

وهناك وقفت جيردا الصغيرة حافية بدون حذاء أو قفاز فى وسط فينمارك الموحشة الباردة الثلوج، وجرت بأسرع ما يمكن، وحينئذ أتى فوج من كتل الثلج المتساقط ولكنها لم تسقط من السماء، لأنه صار واضحا أنها لمعت من ضوء الشمال. وجرت كتل الثلج على الأرض، وكلما اقتربت بدت أكبر. وربما تذكرت جيردا كم بدت هذه الكتل الجليدية كبيرة وغريبة فى تلك المرة التى شاهدتها خلال الزجاج الملتهب. ولكنها تبدو هنا أكبر حجما وأكثر رعبا، لأنها حية. فهى حرس المقدمة لملكة الجليد. وهى أغرب شىء فى شكلها، إذ يبدو بعضها مثل القنفذ الكبير القبيح المنظر، بينما يبدو البعض عقدا من الثعابين التى تطل برؤوسها، ويبدو البعض الآخر مثل الدببة الصغيرة السمينة ذات الشعر الخشن الكثيف، وهى جميعا بيضاء، فهى كتل الثلج الحية.

أقامت جيردا الصغيرة الصلاة وابتهلت إلى الله. وكان البرد شديدا لدرجة أنها كانت ترى أنفاسها، إذ كانت تنبعث من فيها كالدخان. وتكثف زفيرها أكثر فأكثر حتى أخذ أشكالا للملائكة البيضاء الصغيرة التى تكبر وتكبر كلما اقتربت من الأرض. وكانت كلها تلبس خوذا على رؤوسها وتحمل فى أيديها الرماح والدروع.

ظهر الكثير منها وعندما انتهت جيردا من صلاتها كان هناك لواء كامل منها، صوبوا رماحهم نحو كتل الثلج المرعبة حتى تناثرت إلى مئات القطع، فسارت جيردا فى أمان ودون خوف. ربتت الملائكة على قدميها ويديها فلم تعد تشعر بالبرد كثيرا، وسارت بسرعة إلى قصر ملكة الجليد.

والآن، علينا أن نعرف أولا كيف حال كيى. ومن المؤكد أنه لم يعد يتذكر جيردا الصغيرة، التى كانت تقف خارج القصر.

الحكاية السابعة

ماذا حدث فى قصر ملكة الجليد

وماذا حدث بعد ذلك

كانت جدران القصر مغطاة بالجليد المتساقط، بينما كانت النوافذ والأبواب تئن من الرياح الصرصر العاتية. كان بالقصر أكثر من مائة قاعة طبقا لما يأتى به الجليد المنجرف، يمتد أكبرها إلى عدة أميال، وكلها مضاءة بالأضواء الشمالية المكثفة، وكانت كبيرة وخاوية وباردة ومتلألئة. لم يكن بها أى شىء مبهج، ولا شىء يزيد عن كرة صغيرة تلهو بها الدببة حين تهب العاصفةوتسير على أرجلها الخلفية وتزهو فى سيرها بخيلاء.

فليس هناك فِرق منها للعب ذات كمامات ومخالب، وليس هناك أدنى ثرثرة من إناث الثعالب عند تناولها القهوة بل كانت القاعات الكبيرة فى قصر ملكة الجليد خاوية باردة. ولمعت أضواء الشمال المحددة المعالم التى يمكن إحصاؤها عندما تكون شديدة الإضاءة أو خافتة الإضاءة. وفى وسط هذه القاعة القاحلة المتناهية الكبر والمغطاة بالجليد يوجد بحر متجمد، تحطم إلى ألف شذرة كل منها تساوى ما جاورتها وكأنها عمل فنى، وفى وسطه تجلس ملكةالجليد عندما تكون بالقصر، وهى تقول إنها تجلس على مرآة الحكمة وهى أفضل شىء فريد فى العالم.

وكان بجوارها كيى الصغير، أزرق اللون من البرد، حتى يميل لونه إلى السواد، ولم يكن يدرى بذلك لأنها كانت تقبله فتمسح عنه الرجفة، وكان قلبه كتلة من الثلج. وكان يجر وراءه شذرات الثلج الحادة المسطحة، ربتها بشتى الطرق كى يصنع منها شيئا مثلما نصنع نحن هياكل من قطع صغيرة من الخشب، وقد أسماه «اللغز الصينى». كما صنع نماذج عجيبة هى «لغز ثلوج الحكمة» كان النموذج ممتازا وفى نظرة ذو أهمية بالغة.

ويرجع ذلك إلى ذرة الزجاج التى استقرت فى عينيه! ورتب جميع الحروف ليصنع كلمة مكتوبة، ولكنه لم يستطع أن يرتبها ليصنع الكلمة التى يريدها، وهى «الخلود». وقالت ملكة الجليد: «إذا استطعت أن تصنع هذا النموذج لى، فسوف تصير سيدا لنفسك، وسوف أمنحك هدية هى العالم بأسره، وزلاقتين» ولكنه لم يستطع صنع ذلك.

وقالت ملكةالجليد:« الآن، سوف أنطلق إلى الأقطار الدافئة! وأريد أن ألقى نظرة على القدور السوداء!» تلك هى البراكين إيتنا وفيزوف كما يسمونها «وسوف أبيض قليلا من سوادهما، وهذا هو شىء مألوف، وهذا العمل يفيد بساتين الليمون والعنب!» ثم طارت ملكةالجليد، فجلس كيى وحيدا فى تلك القاعة الكبيرة الخاوية الثلجية المتدةعدة أميال، ونظر إلى قطع الثلج، وظل يفكر ويفكر حتى أحدث صوت طقطقة. وجلس جامدا ساكنا حتى يخيل إلى الناظر إليه أنه تجمد حتى الموت.

وحينئذ أقبلت جيردا الصغيرة على القصر من باب الريح الصرصر العاتية، بعد أن أقامت صلاة المساء، حتى هدأت الرياح كما لو كانت تتأهب للنوم، ودخلت جيردا القاعة الكبيرة الخاويةالباردة. ورأت كيى واستطاعت أن تميزه، وطوقته بذراعيها وضمته إليها بشدة وصاحت: «كيى! حبيبى الصغير! أخيرا وجدتك!»

ولكنه جلس صامتا جامدا من البرد. وبكت جيردا بدموع حارة، سقطت على صدره، وبللت قلبه فأذابت كتلة الثلج وبددت شذرة المرآة الصغيرة التى كانت مستقرة فيه. ونظر إليها وأنشد الابتهال:

« ورود تنمو فى الوادى

والطفل القدسِّى أنادى»

وانفجر كيى فى البكاء وسالت دموعه، حتى انزلقت معها ذرة المرآة من عينيه. فعرفها وصاح بابتهاج شديد: «جيردا! حبيبتى جيردا الصغيرة! أين كنت طوال هذا الوقت؟ وأين كنت أنا؟ ونظر حوله وقال: «ما أبرد هذا المكان، وما أضخمه وما أوحشه!» وتعلق بجيردا التى ضحكت وصاحت من شدةالفرح. إنه لمشهد رائع أن نرى حتى قطع الثلج ترقص فى مرح فى جميع الاتجاهات وعندما كلت من الرقص رقدت ورتبت نفسها فى النموذج من الحروف التى طلبت منه ملكةالجليد أن يصفها حتى يصبح سيدا لمصيره وتمنحه العالم بأسره مع زوج من الزلاقات.

وقبَّلت جيردا خديه اللذين توردا، ثم قبلت عينيه اللتين لمعتا مثل عينيها، وقبلت يديه وقدميه حتى صار قويا معافى. ومرحبا بملكة

الجليد إذا أرادت الحضور.

فوثيقة عتقه وتحريره مكتوبة بثبات بقطع الثلج اللامعة.

وتجولا يدا بيد فى القصر الكبير، وتحدثا عن الجدة والورود اليانعة فوق سطوح المنازل وحيثما سارا تهدأ الريح وتسطع الشمس وعندما وصلا إلى الشجرة ذات التوت الأحمر، كانت الرنة واقفة فى انتظارهما. وكانت معها رنة أخرى، ضرعها مملوء باللبن، وهى ترضع صغارها بلبن دافئ وتقبِّلها من أفواهها. وحملت الرنتان كيى وجيردا إلى الزوجة الفنلندية أولا، حيث نالا قسطا من الدفء، وأُبلغا بطريقهما فى رحلة العودة إلى منازلهما. ثم ذهبا إلى الزوجة اللابية التى خاطت لهما ثيابا جديدة وأصلحت لهما مركبتهما الزلاقة.

وصارت الرنة والرنة الشابة تقفزان على طول الطريق حتى أوصلتاهما إلى حدود الدولة، حيث انبثقت من الأرض أول نباتات خضراء. ثم غادرا الرنة والزوجة اللابية.

وقال الجميع: «وداعا!»

وبدأت العصافير الصغيرة الأولى تغرد، ونبتت فى الغابةالبراعم الخضراء، وفى خارج الغابة رأيا شابة تضع على رأسها قبعة حمراء لامعة وقد تمنطقت بعدة مسدسات وهى تركب مركبة ذهبية يجرها حصان رائع.

وكانت هذه هى اللصةالصغيرة التى ملَّت من البقاء بالمنزل وأرادت الذهاب أولا فى اتجاه الشمال ثم تتوجه إلى حيث تشاء.

وعرفت جيردا على الفور كما عرفتها جيردا، وكانتا مسرورتين.

وقالت لكيى الصغير:« إنك لطيف إذ تمشى الهوينا! وأريد أن أعرف ما إذا كنت تستحق واحدة تجوب الأرض من أجل البحث عنك!»

وربتت جيردا على خدها وسألتها عن الأمير والأميرة.

فقالت اللصة الصغيرة: «لقد رحلا إلى بلاد غريبة.» وسألتها جيردا الصغيرة:« وماذا تعلمين عن الغراب؟! فأجابت: مات الغراب! وحبيبته الأليفة صارت أرملة وتسير وقد لفَّت حول رجلها قليلا من غزل الصوف، وهى تشكو بمرارة ولكن هذا هراء! خبرينى الآن ماذا فعلت بعد وداعنا وكيف التقيته!.

وأبلغها كل من جيردا وكيى.

وقالت اللصةالصغيرة وهى تمسك بأيديهما: «إن بعد العسر يسر وابتهاج! ووعدتهما بالزيارة بعد أن يصلا سالمين إلى مدينتهما.

ثم استأنفت مسيرتها فى العالم الفسيح، بينما سار كل من جيردا وكيى يدا بيد، هذا الربيع جميل بزهوره وخضرته. ودقت أجراس الكنيسة وتعرفا على الأبراج العالية والمدينة الضخمة، فهى المدينة التى عاشا فيها، ثم ذهبا إلى باب الجدة، وصعدا الدرج حيث الغرفةالتى وجدا فيها كل شىء على ما كان عليه من قبل. ودقت الساعة:«تيك.. توك!» ودارت عقاربها. وعندما مرا بالباب شعرا بأنهما صارا كبارا. فالورود مرت بالميزاب ودخلت من خلال النافذةالمفتوحة. وهناك وجدا مقاعد الأطفال الصغار، وجلس كل من كيى وجيردا فى مقعده وقد تشابكت أيديهما، ونسيا البرد والفخامة

القاحلة لقصر ملكةالجليد التى كانت كابوسا لعينا. وجلست الجدة تحت شمس الله الساطعة بأشعتها الصافية وهى تقرأ الإنجيل بصوت عال:« لن تدخل مملكةالسماء مالم تصبح مثل الأطفال الصغار».

وحملق كل من كيى وجيردا فى عيون الآخر، وأدركا على الفور الدعاء القديم:

«ورود تنمو فى الوادى

والطفل القدسًّى ننادى»

وجلسا سويا وقد كبرا، ولكن مازال قلباهما قلبىّ طفلين.

وحل الصيف الجميل بدفئه.

توماليزا

ذات يوم من الأيام كانت زوجة شابة تشتاق كثيرا إلى أن تكون لها طفلة صغيرة، ولهذا ذهبت إلى عرافة عجوزة وقالت لها:« أود كثيرا أن تكون لى طفلة صغيرة رقيقة، فهل تستطيعين أن تمنحينى واحدة يا سيدتى؟» وأجابت العرافة:« أجل، من كل قلبى! خذى حبةالشعير هذه، وهى ليست تماما مثل حبات الشعير التى تزرع فى حقول الفلاحين، ولا من النوع الذى تتغذى عليه الدجاجات فى حظائر تربيتها. وعليك أن تزرعيها فى أصيص للزهور، ثم تراقبى ماذا يحدث أمامك!

وتهللت المرأة فرحا وقالت: « شكرا لك، شكرا لك!»

ومنحت العرافة عملة فضية، وعادت إلى بيتها وزرعت حبة الشعير كما أمرتها العرافة، وحينئذ بزغت زهرة كبيرة وجميلة على الفور من أصيص الزهور.

كانت الزهرة أشبه شيء بزنبقةالخزامى، ولكن تويجها كان محكم الغلق ، إذ إنها لا تزال برعما.

وصاحت امرأة الفلاح هذه عجبا:« يالها من زهرة جميلة!» وقبّلت أوراقها الحمراء والصفراء الجميلة، حتى إذا قبّلت الزهرة انبعث منها صوت عالٍ وتفتحت. إنها زنبقةالخذامى حقا، ولكن جلست على ميسمها الأخضر الصغير فى وسط الزهرة طفلة دقيقة ورقيقة يتجاوز جسمها قليلا إبهام الفلاحةالشابة. ولهذا أسمتها توماليزا.

وأعدت لها المرأة قشرة بندقة لامعة جدا لتصير مهدا لها، كما أعدت لها فراشا من أوراق زرقاء بنفسجية، وهيأت لها غطاء من أوراق الورد.

وهكذا نامت طوال الليل، حتى إذا أقبل النهار صارت تلعب على المائدة. وملأت الزوجة الفلاحة طبقا بالماء ووضعت به زهورا، فتدلت من حافته الزهور، بينما ظلت سيقانها فى الماء. وعامت على سطح الماء ورقة من زنابق الخزامى الكبيرة، كانت تجلس عليها توماليزا، وتبحر بها من جانب من أجناب الطبق إلى الجانب الآخر، وقد استخدمت شعرتين بيضاوتين من شعر ذيل الحصان كمجدافين. وكانت توماليزا تستطيع الغناء كذلك، إذ تغنت بنغمات عذبة هادئة لم يسمع أحد مثلها من قبل.

وذات ليلة، بينما كانت نائمة فى سريرها الوثير، قفزت ضفدعة دميمة من النافذة الزجاجية المكسورة، وظلت تقفز حتى بلغت المائدةالتى ترقد إليها توماليزا وتتغطى بورقة الورد الحمراء.

وقالت الضفدعة: «هذه هى تماما زوجة لابنى!» وأمسكت بقشرة البندق وبداخلها توماليزا، وصارت تقفز بها حتى خرجت من النافذة الزجاجية المكسورة ووصلت إلى الحديقة. وهنا يجرى جدول واسع ذو ضفتين من طين ومستنقع، حيث تسكن الضفدعة العجوزة وولدها.

وكل ما قال ابنها عندما رأى هذه الفتاة الصغيرة الجميلة: «كواكس، كواكس.. بريكى.. كى.. كيكس!» وقالت له الضفدعة الأم العجوزة:« لا تطلق هذه الضوضاء وإلا أيقظتها من نومها فى قشرة البندق! فقد تهرب منا بسهولة، لأنها خفيفة مثل ريشة بطن البجعة وسأبلغك بما نفعل».

فسوف نخرجها من قشرة البندق ونضعها فوق إحدى أوراق زنابق الماء البيضاء الكبيرة، الطافية فوق سطح الجدول، فتصبح كالجزيرة الخفيفة والصغيرة بالنسبة لها. وهنا لا تستطيع الإفلات منا، حتى نعد لها غرف الإقامة التى تعيش فيها معك تحت الطين.

وعلى ضفاف الجدول كانت تنمو بوفرة زنابق الماء البيضاء بأوراقها العريضةالخضراء، تبدو كل منها عائمة فوق سطح الماء. وكانت كبرى هذه الأوراق هى أبعدها عن الشاطئ، فعامت إليها الضفدعة الأم العجوزة ، ووضعت عليها قشرة البندق وبها توماليزا.

وفى الصباح المبكر من اليوم التالى استيقظت المخلوقة الصغيرةالمسكينة، وعندما رأت الموقع الذى وجدت فيه بدأت تبكى بكاء مريرا، لأن الماء يحيط بها من كل جانب من جوانب الورقة

الكبيرة الخضراء، ولا تستطيع الوصول إلى اليابسة.

كانت الأم العجوزة مشغولة فى الطين بإعداد الشقة وتزيينها بالأعشاب المائية وبأعشاب الزهور الصفراء، لتجعلها مرتبة وأنيقة لاستقبال زوجة ابنها، وأخيرا، عامت هى وابنها المخيف إلى الورقة التى تركوا توماليزا فوقها، حتى يحضرا مهدها الوثير ويضعاه فى غرفة الزفاف قبل أن يقودها هى إليها. وانحنت الضفدعة الأم العجوزة فى الماء إجلال واحتراما، وقالت لها: « هذا هو ابنى. وسوف يكون زوجك، وسوف تعيشان سويا فى غاية الراحة والسعادة تحت هذا الطين!»

وكل ما استطاع ابنها أن يقول هو: «كواكس، كواكس.. كريكى.. كى.. كيكس!»

ثم أخذا السرير الصغير المرتب وعاما به، بينما جلست توماليزا وحيدة فوق الورقة الخضراء، تبكى لأنها لا تقبل فكرة العيش مع الضفدعة العجوزة المزعجة، وتصبح زوجة لابنها القبيح.

وعندما سمعت الأسماك الصغيرة التى كانت تسبح تحتها رائحة غادية ما قالت الضفدعة الأم، رفعت رؤوسها فوق الماء لترى هذه الفتاة الصغيرة، حتى إذا ما رأوها سحرها جمالها الفتان، وأزعجها كثيرا أن تحمل الضفدعة العجوزة البغيضة هذه الفتاة الجميلة إلى مكان بعيد. فقررت الأسماك رفض هذا الحدث! فأحاطت بالساق الأخضر فى الماء، الذى تقف عليه ورقة زنبقة الماء البيضاء وقضمته بأسنانها، حتى عامت الورقة التى تجلس عليها توماليزا مع تيار

النهر بعيدا إلى حيث لا تدرك الضفدعة العجوزة مداها.

وجاء ذَكر الفراش الصغير الأبيض يخفق حولها حتى استقر فى آخر الأمر فوق الورقة، لأنه أحب توماليزا كثيرا، وفرحت لذلك فرحا شديدا. ولم يكن هناك ما يزعجها، فلا خوف عليها من أن تتعقبها الضفدعة العجوزة. وحينما أبحرث وجدت كل ما حولها جميلا، فالشمس ساطعة على سطح الماء فيبدو لها لامعا كالذهب السائل. ثم خلعت وشاحها، وربطت أحد أطرافه حول ذكر الفراش، بينما ربطت الطرف الآخر بالورقة بإحكام، فعامت الورقة وانطلقت أسرع وأسرع وعليها توماليزا.

والآن، جاء ذَكر خنفس كبير، وجعل يئز من حولها، ورآها، فأطبق بمخالبه حول خصرها النحيل وطار بها إلى إحدى الأشجار. ومازالت الورقة الخضراء تطفو فوق سطح النهر وتسير مع التيار وهى مربوطة بذكر الفراش، الذى ارتبط بها ولا يمكنه الفكاك منها.

آه، لقد فزعت توماليزا المسكينة كثيرا عندما حملها ذكر الخنفس إلى الشجرة، وروعها الأسى عندما شعرت بأن ذَكر الفراش الأبيض الحبيب الذى تركته موثقا فى الورقة الطافية فوق ماء الجدول. قد يهلك جوعاً، إذ إنه لا يستطيع الإفلات من الورقة. ولكن الخنفس لا يعير ذلك اهتماما.

فقد استقر بها فوق أكبر ورقة فى الشجرة، ومنحها بعضا من العسل الذى استمده من الزهور لتأكل، وهمهم إليها بعبارات الإعجاب، يفيدها بأنها تتمتع بحظ وافر من الجمال، ولكنها ليست

بالقطع مثل أنثى الخنفس. وجاءت جميع الخنافس التى تعيش فى هذه الشجرة رويدا رويدا لزيارة توماليزا.

ونظرت إحدى آنسات الخنافس إليها، ومدت إليها قرون استشعارها وقالت: « يالها من بائسة، لأنها لا تملك سوى رجلين اثنين فقط!» وصاحت أخرى: « ليس لها قرون استشعار! وقالت ثالثة: «انظرى! كم هى نحيلة وهذيلة الخصر! ياللعجب إنها تشبه الإنسان!» وأخيرا انطلق صوت الجميع يرددون فى جوقة: «كم هى قبيحة جدا جدا!» وكان الخنفس الذى حمل توماليزا لا يزال يراود نفسه على أنها ليست إلا جميلة، ولكن نزولا على رأى الجميع الذين ظلوا يرددون وأصرواعلى أنها دميمة، رضخ أخيرا إلى التفكير فى الصواب وصمم على أن يدعها إلى حال سبيلها، فتلذهب، وقال إنه لا يعنيه شىء من أمرها. وهكذا طارت بها أسراب الخنافس كلها حتى وضعوها فوق إحدى زهور الربيع. وحينئذ بكت لأنها دميمة بحيث لاتقدم نساء الخنافس على صحبتها. ولكن الواقع أن توماليزا كانت أجمل مخلوقة صغيرة يمكن تصورها، فهى ناعمة ورقيقة وشفافة مثل أجمل ورقة ورد.

عاشت توماليزا وحيدة فى الغابة البرية طوال فصلى الصيف والخريف. صنعت لنفسها سريرا نسجته من أعشاب الحشائش، وعلقته تحت إحدى أوراق النبات الشائك الكبيرة، التى تحميها من مياه الأمطار، وكانت تتغذى على العسل الذى تستمده من الزهور، وتشرب من الطل والندى الذى يلمع فوق أوراق النباتات والأعشاب

من حولها. فإذا أقبل الشتاء، كان باردا وطويلا. وطارت من حولها جميع الطيور التى كانت تغرد بصفاء، وذبلت الأشجار والأزهار، وانطوت الأوراق الكبيرة للنبات الشائك الذى نصبت تحتها توماليزا سريرها، وصار جافا، أصفر السيقان، وبلت ثيابها وقاست من البرد المخيف، وصارت المسكينة الصغيرة نحيلة ذابلة! وكانت على وشك التجمد حتى الموت. وبدأ الجليد يهطل، وكانت كل حبة برد صغيرة جدا تنزل عليها وكأنها ملء جاروفا من الجليد ينسكب عليها، ونبدو لها نحن البشر عمالقة بالمقارنة بهذه المخلوقة الصغيرة التى لا يتجاوز طولها بوصة فقط. ولفت نفسها بورقة شجرة ذابلة، فلم تمنحها الدفء الكافى فارتعدت فرائصها من البرد.

وبالقرب من خارج الغابة التى كانت تسكنها توماليزا، يوجد حقل قمح كبير، ولكن القمح حُصد منذ وقت بعيد، وبقيت فضلات الحصاد الجافة تقف صامدة على أرض متجمدة من البرد. وكانت تشبه غابة أخرى بالنسبة لتوماليزا، فإذا ما سلكت طريقها خلالها ارتعدت من البرد! وأخيرا مرت بباب إحدى فأرات الحقول، حيث صنعت الفأرة لنفسها جحراً صغيرا تحت أعواد فضلات الحصاد، تعيش فيه فى دفء وارتياح، ولديها غرفة مملوءة بالقمح ومطبخ صغير إلى جانب غرفة للخزين. وقفت توماليزا على الباب تستجدى حبة صغيرة من الشعير، نظراً إلى أنها ظلت طوال يومين محرومة من الطعام.

وقالت الفأرة: « مسكينة أنت أيتها الكائنة الصغيرة! ادخلى غرفتى الدافئة وتغذى معى! وكانت مخلوقة عجوزة طيبة حقا».

وما لبثت أن أحبت توماليزا وقالت لها:

«تستطيعين السكنى معى طوال الشتاء إذا أردت، ولكن عليك الحفاظ على غرفتى نظيفة ومرتبة، ولتقصى على حكايات، لأننى أحب الحكايات جدا! وفعلت توماليزا كل ما طلبت منها فأرة الحقل العجوز، وكانت مرتاحة فى مسكنها الجديد. وقالت فأرة الحقل: «الآن، سوف يأتينا زائر، فهو الجار ذو الجُنب، يأتينى للزيارة مرة كل أسبوع. وهو ميسور الحال أكثر منى، فغرف منزله أكبر من غرف منزلى، ويرتدى معطفا جميلا من المخمل الأسود. وربما كانت فرصتك الذهبية أن تتخذى منه زوجا، ولكنه لسوء الحظ ضرير، ولن يستطيع أن يراك، وتستطيعين أن تقصى عليه أجمل الحكايات التى تعرفين.»

ولكن توماليزا لم تعر انتباها لإسعاد جارها السيد الفأر، فهى لا ترغب فى الزواج منه. وقد حضر فى حلته السوداء المخملية. وكان ثريا ومتعلما، وأعلن أن بيته أوسع عشرين مرة من بيت الفأرة العجوزة. ولكنه لا يتحمل وطأة الشمس ولا الزهور الجميلة، إذ كان يسىء إليها جميعا، لأنه لا يرى شيئا منها، وطلب من توماليزا أن تطربه بالغناء، فغنت له أغنية: «أيها الخنفس الصغير المرقط.. عد إلى منزلك!» وأنشودة:« الراهب ذو الرهبنة الفرنسساكنية!» وهام الفأر بها عشقا من سحر صوتها العذب. وعلى أية حال، لم ينطق ببنت شفة، فقد كان حيوانا حصيفًا وحريصا.

وقد فرغ توا من حفر ممر طويل تحت الأرض يوصل بين بيت

الفأرة العجوزة وبيته، وصرح لكل من الفأرة العجوزة وتوماليزا بالسير فيه كيفما تشاء! وأبدى إليهما بألا يفزعا من الطائر الميت الذى يتمدد فى الممر.

أمسك الفأر الضرير فى فمه قدَّاحة، تضىء فى الظلام، ليضىء لأصدقائه الذى يمشون فى الممر فى الظلام. وعندما يمرون بالموقع الذى يرقد فيه الطائر الميت ، يرفع أنفه العريض إلى أعلى السقف ويدفع الأرض من فوقه ليحدث ثقبا يدخل منه الضوء. وفى الأرض يرقد عصفور، ضم جناحيه بإحكام إلى جانبيه، ورأسه ورجلاه دفنها تحت ريشه، ومن الثابت أن العصفور مات من البرد. حزنت عليه توماليزا لأنها تحب العصافير الصغيرة جميعا، لأنها كانت تغنى لها وتطربها طوال فصل الصيف.

ولكن الفأر الضرير ركل العصفور الميت بأرجله القصيرة قائلا:« هذه نهاية سارة لكل صغيرة فما أسوأ مصير الكائن الذى يولد طائرا. ولكن لن تكون أطفالى طيورا، فهذا أمر مريح! فليس لدى هذه المخلوقات سوى «كويفيك»، ولابد أن تموت جوعا فى الشتاء.

وأيدته فأرة الحقل الكبيرة قائلة: «نعم، فالحيوان العاقل حقا مثلك يجب أن يقول هذا، فماذا كسبت الطيور من وراء السقسقة والزقزقة؟»

فإذا جاء الشتاء حق عليها الموت والتجمد من الجوع. وهذا مثال للكائنات الأخرى الأكبر منها!»

ولم تنطق توماليزا بشىء، ولكنهاعندما أدار الآخرون ظهورهم

للطائر مالت عليه ومسحت على ريشه الذى غطى رأسه، وقبَّلت عينيه المغلقتين وقالت فى نفسها «ربما كان ذلك هو الطائر الذى كان يغرد لى فى فصل الصيف، كم كان يبهجنى بصوته ذلك الطائر!»

وقف الفأر الضرير على الثقب الذى نفذ منه ضوء النهار، ثم تابع السير مع السيدات حتى المنزل.

ولكن توماليزا لم تذق للنوم طعما طوال هذه الليلة، إذ نهضت من سريرها ونسجت من العشب بساطا وخرجت لتبسطه حول الطائر الميت. وأتت بشىء من القطن من غرفة فأره الحقل العجوز وغطت به الطائر حتى يتدفأ من هذه الأرض الباردة.

وقالت: «وداعا يا طائرى العزيز، وداعا!

وشكرا لك على غنائك الجميل لى فى موسم الصيف، حيث كانت جميع الأشجار خضرا، والشمس ساطعة تنشر الدفء من فوقنا!»

ثم وضعت رأسها على صدر الطائر، وفزعت إذ سمعت نبضا فيه.

إنه لقلب الطائر، فلم يكن الطائر ميتا، بل كان فى إغماءة، وعندما تدفأ عادت إليه الحياة.

وارتعدت توماليزا من الفزع، لأن الطائر كان أكبر منها بكثير. وعلى أيةحال، لقد تشجعت وأحكمت لف القطن حول الطائر المسكين، وأحضرت ورقة الشجرة التى كانت تلتحف بها ونشرتها فوق رأس الطائر.

وتسللت فى الليلة التالية، واطمأنت إلى عودة الروح تماما إلى الطائر، ولكنه كان ضعيفا لدرجة أنه فتح عينيه لفترة وجيزة لينظر إلى توماليزا، التى وقفت وفى يدها قداحة، ولم يكن لديها سراج آخر.

وقال العصفور المريض: « شكرا لك أيتها الطفلةالصغيرة الجميلة! أنا أشعر الآن تماما بالدفء، وسوف أسترد قوتى فى القريب العاجل، حتى أتسطيع التحليق مرة ثانية فى ضوء الشمس الدافئ.» وأجابت قائلة: «كلا، فلا يزال الطقس باردا، فالجليد يهطل، ويتجمد! ولابد أن تبقى فى سريرك الدافئ، وسوف أرعاك.

وأحضرت للعصفور ماء فى تويج إحدى الزهور، فشرب، وأبلغها بأن أحد جناحيه قد تمزق فى إحدى الأشجار الشوكية، ولهذا فلن يستطيع الطيران بالسرعة الكافية للحاق بالعصافير الأخرى التى تهاجر إلى البلاد الدافئة. وأخيرا سقط على الأرض ولم يستطع أن يتذكر، كيف دخل إلى الممر تحت الأرض.

وعلى أية حال، ظل باقيا تحت الأرض فى الممر طوال الشتاء، وكانت ترعاه توماليزا وتحبه كثيرا، ولكنها لم تفش سره لأى من الفأر الضرير أو فأرةالحقل العجوزة، لأنها تعلم أنهما لا يطيقان سماع سيرة العصفور المسكين.

وبمجرد حلول فصل الربيع وتسلل حرارة الشمس إلى الأرض ودع العصفور توماليزا، وفتحت له، الغطاء من الأرض الذى سبق أن وضعه الفأر الضرير. وسطعت الشمس مباشرة فوقهما بالسعادة وسألها العصفور عما إذا أرادت أن تذهب معه، بأن تمتطى ظهره ويطيرا سويا إلى الغابة الخضراء. ولكن توماليزا أدركت أنها ربما أغضبت فأرة الحقل العجوزة إن هى تركتها.

فقالت توماليزا: لا فأنا لا أستطيع الذهاب معك.

فقال العصفور: «وداعا، إذا، أيتها الشابة الطيبة الجميلة.» وطار فى جو مشمس.

وبحثت عنه توماليزا، وذرفت عيناها الدموع، لأنها أحبت ذلك العصفور حبا جما.

وغرد الطائر وهو يطير فى الغابة الخضراء:

« كويفيت، كو يفيت.»

وحزنت توماليزا حقا، فلم تأذن لها فأرة الحقل العجوزة أن تذهب إلى حيث أشعة الشمس الدافئة، فالقمح الذى تم بذره فى الحقل الذى يكمن تحته منزل فأرة الحقل العجوز نما وترعرع حتى بدا كالغابة الخضراء بالنسبة للفتاة الصغيرة المسكينة، التى لم تتجاوز قامتها البوصة.

قالت فأرة الحقل لجارها: « لابد أن تعمل فى هذا الصيف على إعداد ملابس الزفاف خاصتك.» ذلك لأن الفأر الغبى الضرير فى حلته السوداء المحملية تقدم رسميا لخطبة توماليزا. وقالت لتوماليزا: «لابد أن تتوافر لديك الملابس الصوفية والقطنية وأثاث المنزل قبل أن تصبحى زوجة الفأر الضرير.» ولهذا اضطرت توماليزا إلى ا لعمل بجد واجتهاد على المغزل، واستأجرت فأرة الحقل أربعة عناكب للمساعدة فى الغزل والنسيج طوال الليل والنهار.

وكان الفأر الضرير يأتى كل مساء، ويتحدث كثيرا عن نهاية الصيف الوشيكة، وعندما تخف وطأة حرارة الشمس وتصبح الأرض جافة تماما، تأخذ مراسم الزواج بتوماليزا مجراها. ولكن هذا النوع

من الحوار لم يعجبها على الإطلاق، لأنها ضاقت ذرعا بغبائه وثرثرته. وفى كل صباح تشرق الشمس، وفى كل مساء تغرب الشمس، أعتادت أن تتسلل خلسة إلى الباب، حتى إذا هبت الريح أزاحت أعواد القمح جانبا، ورأت السماء الزرقاء من بين الأعواد، تمنت من قلبها أن ترى العصفور الحبيب مرة ثانية. ولكنه لم يحضر، إذا إنه كان يطير بعيدا فى الغابة الخضراء الجميلة.

وأقبل الخريف، وكانت ملابس الزفاف جاهزة لدى توماليزا. وقالت فأرة الحقل: «بعد أربعة أسابيع سوف تتزوجين!» ولكن توماليزا بكت وقالت إنها لا ترغب فى الزواج من هذا الفأر الغبى.

وصاحت فأرة الحقل: «ياللهراء! لا تكونى عنيدة. يابنتى، وإلا عضعضتك بأسنانى البيضاء! أليس أنيقا حقا ياللعجب! فالملكة لا ترتدى مثل ملابسه المخملية السوداء التى يرتديها! أليس ثريا– فى المطبخ والقبو؟ فلتحمدى الظروف على أن يكون لك مثل هذا الزوج!

وجاء موعد اليوم المحدد للزفاف، وحضر الفأر الضرير ليصحب عروسه، التى تسكن معه، تحت الأرض، والتى لن ترى الشمس الدافئة التى تحبها والتى لا يطيق احتمالها. وأصاب اليأس الطفلة المسكينة التى ظنت أنها ستودع الشمس الجميلة التى كانت على الأقل تختلس النظر إليها بين حين وآخر عندما كانت تعيش مع فأرة الحقل العجوزة.

وصاحت توماليزا: «وداعا، أيتها الشمس الخالدة قالتها وهى تقذف بذراعها فى الهواء، وتمشى قليلا بعيدا عن باب فأرة الحقل. وكان القمح تم حصاده، ولم تُحط بها إلا فضلات الحصاد.

وأعادت الكرَّة وهى تطوق بذراعيها الصغيرين زهرة حمراء نمت هناك: « وداعا، وداعا! تحية منى إلى العصفور الحبيب، إذا رأيته.»

وخفقت أجنحة فوق رأسها تقول: «كويقيت! كويقيت!» ونظرت إلى أعلى ورأت العصفور الصغير يطير فوقها. وكم كانت فرحته عندما رأى توماليزا! وأبلغته بأنها أجبرت على قبول الفأر الضرير الذى لا يناسبها زوجا لها، وأنها ستضطر إلى الإقامة فى مسكن تحت الأرض حيث لا ترى الشمس. ولم تتمالك نفسها، إذ أجهشت بالبكاء وهى تتكلم.

فقال العصفور: قريبا سيأتى الشتاء البارد، وسوف أطير إلى البلاد الدافئة، فهل ترافقيننى؟ إذ يمكنك الجلوس على ظهرى وتربطين نفسك جيدا بوشاحك، ونطير سويا بعيدا عن ذلك الفأر وغرفته المظلمة، بعيدا فوق الجبال وصولا إلى تلك البلاد التى تسطع فيها الشمس بالدفء، حيث يوجد الصيف دائما، وتزهر الأزهار طوال العام. تعالى وطيرى معى، ياتوماليزا الصغيرة والجميلة، يامن أنقذت حياتى، عندما كنت راقدا متجمدا فى القبو تحت الأرض.»

وقالت توماليزا:«نعم، سوف آتى معك! وجلست فوق متن الطائر، وأراحت قدميها على جناحيه المنتشرين فى الهواء، وربطت نفسها بإحكام بوشاحها فى واحدة من أقوى ريشاته.

ثم حلَّق العصفور عاليا فى الهواء وطار فوق الغابة والبحيرة وفوق الجبال التى تغطى هاماتها الثلوج طول العام. وكيف ارتعشت توماليزا عندما استنشقت الهواء الشديد البرودة! وعلى أية حال، لقد

اختبأت على الفور تحت ريش الطائر الدافئ، ولا تزال عيناها تتطلعان إلى الأمام، وهى مشتاقة إلى أن تشاهد كل الجمال والمجد من أسفل منها. وأخيرا وصلا إلى البلاد الدافئة. وهناك تضىء الشمس إضاءة أكثر مما تضىء فى طقس بلادها. وبدت السماء ضعف ارتفاعها المعهود، وزرقتها ضعف ما عهدت.

وقد اصطفت على طول ميول التلال أشجار خضراء ثرية حافلة بأطيب أنواع العنب الأخضر والأرجوانى.

وشاهدت الليمون والشمام فى البساتين، وعبقت فى الجو روائح الرياحين والنباتات العطرية، وعلى أجناب الطرق شاهدت ذرافات من الأطفال المرحين يطاردون الفراشات ذات الأجنحة اللامعة الضخمة.

ولكن العصفور لم يسترح هنا، فلا يزال يطير، ولا يزال المنظر يبدو أبهى وأبهى. وبالقرب من إحدى البحيرات الهادئة الزرقاء، التى تطل عليها أشجار شامخة، يوجد قصر من الرخام الأبيض نصفه أطلال، بنى منذ زمن بعيد. وقد توجت هامات الأعمدة العالية النحيلة أكاليل العنب، وعلى تيجان الأعمدة بنت كثير من العصافير أعشاشها بيد أوراق الأشجار الخضراء والنباتات المتسلقة، ومن هذه الأعشاش يوجد عش للعصفور التى امتطت توماليزا متنه.

قال العصفور: هذا هو بيتى، ولكنك إذا فضلت اختيار إحدى الزهرات اليانعة التى تقع أسفل منا لنفسك ، فسوف أوصلك إليها، حيث تتخذين لك مأوى فى أجمل واحدة منها. وتعجبت كثيرا وصفقت بيديها الدقيقتين، وقالت: «سوف يكون ذلك ساحرا.» وتوجد

شذور من أعمدة المرمر البيضاء تحتهما على المسطح الأخضر، سقطت على الأرض، والتفت حول هذه الشذرات أزهار كبيرة بيضاء جميلة وهبط العصفور بتوماليزا ووضعها فوق أحد التويجات العريضة. وكم كانت دهشتها عندما رأت أحد الأقزام الصغار جالسا فى قلب الزهرة، وكان جميلا وشفافا وكأنه مصنوع من الزجاج، ويلبس فوق رأسه أجمل تاج مصنوع من الذهب، وعلى كتفيه أرق الأجنحة وأكثرها لمعانا، ولكنه أكبر قليلا من توما ليزاذاتها. كانت هذه هى روح الزهرة. وفى كل زهرة هناك آوت مثل هذه الشابة أو الفتاة الحورية، ولكن كان هذا هو الملك على كل أرواح الزهور.

وهمست توماليزا فى أذن العصفور: آه كم هو أنيق، ذلك الملك!»

وأندهش أمير الحوريات تماما عندما هبط العصفور فجأة، فلما رأى توماليزا أعجب بها كثيرا، لأنها هى أجمل فتاة شاهدها فى حياته. ولهذا خلع التاج الذهبى من فوق رأسه ووضعه على رأسها، وسألها عن اسمها، وهل تقبل أن تكون عروسه، وتحكم معه ملكة لكل أرواح الزهور. وهذا العريس مختلف تماما عن ابن الضفدعة العجوزة الدميمة، وعن الفأر الأعمى ذى المعطف المخملى الأسود. ولهذا أجابت توماليزا بالإيجاب قائلة: «نعم» للأمير وحينئذ خرجت كل الحوريات من السيدات والرجال كل من زهرة منفصلة، لتقديم الولاء لتوماليزا وقدم لها كل منهم هدية.

ولكن أفضل كل هذه الهدايا كان زوجا من الأجنحة، ربطا فى كتفى توماليزا، ومكناها من الطيران من زهرة إلى أخرى. وكان هذا

مبلغ السرور، وجلس العصفور الصغير فوق عشه وشدا بأعذب الألحان. ولكن قلبه على أية حال كان حزينا غاية الحزن، لأنه أحب توماليزا، وتمنى ألا يفارقها أبدا.

وقال لها ملك الزهور: «لن يظل اسمك توماليزا، فهو اسم غيرمناسب، بينما أنت أجمل منه! وسوف يكون اسمك مايا.

وغنى العصفور: «الودا ع! الودا ع! ثم طار فى رحلته عائدا من البلاد الدافئة إلى الدنمارك. وهناك بنى عشا صغيرا فوق نافذة الرجل الذى يكتب قصصا للأطفال. وغرد له: «كويفيت! كويفيت! كويفيت! ومنه عرفنا هذا التاريخ.

القداحة

أقبل الجندى سيرا على الأقدام فى الطريق العام: واحد اثنين!.. شمال.. يمين! وكان يحمل حقيبة الميدان على ظهره والسيف فى جانبه، قادما من ميدان القتال. متجها إلى منزله. وفى الطريق قابل ساحرة مشعوذة عجوزا، وكانت دميمة ومخيفة، إذ تتدلى شفتها السفلى على صدرها.

وقالت له: «مساء الخير، أيها الجندى! ياللعجب! ما أجمل السيف الذى تحمله، وما أكبر حقيبتك الميدانية التى تحملها. يالك من جندى شجاع! والآن، أتنبأ لك بأن تمتلك مالا وفيرا كيفما تشاء!»

فقال لها الجندى: « شكرا لك أيتها الساحرة المشعوذة»!

فقالت الساحرة: هل ترى هذه الشجرة الضخمة؟»

وأشارت إلى شجرة بجوارهما. « وهذه الشجرة مجوفة من الداخل. وعليك أن تتسلقها حتى تصل إلى ذروتها.

وحينئذ سوف ترى ثقبا تنزلق خلاله حتى تصل إلى أسفلها من الداخل! وسأربطك من وسطك بحبل أرفعك به عندما تطلب منى ذلك.»

وسألها الجندى: « وماذا أفعل أسفل هذه الشجرة من الداخل؟»

فأجابت الساحرة المشعوذة: « سوف تحضر أموالا! وسوف أبلغك بالأمر، فعندما تصل إلى قاع الشجرة ستجد أمامك بهوا واسعا، مضاء تماما بأكثر من مائة مصباح. وهناك تشاهد ثلاثة أبواب، بها مفاتيحها، يتعين عليك أن تفتحها. فإذا دخلت الغرفة الأولى، شاهدت صندوقا كبيراً فى وسطها، يجلس عليه كلب ذو عينين فى حجم فنجان الشاى. وعليك ألا تعيره أى انتباه. خذ مئزرى الأزرق لتنشره على الأرض، ثم تقدم بسرعة لتحضر الكلب وتضعه على مئزرى، وافتح الصندوق وخذ منه ما تشاء من عملات معدنية، جميعها من النحاس الأحمر. وإذا أردت أن تحصل على عملات فضية، إذهب إلى الغرفة التالية، ففيها يجلس كلب ذو عينين فى حجم تروس الطاحونة فوق صندوق! وما عليك إلا أن تتجاهله، وأن تضعه فوق مئزرى وأن تفتح الصندوق وتأخذ ما تشاء من العملات. أما إذا أردت العملات الذهبية، فعليك أن تحصل على ما تشاء إذا دخلت الغرفة الثالثة. ولكن الكلب الذى يقبع فوق الصندوق المملوء بالنقود ذو عينين فى حجم البرج المستدير! وهذا كلب حقيقى، ولكننى أبلغك ألا تعيره انتباهك. ضعه فوق مئزرى، حتى لا يؤذيك، وخذ ما تيسر لك من عملات ذهبية من الصندوق.

وقال الجندى: لا بأس فى ذلك! ولكنى أسألك عما تريديننى أن أحضر إليك؟ حيث أنى أتوقع أن تطلبى شيئًا كذلك.

فأجابت الساحرة بالنفى وقالت: «أنا لا أطلب حتى شلنا واحدا. وكل ما أطلب هو صندوقًا معدنيًا قديمًا ذا قداحة، نسيته جدتى فى آخر زيارة لها فى ذلك المكان.

وقال الجندى: «حسنا! ضعى الحبل حول وسطى.

فأجابت الساحرة: «هاك هو، وذلك هو مئزرى الأزرق كذلك خذه معك».

وحينئذ تسلق الجندى الشجرة، وأسقط نفسه فى الثقب حتى وصل إلى البهو الكبير الذى أبلغته به الساحرة، ووجده مضاء بأكثر من مائة مصباح.

وعندما فتح الباب الأول صاح مذعورا.. ياللهول! هناك يجلس الكلب ذو العينين التين تشبهان فنجانى الشاى، فحملق فى وجهه. فقال له الجندى: يالك من رفيق جميل!» ووضع الكلب فوقه كما كان، وذهب إلى الغرفة الثانية. وصاح صيحة تعجب! وفيها شاهد الكلب ذا العينين الكبيرتين فى حجم تروس الطاحونة.

وقال له الجندى:« لا تنظر إلى بهذه النظرات الحادة، حتى لا تؤذى عينيك!» ثم أخذ الكلب ووضعه فوق مئزر الساحرة، ولكنه عندما شاهد العملات الفضية فى الصندوق تخلص من جميع العملات البرونزية، وملأ جيوبه وحقيبته بالعملات الفضية فقط. والآن، ذهب إلى الغرفة الثالثة! وتملكه العجب، فكم كانت مرعبة!

فالكلب فيها ذو عينين كبيرتين فى حجم البرج المستدير، تدوران فى حدقتيهما كالتروس الضخمة! فقال له الجندى: «سعدت مساء!» ورفع يده بالتحية، لأنه لم يشاهد قط كلبا فى مثل حجمه من قبل. ولكنه بعد أن أمعن فيه النظر، وفكر: «كفانى ذلك الآن!» ورفع الكلب ووضعه على المئزر وفتح الصندوق. وقال: «حسنا، إنى لمحظوظ وحق السماء» فما أكثر ما شاهد من عملات ذهبية! وظن أنه يستطيع بها أن يشترى كوبنهاجن بأسرها، وكل الحلويات والأثاث فى العالم بأكمله. نعم! كان هذا المال وفيرا حقا. وعندئذ ألقى بكل ما فى جيوبه وحقيبته من العملات الفضية واستبدلها بعملات ذهبية، فامتلأت جيوبه وحقيبته وقبعته وحذاؤه حتى تعذر عليه السير بها!

فهو الآن يمتلك مالا وفيرا! ووضع الكلب فوق الصندوق وأغلق الباب، وصاح خلال الشجرة:

«إرفعينى أيتها الساحرة الكبيرة»

وقالت له الساحرة: «هل أحضرت الصندوق المعدنى ذا القداحة؟ وقال الجندى: «هذا صحيح.. لقد نسيته تماما» وحينئذ ذهب وأحضره. وجذبته الساحرة حتى وقف أمامها على الطريق الرئيسى وقد امتلأت جيوبه وحقيبته وقبعته وحذاؤه بالمال.

وسألها الجندى: «لماذا تريدين هذا الصندوق المعدنى ذا القداحة؟ فأجابته الساحرة: لا شأن لك بذلك! ياللعجب! لقد حصلت على ما تبتغى من المال، وماعليك إلا أن تعطينى القداحة!»

فقال الجندى: «هذا هراء! خبرينى على الفور، لماذا تريدين هذا

الصندوق، وإلا سحبت سيفى وقطعت رقبتك!»

فأجابت الساحرة: «لا».

وحينئذ قطع الجندى رقبتها، وطوى الجندى المئزر على كل ما به من نقود وحمله كالعذل على ظهره ووضع القداحة فى جيبه وتوجه مباشرة إلى المدينة.

كانت مدينة رائعة، نزل فى أفخم فنادقها وطلب أفضل غرف فيه وتناول أطيب الأطعمة التى يحبها، ذلك لأنه الآن غنى ولديه مال وفير.

وشك ماسح الأحذية فى الأمر، إنه لشىء عجيب أن يكون صاحب هذا الحذاء هو ذلك الرجل الثرى، ذلك لأنه لم يكن أشترى حذاء جديداً بعد. وفى اليوم التالى اشترى حذاء جديدا وملابس أنيقة، حتى صار الجندى وجيها، فأبلغه الناس من حوله بكل تفاصيل المدينة، كما أخبره بأن الملك له ابنة أميرة جميلة.

وسأل الجندى: «أين يمكننى أن أراها؟»

فأجاب الناس: «لا يمكنك رؤيتها على الإطلاق، لأنها تعيش فى قصر من النحاس تحيط به الجدران والأبراج، ولا يسمح لأى فرد الدخول أو الخروج سوى الملك، لأن العرافين قالوا إنها سوف تتزوج جنديا عاديا، الأمر الذى يرفضه الملك تماما»

وحدثت الجندى نفسه قائلة: «أتمنى أن أراها، ولكن هذا يبدو مستحيلا».

والآن عاش الجندى حياة المرح والسعادة، دخل المسرح ودخل المنتزه الملكى وأغدق الكثير من المال على الفقراء عن طيب خاطر،

وتذكر جيدا تلك الأيام الخوالى حين كان مفلسًا! أما الآن فهو غنى يرتدى أفخر الثياب وصار له أصدقاء كثيرون كانوا يمتدحون رفقته ويصفونه بأنه فارس مجيد، ولكنه كان لا يعبأ بهذا المديح. ونظرا إلى أنه أنفق كل يوم مالا وفيرا دون تعويض، فقد صار فى النهاية لا يملك أكثر من شلنين، واضطر إلى مغادرة الغرف الفاخرة والعيش فى غرفة صغيرة فوق سطح أحد المنازل، كما أضطر إلى أن يقوم بنفسه بتلميع حذائه وإصلاحه بالإبرة، وتفرق عنه الأصدقاء الذين ينهكهم صعود الدرج لكى يصلوا إليه فى غرفته.

وفى إحدى الأمسيات الحالكة الظلمة، لم يستطع أن يشترى شمعة، ولكنه تذكر أن الصندوق المعدنى ذا القداحة يحتوى على عقب شمعة، ذلك الصندوق الذى حصل عليه من تجويف الشجرة حين ساعدته الساحرة على الحصول عليه، ولكنه عندما أخذ الصندوق وأخرج منه عقب الشمعة، أراد أن يشعل الشمعة بالقداحة ذات الزناد. وبمجرد انطلاق الشرارة الأولى من القداحة أنفتح باب الصندوق وخرج منه الكلب ذو العينين اللتين تشبهان قدح الشاى، وهو نفس الكلب الذى رآه فى الغرفة الأولى تحت الشجرة، ووقف الكلب أمامه وقال:«ماذا تريد منى يا سيدى أن أفعل؟»

فصاح الجندى مندهشا: «ما هذا؟ ياللعجب، ما أعجب هذا الصندوق الذى يلبى لى كل مطالبى؟ أيها الكلب آتنى بعضا من المال.» ونبح الكلب وانطلق ثم نبح وعاد وفى فمه حقيبة مليئة بالعملات المعدنية.

وحينئذ أدرك الجندى قدر هذا الصندوق المعدنى الرائع. فإذا دق زناد القداحة دقة واحدة أتى إليه ذلك الكلب الذى كان جالسا فوق صندوق ملىء بالعملات البرونزية، وإذا دق الزناد دقتين أتى إليه ذلك الكلب الذى كان جالسا فوق صندوق ملىء بالعملات الفضية، وإذا دق الزناد ثلاث دقات أتى إليه ذلك الكلب الذى كان جالسا فوق الصندوق الملىء بالعملات الذهبية. وبناء على ذلك انتقل الجندى إلى العيش فى الغرف الفاخرة مرة ثانية، وارتدى الثياب الفخمة وعاد إليه أصدقاؤه من جديد وكانوا معجبين به أيما إعجاب.

وفكر الجندى ذات يوم : «أليس من العبث حقا ألا يسمح لأحد بأن يرى الأميرة؟ ويقول الناس إنها من المفروض أن تكون جميلة جدا. ولكن ما الفائدة من جلوسها دائما داخل القصر النحاسى ذى الأبراج؟ ألا يمكننى على أقل تقدير أن أراها؟ والآن، أين صندوقى المعدنى ذو القداحة؟» وحين دق زناد القداحة دقة واحدة، سمع نباحا، ووقف أمامه الكلب ذو العينين الشبيهتين بقدح الشاى.

فقال له الجندى:« أعلم أننا الآن فى منتصف الليل، ولكننى أريد أن أرى الأميرة ولو لمدة وجيزة.

وخرج الكلب على الفور، وما هى إلا لحظة كلمح البصر حتى عاد الكلب يحمل الأميرة على ظهره. جلست على متن الكلب وهى نائمة، وكانت رائعة الجمال، لا يشك كل من يراها فى أنها أميرة. ولم يستطع الجندى أن يقاوم مشاعره نحوها، فقبلها وهو الجندى الأصيل.

وانطلق الكلب عائدا بالأميرة إلى حيث كانت. وفى الصباح، كان الملك والملكة يتناولان الشاى، فقالت لهما الأميرة أنها رأت فى المنام حلما غريبا فى الليلة الماضية عن كلب وجندى، إذ كانت تمتطى الكلب، بينما كان الجندى يقبلها.

فقالت الملكة: «إنها لقصة رائعة حقا!»

والآن عينت الملكة وصيفة عجوزا لتراقب الأميرة وتقف بجوار سريرها فى الليلة القادمة لتتبين حقيقة الأمر، عما إذا كان الأمر حلما أو غير ذلك.

وتطلع الجندى لرؤية الأميرة الجميلة مرة ثانية، فأقبل الكلب ليلا وأخذ الأميرة وانطلق بها بأسرع ما يمكن، ولكن الوصيفة العجوز التى تراقب الأميرة خلعت نعلها وانطلقت وراءهما بنفس السرعة ورآتهما يختفيان فى داخل بيت كبير، فرسمت بالطباشير صليبا كبيرا على الباب.

ثم عادت إلى المنزل لتنام، حين عاد الكلب ومعه الأميرة. وعندما رأى الكلب رسم الصليب على الباب تناول قطعة من الطباشير ورسم صلبانا على جميع الأبواب فى المدينة، حتى يضلل الوصيفة عن الباب الذى دخل فيه الكلب حاملا الأميرة، إذ أن كل باب قد رسم عليه صليب.

وفى صباح اليوم التالى حضر الملك والملكة والوصيفة العجوز وجميع العاملين فى القصر ليحددوا أين كانت الأميرة؟

وصاح الملك عندما رأى الصليب مرسوما على الباب الأول: «هنا!»

وصاحت الملكة عندما رأت الصليب مرسوما على الباب الثانى: «كلا يا زوجى العزيز، بل هنا..»

وصاح الجميع: «بل هنالك واحد وهنالك آخر!»

فأينما نظروا وجدوا صليبا على كل باب. وخاب مسعاهم فى البحث عن الباب الصحيح.

وكانت الملكة عاقلة جدا، إذ كانت تعلم عن أشياء كثيرة، ولم تكن مجرد ملكة تركب العربة الملكية، فأخذت مقصها الذهبى، وقصت قطعة كبيرة من الحرير وصنعت حقيبة صغيرة جميلة، وملأتها بحبات القمح الأسود وربطتها على ظهر الأميرة ثم ثقبت الحقيبة من أسفلها ثقبا صغيرا، يسمح بتساقط حبات القمح على طول الطريق الذى تمر به الأميرة.

وفى تلك الليلة أتى الكلب ثانية وحمل الأميرة على متنه وتوجه بها إلى الجندى الذى هام بحبها ويتمنى من كل قلبه أن يتزوجها ويصبح أميرا.

ولم يتنبه الكلب إلى حبات القمح التى تتساقط من ثقب الحقيبة على طول الطريق من القصر حتى نافذة الجندى، حيث قفز الجدار إلى الجندى حاملا الأميرة وفى الصباح علم الملك والملكة أين كانت ابنتهما، وأخذا الجندى على الفور ووضعاه فى السجن، حيث جلس يتألم.. آه! فما أوحش وأظلم السجن! وفى الصباح أبلغاه بأنه سوف يشنق فى الغد! وما أسوأ هذا الخبر، خاصة وأنه نسى الصندوق المعدنى ذا القداحة فى الفندق. وفى الصباح رأى من خلال القضبان

الحديدية التى تؤمن النافذة الصغيرة الناس يتزاحمون فى المدينة ليشاهدوا الجندى وهو يشنق. وسمع الطبول تدق والجنود يسيرون فى الطابور.والناس يتدافعون، رأى منهم صبى صانع الأحذية وقد لبس مريلة من الجلد ونعالا وهو يهرول حتى انخلع أحد نعاله وطار ليستقر بجوار الجدار الذى يوجد فيه الجندى الذى ينظر إلى الناس من بين القضبان الحديدية المركبة فى النافذة.

وصاح الجندى «تعال إلىَّ يا صبى صانع الأحذية، فليس فى الأمر عجلة. ولن يحدث شىء حتى أصل إلى موقع المشنقة. فإذا ذهبت إلى مسكنى وأحضرت الصندوق المعدنى ذا القداحة فسوف أمنحك أربعة شلنات.. وما عليك إلا أن تسرع فى إحضاره.

وفرح الصبى بحصوله على الشلنات الأربعة، وانطلق سريعا حتى أتى للجندى بالصندوق المعدنى ذى القداحة، وحينئذ سمع صوتا ينادى:

أقيمت مشنقة كبيرة خارج المدينة، يقف حولها الجنود ومئات الآلاف من الناس. وجلس الملك والملكة فوق عرش جميل يعلو منصة القاضى وهيئة المحكمة، وقد صعد الجندى على السلم، ولكن بينما كانوا يضعون عروة المشنقة حول عنقه قال: آه، إن المذنب دائما يمنح الفرصة لتحقيق إحدى امنياته البريئة قبل أن يتلقى جزاءه ، وأنه يطلب أن يدخن غليونا من الطباق. وبعد ذلك، سوف يكون آخر غليون يدخنه فى حياته.

ولم يستطع الملك أن يرفض هذا الطلب، وهكذا أخذ الجندى الصندوق المعدنى ذا القداحة، ودق زناد القداحة مرة ثم مرتين ثم

ثلاثا! وحينئذ وقفت أمامه الكلاب الثلاثة: الأول ذو العينين الكبيرتين مثل قدح الشاى، والثانى ذو العينين الكبيرتين فى حجم حجر الطاحونة، والثالث ذو العينين الكبيرتين مثل البرج المستدير.

وصاح فيها الجندى: «هيا انقذونى من المشنقة»

وحينئذ انطلقت الكلاب إلى القاضى وهيئةالمحكمة مباشرة وسحبوا واحدا منهم من رجليه والثانى من أنفه وقذفوهم بضعة أميال إلى أعلى فى الهواء حتى سقطوا على الأرض وتمزقت أجسادهم إربا.

وصاح الملك: «أنا لا أريد!» ولكن الكلب الأكبر أخذ كلا من الملك والملكة وقذف بهما خلف الجمع الحاشد وقذف فى قلوب الجنود الرعب وصاح الناس: أيها الجندى الصغير، سوف تصبح لنا ملكا وسوف تتزوج الأميرة الجميلة.

وحينئذ وضعوا الجندى فى مركبة الملك ورقصت أمامه الكلاب الثلاثة وصاحوا: «مرحبا!» وصفر الأولاد بأصابعهم، وقدم الجنود أسلحتهم، وخرجت الأميرة من القصر النحاسى وتوِّجت ملكة وغمرها الفرح. واستمر حفل الزفاف ثمانية أيام وجلست الكلاب الثلاثة إلى المائدة وعيونهم مفتوحة تراقب كل ما يدور حولهم.

البجعات البرية

بعيدا، بعيدا فى إحدى البلاد التى تهاجر إليها العصافير فى فصل الشتاء البارد، يعيش ملك له أحد عشر ولدا وابنة واحدة هى الجميلة إليزا، ويذهب الإخوة الأحد عشر إلى المدرسة وعلى صدر كل واحد منهم نجمة وفى جانبه سيف، وهم يكتبون على ألواح من ذهب وأقلام من الألماس، ويقرأون إما بالكتاب أو بدونه وبإيجاز، يسهل تمييزهم على أنهم أمراء. واعتادت أختهم إليزا أن تجلس على مقعد صغير من الزجاج، ولها كتاب مصور يبلغ ثمنه نصف ثمن المملكة. آه، كان الأطفال سعداء غاية السعادة!

ولكنهم لم يظلوا سعداء إلى الأبد.

ماتت والدتهم، وتزوج أبوهم الملك ملكة شرها كثير، فلم تكن على الإطلاق رحيمة بالأطفال المساكين- تبينوا ذلك منذ اليوم الأول للزواج، عندما أقيم مهرجان كبير فى القصر، إذ إنها، رأتهم يلعبون،

وبدلا من أن تقدم لهم الكعك والحلوى، أعطتهم رملا فى طبق صغير وأمرتهم أن يتصوروا أنه شىء حسن.

وفى الأسبوع التالى، إرسلت إليزا الصغيرة إلى أحد الفلاحين فى الريف ليربيها عنده، ولم يمر وقت طويل حتى أفترت على الأمراء المساكين كذبا أبلغته إلى الملك، الذى لم تكن لديه حيلة يصرفهم بها. قالت الملكة الشريرة: اذهبوا وأنتم الطلقاء فى العالم لترعوا أنفسكم، طيروا فى هيئة الطير الصامت الذى لا يتكلم. ولكنها لم تستطع أن تجعل تحولهم رديئًا كما تود أن تفعل، بل تحول، الآمراء إلى إحدى عشرة بجعة بيضاء.

وبعد أن أطلقوا صيحة غريبة طاروا خارجين من نوافذ القصر، فوق البستان والغابة.

كان الوقت لا يزال فى الصباح الباكر عندما مروا بمكان الكوخ الذى تنام فيه إليزا وداروا عدة دورات حول السقف وقد بسطوا رقابهم الطويلة للأمام، وخفقوا بأجنحتهم، دون أن يراهم أحد، فاضطروا إلى الطيران بعيدا، فوق السحب وفى العالم الفسيح، حتى وصلوا إلى الغابة الممتدة على طول ساحل البحر.

كانت إليزا الصغيرة المسكينة تتلهى باللعب فى كوخ الفلاح باللعب بورقة خضراء من إحدى الأشجار، لأنها لم يكن لديها لعب أخرى تلهو بها. فوخزت الورقة وأحدثت بها ثقبا أطلت منه إلى الشمس، وتخيلت أنها ترى أعين إخوتها اللامعة، وكلما سطعت أشعة الشمس الدافئة على وجناتها ظنت أن إخوتها يقبلونها.

ومرت الأيام متشابهة تماما، فإذا ما هبت الريح خلال السياج الشجرى الكثيف من أشجار الورد أمام البيت، كانت تهمس للورود: من أكثر منكم جمالا؟ وكانت الورود تهز رؤوسها وتقول: «إليزا». وعندما جلست زوجة الفلاح على باب كوخها فى يوم الأحد وهى تقرأ كتاب الابتهالات، شخشخت الريح فى أوراق الكتاب وقالت لها «من أشد منك إيمانا؟» أجاب كتاب الابتهالات: «إليزا. وما قالت الريح وما قال الكتاب إلا الحقيقة.

وعندما بلغت إليزا الخامسة عشرة أرسل أبوها الخدم ليحضروها إليه. فلما رأتها الملكة بهذا الجمال، ازدادت لها كرها، وقررت أن تحيلها مثل إخوتها إلى بجعة برية، ولكنها لم تستطع ذلك، لأن الملك أراد أن يرى ابنته.

وفى الصباح التالى دخلت الملكة حماما صنع من المرمر، وزوِّد بالوسائد الفاخرة والسجاجيد القيمة. وأخذت ثلاث ضفادع وقبّلتهم وقالت لإحداها: استقروا على رأس إليزا حتى تصبح غبية وكثيرة النوم مثلكم. وقالت لضفدعة أخرى: استقرى على جبينها ودعيها تكون قبيحة مثلك، حتى لا يعرفها أبوها بعدئذ. وقالت للثالثة: إجلسى فوق صدرها، حتى يصير قلبها فاسدا وشريراً، ويعذبها ثم وضعت الضفادع الثلاث فى الماء الصافى، الذى تحول إلى اللون الأخضر، وأتت بإليزا وخلعت ملابسها وأدخلتها فى الحمام.

وبينما هى تغطس فى الماء، استقرت إحدى الضفادع فى شعرها، والأخرى على جبينها، والثالثة على صدرها. ولم تكن إليزا

تدرى بذلك كله، ولما نهضت رأت ثلاث زهرات تعوم فوق الماء. فإذا لم تكن هذه الحيوانات سامة، وقبَّلتها الساحرة المشعوذة، لتحولت إلى ورود وهى لا تزال تقف على رأس إليزا وصدرها- لقد كانت طيبة لدرجة أن السحر لا يجدى معها.

وعندما علمت الملكة بذلك دهنت بشرة الفتاة بعصير الجوز حتى تلوثه، ووضعت على وجهها مرهما دميما، وعقدت شعرها الطويل الكثيف حتى أصبح من المتعذر تمييز إليزا الجميلة. فلما رآها أبوها، أذهلته الصدمة وقال إن هذه ليست ابنته، ولم يكن فى مقدور أحد أن يصنع شيئا معها إلا كلب الحراسة والعصافير، ولكن هذه المخلوقات المسكينة لا تستطيع أن تقول شيئا لصالحها.

بكت إليزا المسكينة وفكرت فى إخوتها الأحد عشر، ولم تر أحدا منهم فى القصر.

فتسللت خفية وهى تعانى اليأس الشديد، وراحت تجول فى الحقول والمستنقعات طوال النهار، حتى وصلت إلى الغابة. ولم تدر إلى أين تذهب، وكانت حزينة للغاية، وتاقت نفسها لرؤية إخوتها، الذين طردوا وشردوا فى العالم، وأصرت على اللحاق بهم.

لم يمر وقت طويل فى الغابةحتى أقبل الليل فضلَّت طريقها وسط الظلام. ولهذا رقدت على العشب بعد أن أدت صلاة المغرب، وأسندت رأسها إلى جذع شجرة. كانت الغابة ساكنة هادئة والهواء لطيفا، ومن الطحالب والحشائش انبعثت أضواء خضراء من عدة مئات من الديدان المتوهجة، وعندما لمست إليزا أحد الأغصان المتدلى فوقها

انهالت على رأسها حشرات لامعة كأنها النجوم الهابطة.

باتت طوال الليل تحلم بإخوتها. ويبدو لها أنهم عادوا أطفالا مرة أخرى، يلعبون مع بعضهم البعض ويكتبون بأقلام من الألماس على ألواح من الذهب، ويطالعون الصور فى الكتاب الجميل الذى يبلغ ثمنه نصف ثمن المملكة. ولكنهم لم يعودوا يرسمون كما سبق أن فعلوا خطوطا مستقيمة ودوائر على الألواح. كلا، بل كتبوا على الأعمال الجريئة التى قاموا بها والمغامرات العجيبة التى واجهتهم. وفى كتاب الصور كذلك يبدو كل شىء حيا، فالطيور تغرد والرجال والنساء يخطون من صفحة إلى أخرى ويتحدثون عن إليزا وإخوتها، وهم يعودون قفزا إلى أماكنهم، وعلى أية حال، عندما كانت تقلب الصفحات كانت الصور لا يختلط بعضها ببعض.

وعندما استيقظت إليزا كانت الشمس تتكبد السماء. ولكنها لم تستطع رؤيتها، فالأشجار العالية فى الغابة تشابكت أغصانها ذات الأوراق الكثيفة حتى إن أشعة الشمس راحت تداعبها حتى صارت أشبه شىء بالستارة الذهبية التى تتماوج ذات اليمين وذات الشمال.

وكان الهواء معطرا، والطيور تحط على كتفى إليزا.

وسمعت هدير الأمواج، ولما توجهت إليها وجدت بحيرة تكونت من عدة ينابيع، وفى قاعها رأت أجمل الأحجار الصغيرة. وتنمو حولها الشجيرات بكثافة، ولكن الغزالة شقت لنفسها ممرا. خلالها، سارت عليه إليزا حتى وصلت إلى حافة الماء. كان الماء صافيا، ولولا أن الأغصان والشجيرات من حول الماء كانت تتحرك إلى الأمام وإلى

الخلف بفعل الرياح لتبادر إلى ذهنها أنها لوحة جميلة رسمت على صفحة الماء الناعمة، حتى إن كل ورقة صغيرة من أوراق الأشجار كانت تنعكس عليها كالمرآة سواء ما لمع منها تحت ضوء الشمس أو ما ظل ساكنا فى الظل.

وما إن رأت إليزا وجهها منعكسا على صفحة الماء، حتى أصابها ذعر، إذ بدت بنيَّة دميمة. وعلى أية حال، عندما بللت يدها الصغيرة بالماء ومسحت جبينها وعينيها، عاد إليها لون بشرتها الأبيض. وهكذا، خلعت إليزا ملابسها، ونزلت لتستحم فى الماء الطهور، ولم تبد ابنة ملك فى العالم أبهى منها وأجمل.

وبعد أن ارتدت ملابسها، وصففت شعرها، ذهبت إلى الينبوع المبقبق، وغرفت بيديها جرعة ماء وشربتها، ثم تجولت فى الغابة. ولم تدر إلى أين تذهب، ولكنها كانت تفكر فى إخوتها وفى الله الرحيم الذى لن ينساها أبدا. فهو الذى خلق أشجار التفاح البرى الحامض من أجل إطعام الجوعى، وهو الذى أرشدها إلى الشجرة التى أنحنت أغصانها وناءت بحمل ثمارها من الفاكهة. تناولت غداءها تحت هذه الشجرة، ثم هزت أغصانها وسارت وسط الغابة فى وقت الشفق الداكن. وكان السكون واضحا بحيث كانت تسمع وقع أقدامها، وحفيف كل ورقة شجرة ذابلة تنسحق تحت قدميها. ولم تر أى طائر، ولم يتسلل إليها أى شعاع من الشمس من خلال أوراق الأشجار الكثيفة.

وكانت جذوع الأشجار العالية متقاربة حتى إنها إذا نظرت

أمامها مباشرة بدا لها المنظر كأنه مغلق بتعريشات فوق تعريشات. آه، يالها من وحدة موحشة فى هذه الغابة لم يسبق لإليزا مواجهتها مسبقا.

كان الظلام شديد الحلكة! وليس من دودة واحدة من سراج الليل تبث لها ضوءها. ونامت وهى حزينة مكتئبة، ثم تخيلت أن الأغصان من فوقها أخذت تتفتح، ورأت ملاك الرحمن يبتسم لها، وحوله ألف من الأطفال الأبرياء يلتفون.

وعندما استيقظت فى الصباح لم تستطع أن تقطع باليقين: هل هذا حلم أم أنهم شاهدوها حقا.

وسارت قليلا، فقابلت امرأة عجوزا معها سلة مملوءة بالتوت، فمنحتها المرأة بعضا مما تحمل من التوت، وسألتها إليزاعما إذا كانت شاهدت أحد عشر أميرا يركبون الخيل ويمرون بالغابة.

فقالت المرأة العجوز: «لا، ولكننى رأيت بالأمس إحدى عشرة بجعة على رؤوسها تيجان من الذهب تستحم فى الجدول القريب من هذا المكان.

وقادت إليزا إلى جرف قريب، سبق أن اجتاح الجدول قاعة. وبسطت الأشجار على جانبيه أغصانها الطويلة ذات الأوراق الكثيفة نحو بعضها البعض، ولم تتمكن من توحيد جذورها التى تفككت من الأرض، وتعلقت خيوطها المتشابكة فوق الماء.

وودعت إليزا المرأة العجوز، وتجولت على جانب الجدول حتى بلغت مجمع النهر بالبحر الواسع.

وهذا البحر الكبير الجميل، يقع تحت بصر الفتاة، دون أن ترى فيه سفينة أو زورقا، فكيف إذا يمكنها أن تعبره؟ ولاحظت أن الأعداد التى لا تحصى من الأحجار الصغيرة الموجودة على الشاطئ، قذفت بها الأمواج فى أشكال مستديرة، من الزجاج والحديد والأحجار، وكل شيء تناثر هنا وهناك تشكَّل فى قوالب، وأن الماء الذى شكَّلها أكثر سيولة من يد إليزا الصغيرة الرقيقة.

قالت: «إنها تتدحرج بدون كلل، وتُخضع كل ما هو صلب، ولابد أن أكون بمثل صلابتها لا أكل ولا أمل! شكرا لك أيتها الأمواج اللامعة المتدحرجة، فقد علمتينى درسا، وذات يوم يدلنى قلبى على أنك سوف تحملينني لكى أقابل إخوتى الأعزاء!.

وعلى شاطئ البحر الأخضر المندى وجدت إحدى عشرة ريشة بيضاء، فجمعتها جميعا إليزا، وكانت عليها قطرات من الماء عالقة، سواء أكانت طلا أم دموعًا لم يتبادر إلى ذهنها. وكانت وحيدةعلى شاطئ البحر، ولكنها لم تتذكر ذلك، لأن البحر يشغل بالها دائما، فهو دائم الحركة، دائم التغير، دائم التجدد، ولهذا فهو يسعدها أكثر فى بضع ساعات مما تفعله المياه الداخلية فى اليابسة فى عام كامل.

وعندما تمر فى السماء سحابة سوداء، يبدو لها كما لو كان البحر يقول:« أستطيع أنا كذلك أن أكون داكنًا»، وحينئذ تهب الرياح وتقذف الأمواج زبدها الأبيض. أما إذا بدت السحب لامعة بالصبغة الحمراء، وتكون الرياح نائمة، يصبح البحركذلك أشبه شيء بلون ورقة الورد، فيبدو أخضر تارة وأبيض تارة، وكأنه هاجع فى سلام،

ويلهث مثل صدر طفل نائم.

وعند غروب الشمس شاهدت إليزا اثنتى عشرة بجعة برية تطير نحو اليابسة وعلى رأس كل منها تاج ذهبى، تطير الواحدة خلف الأخرى وتبدو جميعا كشريط أبيض متدفق. وتسلقت إليزا الجرف وأختبأت خلف شجيرة واستقرت البجعات بالقرب منها وخفقت بأجنحتها الطويلة البيضاء.

وعندما غاصت الشمس فى الماء، اختفت كذلك البجعات ووقف فى أماكنها أحد عشر أميرا رشيقا، هم أشقاء إليزا. فصاحت صيحة مدوية، وعرفت أنهم رغم تحولهم من حالة البجع إلى حالة الأمراء، لابد أن يكونوا إخوتها.

واندفعت إليهم بين أحضانهم ونادتهم بأسمائهم. وكم كانت فرحتهم بلقاء أختهم التى نمت وترعرعت وصارت فارعة العود جميلة الطلعة! وضحكوا وبكوا، وسرعان ما أفضى بعضهم إلى بعض بحديث عما فعلت بهم زوجة أبيهم الشريرة. قال أكبر الإخوة:« نحن نطير أو نعوم طالما ظلت الشمس فوق الأفق، ولكنها عندما تغوص تحت الأفق نظهر ثانية بمظهر البشر، وعلينا الآن أن نبحث عن مكان آمن نستريح فيه، لأننا إذا غربت الشمس ونحن طائرون بين السحب، سقطنا فى البحر أو على الأرض إذا انتهت الرقوة السحرية. ونحن لا نسكن هنا. فهناك أرض تضاهى فى جمالها هذا الموقع، وتقع فى الجانب المقابل من البحر ولكنها بعيدة ولكى نصل إليها يتعين علينا أن نعبر المياه العميقة، وليست هناك جزيرة فى

منتصف الطريق نستريح بها ليلا، بل هناك صخرة صغيرة منعزلة تبرز فوق الأمواج ويمكننا أن نجد فيها متسعا للوقوف جنبا إلى جنب، ونحن هنا نمضى الليل فى شكلنا البشرى، فإذا كان البحر هائجا غمرنا بالرذاذ والزبد، ولكننا نشكر السماء على مكان الراحة هذا، لأننا لا نستطيع أن نزور وطننا الحبيب بدونه. ولا يُسمح لنا أن نزور موطن آبائنا أكثر من مرة فى السنة، ونحتاج إلى يومين من أطول الأيام للطيران إليه، ونستطيع أن نبقى هنا أحد عشر يوما فقط، نطير خلالها فوق الغابة الكبيرة، وفيها نستطيع أن نرى القصر الذى ولدنا فيه، حيث يسكن أبونا، ويوجد برج الكنيسة التى دفنت فى فنائها أمنا. وهنا تبدو حتى الأشجار والشجيرات صديقة لنا، وهنا لا تزال الخيول البرية تتسابق فى الأودية، وكمثل أيام طفولتنا، لا يزال يوجد هنا موقد الفحم يغنىّ نفس الألحان التى اعتدنا أن نرقص عليها فى صبانا، وهنا لا نزال مشدودين، وهنا التقيناك يا أختنا الصغيرة العزيزة! وأمامنا الآن يومان فقط للبقاء هنا، ومن ثم لابد لنا من أن نطير فوق البحر حتى نصل إلى بلاد جميلة حقا، ولكنها ليست أرض آبائنا. فكيف نتمكن من اصطحابك معنا؟ وليس لدينا سفينة ولا زورقا!.

وقالت الأخت: «كيف أستطيع أن أعتقكم وأحرركم؟» وهكذا ظلوا فى حوار طوال الليل، ولم يناموا إلا بضع ساعات.

واستيقظت إليزا على حفيف الأجنحة، ورأت البجعات تخفق فوقها، فقد تحول إخوتها ثانية إلى بجعات وظلوا يطيرون بعض الوقت فى دوائر كبيرة، ولكنهم بعدئذ طاروا بعيدا. وتخلف عنهم أحدهم وهو الأصغر، فوضع رأسه فى حجر أخته وظلت تربت على أجنحته البيضاء، وظلوا طوال اليوم على هذه الحالة. وعندما اقترب المساء عاد الآخرون، فلما غربت الشمس، وقفوا على اليابسة فى هيئتهم الطبيعية.

قالوا: «سوف نسافر غداً، وربما لا نعود قبل سنة، ولكننا لا يمكن أن نتركك هنا. فهل لديك الشجاعة أن تأتى معنا؟ فأذرعنا قوية بالقدر الكافى الذى يجعلنا نحملك خلال الغابة، فهل لا تقوى أجنحتنا على الطيران بك فوق البحر؟

وقالت إليزا: «نعم، خذونى معكم»

قضوا الليل بطوله فى نسج حصيرة من أغصان الصفصاف المرنة والسُّمار الصلب، حتى صنعوا حصيرة غليظة وقوية. ورقدت عليها إليزا، حتى إذا طلعت الشمس وتحول الإخوة إلى بجعات برية، أمسكوا الحصيرة بمناقيرهم وطاروا بها عاليا بين السحب، ومعهم أختهم العزيزة. وكانت لا تزال نائمة، وعندما سطعت أشعةالشمس فوق وجهها، طارت إحدى البجعات فوق رأسها لتغطيها بأجنحتها العريضة.

ولما استيقظت إليزا كانوا قد ابتعدوا عن اليابسة. وظنت أنها لا تزال تحلم، إذ كان غريبا عليها أن تشعر بنفسها محمولة عاليا فى الهواء فوق البحر. وقد وُضع بجانبها عنقود من التوت الناضج اللذيذ وحزمة من الدرنات الحلوة، جمعها لها أخوها الأصغر ووضعها

بجوارها، فشكرته بابتسامة، لأنها عرفته، إذ إنه هو الذى طار فوق رأسها وظللها بجناحيه.

حلَّقوا بها عاليا جدا بحيث بدت أول سفينة تمر أسفل منهم كأنها نورس أبيض يحلِّق فوق الماء.

ورأت إليزا من خلفها حشدا كبيرا يشبه الجبل، وعليه ظلال ضخمة لها وللبجعات الإحدى عشرةٍّ، وكانت جميعها تشكل صورة جميلة لم تر أجمل منها فى حياتها.

وعلى الفور ارتفعت الشمس وخلفَّت السحب وراءها، فاختفت صورة الظلال.

مر اليوم بأكمله وهم يطيرون كالسهم المجنح فى الهواء، ولكنهم تباطؤا عن المعتاد، لأنهم التزموا بحمل شقيقتهم. واقترب المساء وبدت ملامح العاصفة.

ونظرت إليزا إلى الشمس بقلق، إذ كانت الشمس تؤذن بالغروب ولا تزال الصخرة الوحيدة بعيدة عن المنال، وبدا لها أن البجعات تضرب الهواء بأجنحتها أسرع من ذى قبل. ياللهول! سوف يقع عليها اللوم إذا لم يتمكن إخوتها من الوصول إلى الصخرة فى الوقت المناسب. فسوف يتحولون إلى بشر عندما تغرب الشمس، ويسقطون فى البحر فيغرقون. وابتهلت إلى الله بحماس، ولا تزال الصخرة بعيدة عن أبصارهم. واقتربت السحابات السوداء، وأنبأت عصفات الريح عن اقتراب العاصفة، بينما بدت عدة سحابات كثيفة تتقدم إلى الأمام مثل موجة من الرصاص تهددهم وتبث البرق خلف البرق أمامهم.

بلغت الشمس الآن حافة البحر، وزادت نبضات قلب إليزا. وهبطت البجعات سريعا حتى ظنت أنها سوف تسقط، ولكنهم فى لحظة تالية بدأوا يحلقون عاليا. وغرب نصف الشمس فى الماء، ولكنها الآن شاهدت الصخرة الصغيرة من تحتها، وكانت تشبه عجل البحر عندما يرفع رأسه فوق الماء. وغاصت الشمس سريعا– وكانت تبدو أكبر قليلا من النجم – ولمست قدماها الأرض الصلبة، واختفت الشمس تماما وكأنها الشرارة الأخيرة على ورقة تحترق. ووقف حولها إخوتها وقد تشابكت أذرعهم، وكان هناك متسع لها ولهم. كان البحر هائجا يضرب الصخرة بعنف، فيتناثر عليهم رذاذ من الزبد، وكانت السماء مستمرة فى توهجها، بفعل البرق الذى يضىء فى كل لحظة، وقصف الرعد من حوله، ولكن الإخوة وأختهم ظلوا صامدين وأيديهم متشابكة. وأنشدوا ترانيم المزامير، حتى أدخلت فى قلوبهم الطمأنينة والشجاعة.

وقبل أن يطلع النهار كان الجو هادئا والهواء نقيا، وبمجرد بزوغ الشمس طارت البجعات ومعهم إليزا وغادرت الصخرة. وصخبت الأمواج عالية، وعندما أطلوا من بين السحب على البحر الأخضر الداكن المغطى بزبد أبيض تصوروا أن ملايين البجعات تعوم على سطحه.

فإذا تقدم النهار، رأت إليزا أمامها فى الهواء أرضا جبلية عليها جليد، وفى وسطها يوجد قصر طوله ميل وبه أعمدة فاخرة، يحيط به النخيل والزهور الرائعة المنظر كبيرة الحجم وكأنها تروس طاحونة.

وسألت عما إذا كانت هذه هى البلاد التى يقصدونها بطيرانهم، ولكن البجعات هزت رؤوسها بالنفى، لأن ما تشاهده هو القصر الهوائى الجميل لمرجانة الحورية، حيث لا يسمح للبشر بدخوله، وبينما كانت إليزا لا تزال تطيل النظر إليه، اختفت الجبال والنخيل والقصر جميعا، وحلت محلها إحدى عشرة كنيسة بأبراجها العالية ونوافذها المدببة– وتخيلت أنها تسمع عزف الأرغن، ولكن هذا لم يكن إلا هسهسة البحر. واقتربت الآن من هذه الكنائس، ولكن أنظر! لقد تحولت إلى أسطول كبير يبحر من تحتهم، ونظرت إلى أسفل فتبينت أنها لم تكن إلا ضباب البحر يمر سريعا فوق الماء. وظلت هذه المناظر العجيبة طافيةأمام عينيها، حتى وقع بصرها أخيرا على الأرض الفعلية التى يقصدونها، جبال زرقاء جميلة، وغابات من أشجار السدر وقصور بدت أمامها. وقبل أن تغرب الشمس بوقت طويل جلست إليزا بين الجبال وأمام كهف كبير نبتت حوله نباتات متسلقة صغيرة بكثافة ، حتى بدت الأرض مغطاة بأبسطة خضراء مزركشة. وقال لها أخوها الصغير وهو يعرض عليها الغرفة التى ستنام فيها: «والآن سوف نرى ماذا تحلمين به هذه الليلة!

وقالت: «آه، ياليتنى أحلم بأنكم تحللتم من هذه الرقوة السحرية! قالتها وهى لا تفكر فى شىء آخر.

ودعت الله بإخلاص شديد أن يكون فى عونها، كلا، بل إنها كانت تستمر فى الدعاء فى أحلامها، وبدا إليها أنها كانت تحلِّق عاليا فى الهواء وتقترب من قصر مرجانة الحورية. وأن الحورية أتت إليها

لتقابلها، وكانت صافية النفس وجميلة، ولكنها تصورت أنها تشبه المرأة العجوزة التى قدمت لها التوت وأبلغتها بنبأ البجعات ذات التيجان الذهبية.

وقالت الحورية:« أنت تستطيعين أن تحللى إخوتك من الرقوة السحرية، وعليك أن تلتزمى الصبر والشجاعة! فالماء حقا أكثر سيولة من الأيدى الناعمة، ولكنه يستطيع أن يطوع الأحجار الصلبة ويشكلها وفق إرادته، ولا يشعر بالألم الذى تشعر به الأصابع الناعمة، فليس له قلب ولا يقاسى الحزن والقلق الذى يتعين عليك أن تقاسيه. هل ترين تلك النباتات الشائكةالتى أحملها بيدى؟ هناك وفرة منها حول الكهف الذى تنامين فيه، فهى وحدها وكذلك ما ينمو فى المقابر فى فناء الكنيسة هى التى تستخدمين، تذكرى هذا! اقطفيها ولو أنها سوف تخز يديك بأشواكها، ولابد أن تطئيها بأقدامك وتستخلصى الغزل منها، وبهذا الغزل انسجى أحد عشر قميصا بأكمامها الطويلة، فإذا ما فرغت من صناعتها ألقها فوق البجعات الإحدى عشرة وسوف تنفضُّ الرقوةالسحرية. ولكن لاحظى جيدا، ألا تتكلمى منذ اللحظة التى تبدئين العمل فيها حتى تستكمليها مهما استغرق منك من سنوات، فإذا نطقت بحرف واحد من بين شفتيك فسوف يسقط كالخنجر فى قلوب إخوتك، فحياتهم رهن لسانك تذكرى كل هذا جيدا!

وفى نفس اللحظة لمست الحورية يدى إليزا بغصن من النبات الشائك فجعلهما يلتهبان وكأنه نار، فاستيقظت إليزا. وكان ضوء

النهار الطويل ساطعا، وبالقرب منها وجد النبات الشائك يشبه ما رأت فى حلمها. فسجدت لله شكرا، ثم خرجت من الكهف لتبدأ العمل. وقطفت بأيديها الناعمة تلك النباتات الشائكةالمفزعة، التى أحدثت قروحا والتهابات كثيرة فى يديها وذراعيها، ولكنها تحملت كل هذا الألم بإصرار فى سبيل تخليص إخوتها من الرقوة السحرية. ثم دعست بقدميها الحافيين هذه الأشواك لتستخرج منها الغزل الأخضر.

وعند الغروب حضر إخوتها، وأفزعهم أن يروها صامتة، وظنوا أن ذلك بفعل رقوة سحرية جديدة من زوجة أبيهم الشريرة، ولكن ما إن رأوا أيديها ملتهبة وهى مشغولة فى عملها حتى عرفوا أن ذلك من أجلهم. بكى الأخ الأصغر، وتساقطت دموعه على يديها، فاختفت القرح من يديها ولم تعد تشعر بأى ألم.

قضت الليل بطوله مشغولة بالعمل، فهى لا تذوق للراحة طعما حتى تخلص إخوتها من الرقوة السحرية. وفى اليوم التالى جلست وحيدة، لأن البجعات فارقتها، ومضى الوقت بأسرع من أى وقت آخر، حتى أنجزت قميصا واحدا وبدأت العمل فى الثانى.

وفجأة دوى بوق بين الجبال، فارتعدت إليزا. واقتربت الضوضاء فسمعت كلابًا تنبح، فلجأت هربا إلى الكهف، وحزمت النباتات الشائكة التى جمعتها ومشطتها وجلست فوقها.

وما كادت تنتهى من ذلك حتى قفز إليها من بين الشجيرات كلب كبير. وتبعه اثنان آخران، نبحا بصوت عال ثم غادرا المكان، وعادا ثانية.

ولم يمض وقت طويل حتى وقف الصيادون أمام الكهف. وكان أكثرهم أناقة هو ملك البلاد الذى تقدم بخطوات إلى إليزا، فلم ير من قبل فتاة أبهى منها.

وقال لها: «كيف أتيت إلى هنا يا أيتها البنت الجميلة؟ فأومأت إليزا برأسها، لأنها لا تستطيع الكلام، فكلمة تنطقها ستكلفها حياة إخوتها جميعا.

وأخفت يديها تحت مئزرها خشيةأن يرى الملك ماتعانيه من ألم.

وقالت لها: «تعالى معى، فلا يمكن أن تبقى هنا!

فإذا كنت طيبة مثلما أنت جميلة فسوف ألبسك المخمل والحرير، وأضع تاجا من الذهب فوق رأسك وتقيمين فى قصرى! ورفعها فوق حصانه، فبكت ولوت يديها توجعا وألما، ولكن الملك قال لها: «أنا لا ابتغى غير سعادتك، وسوف تشكريننى على هذا الصنيع ذات يوم! وهكذا ركبت أمامه على الحصان وانطلق بها بين الجبال والوديان، بينما تبعه الصيادون جميعا. وعندما غربت الشمس رأوا أمامهم عاصمة الملك بكنائسها وقبابها، فقادها الملك داخل القصر، حيث يوجد بهو مرمرى مرتفع به النافورات الراقصة وبرزت على الجدران والأسقف أجمل اللوحات المرسومة. ولكن إليزا لم تأبه بكل هذه الأبهة، ولكنها بكت وناحت فى صمت، حتى حين ألبستها الوصيفات الثياب الملكية وزيَّن شعرها باللؤلؤ الثمين، ووضعن القفازات الرقيقة فى يديها الملتهبتين.

وهى الآن فى ثيابها الكاملة، وعندما وقفت بقامتها الفارعة صار جمالها

مذهلا، فانحنى أمامها جميع رجال القصر، واختارها الملك عروسا له، رغم أن رئيس الأساقفة هز رأسه وهمس: «إن فتاة الغابةالجميلة ليست إلا ساحرة مشعوذة، سحرت أعين الملك، وفتنت قلبه».

ولكن الملك لم يسمع همسه، وأمر بأن تعزف الموسيقى. وأقيمت مأدبة سخية، ورقصت الفتيات الجميلات حول العروس. وقُدنها خلال حدائق يفوح شذاها إلى قاعات فاخرة، دون أن تلعب البسمة على شفتيها أو تبرق عيناها بالفرح. وفتح الملك حجرة صغيرة بجوار غرفة نومها مزينة بأغلى السجاجيد الخضراء، تشبه تماما الكهف الذى كانت تسكنه وعلى الأرض وضعت حزمة من الغزل الذى كانت تغزله من النباتات الشائكة، وعُلِّق على الحائط القميص الذى أتمت صنعه.

وقد أحضر هذه الأشياء أحد الصيادين، ظنا منه أن بها شيئا عجيبا.

وقال لها الملك: هنا سوف تحلمين وكأنك فى منزلك السابق، وهذا هو العمل الذى كان يشغلك، وبين كل ما تنعمين به من متعةحالية، ربما تجدين الراحة فى تذكر حياتك الماضية».

وعندما رأت إليزا كل ما هو عزيز على قلبها، ابتسمت ، وعاد الدم إلى وجناتها، وفكرت فى أن إخوتها لابد أن يتخلصوا من الرقوة السحرية، قبَّلت يد الملك وضمها إلى قلبه وأمر بأن تدق جميع أجراس الكنائس فى المدينة، تعلن نبأ زفافها إليه. فقد صارت الفتاة الصامتة القادمة من الغابة ملكة للبلاد.

وهمس رئيس الأساقفة بكلام خبيث فى أذن الملك، ولكنها لم تثر أى انطباع فى نفسه، فقد تزوج إليزا، والتزم رئيس الأساقفة بوضع التاج على رأسها. وقد ضغط التاج بغضب حتى غطت حافته الأمامية جبهتها فآلمها ذلك، ولكنها لم تبد شيئا من الألم.

وما زالت صامتة فكلمة واحدة كفيلة بأن تقتل إخوتها، وكانت عيناها تبرقان بإخلاص وحب للملك، الذى تمتع بالأناقة الطيبة، والذى صنع الكثير من أجل إسعادها. وصارت أكثر ودا واتصالا به فى كل يوم آه، كم تود لو أنها أفضت إليه بسرها وأحزانها، ولكنها مضطرة إلى أن تلتزم الصمت، فلا تستطيع الكلام حتى تنتهى من عملها! ولهذا كانت تتسلل كل ليلة إلى الغرفة الصغيرة التى أُعدت لكى تشبه الكهف. وفيها كانت تعمل على إنهاء القمصان، ولكنها عندما بدأت تعمل فى القميص السابع انتهى الغزل.

وهى تعلم أن النباتات الشوكية المطلوبة تنمو فى فناء الكنيسة، ولابد أن تجمعها بنفسها، فكيف تحصل عليها؟

وفكرت: «آه ، إن الألم الذى تكابده أصابعى لا يقارن بالكرب المبرح الذى يعانيه قلبى! ولابد أن أتجاسر على دخول فناء الكنيسة، ولا يمكن أن يحرمنى الله الكريم من عونه وحمايته!

وكانت تخشى أن تقوم بارتكاب خطأ ، ففى ذات ليلة مقمرة تسللت إلى الحديقة ومن خلال الممرات الطويلة، دخلت الطريق الوحيد المؤدى إلى فناء الكنيسة. ورأت على أحد الشواهد الحجرية العريضة عددا من الساحرات المشعوذات العجائز الدميمات. واضطرت إليزا

إلى المرور بجوارهن، وركزت الساحرات عيونهن عليها، ولكنها رددت الدعاء والصلاة وجمعت النباتات الشائكة وعادت بها إلى القصر. ورآها شخص واحد، هو رئيس الأساقفة، إذ كان ساهرا حين نام الآخرون. والآن، اقتنع بأن ما فعلته الملكة هو الخطأ، ولابد أن تكون ساحرة مشعوذة استطاعت بسحرها أن تأسر قلب الملك وحاشيته أجمعين.

وفى كرسى الاعتراف أبلغ الملك بما رأى، وما يخشى، وعندما نطقت شفتاه بالكلمات الخبيثة هزت التماثيل المنحوتة للقديسين رؤوسها وكأنها تقول: «ليس هذا حقا، فإن إليزا بريئة!»

ولكن رئيس الأساقفة شرح نذير السوء بطريقة أخرى، وظن أنها دليل على إدانتها، ففسر هزة رؤوس التماثيل على أنها استنكار لخطيئتها.

وفرَّت من عينى الملك دمعتان بللتا خديه، وعاد إلى قصره يراوده الشك وتظاهر بالنوم ليلا، ولو أن النوم لم يزر جفونه ، ولاحظ أن إليزا تنهض من سريرها كل ليلة، وكان يتعقبها كل ليلة سرا وهى تدخل غرفتها الصغيرة.

وبدت على ملامحه الكآبة، ولاحظت إليزا فيه ذلك دون أن تدرى لذلك سببا. وتألمت كثيرا، إلى جانب ما يكابد قلبها من عناء وقلق على إخوتها وانحدرت دموعها الثخينة على ثيابها المخملية والأرجوانية الملكية وكأنها الألماس البراق، وكل من رآها ترفل فى الأبهة من حولها يتمنى أن يكون فى مكانها. والآن، انتهت تقريبا من

عملها، وما بقى سوى قميص واحد. ولسوء الحظ، انتهى الغزل كذلك، ولم يبق لديها نبتة شائكة واحدة. ومرة أخرى، يجب أن تذهب إلى فناء الكنيسة لتجمع بعضا من النباتات الشوكية. وارتعدت وهى تفكر فى الممر الوحيد والساحرات الخبيثات، ولكن قرارها كان حازما وثقتها فى الله كبيرة.

وذهبت إليزا، وتعقبها كل من الملك ورئيس الأساقفة ورأوها تختفى خلف باب فناء الكنيسة، وعندما اقتربا شاهدا الساحرات المشعوذات جالسات على شواهد الأضرحة تماما كما شاهدتهم إليزا، واستدار الملك عائدا، وظن أن الفتاة التى أراحت رأسها على صدره لم تكن سوى واحدة من هؤلاء. وقال: «دعوا الناس تحكم عليها ! فحُكم الناس عليها بالإعدام حرقا.

والآن، سحبوها من قصر الملك الفاخر إلى سجن مظلم رطب، تصفر فيه الريح بين قضبان النوافذ. وبدلا من المخمل والحرير منحوها حزمةالنباتات الشائكة التى جمعتها، لتسند عليها رأسها كوسادة، والقمصان التى صنعتها لتتخذ منها حصيرا ولحافا. ولم يقدموا على إعطائها أى شىء ذا قيمة لديها، ولكنها استمرت فى عملها، وفى نفس الوقت كانت تدعو الله بإخلاص شديد. وردد الأطفال حولها أغنيات العار أمام السجن، ولم ينصفها أحد بكلمة حب.

وعندما اقترب المساء سمعت حفيف أجنحةالبجعات حول القضبان الحديدية. وتمكن الأخ الأصغر من التعرف على مكانها

أخيرا، ونهنهت بصوت عال من فرط الفرح، ولو أنها تعلم أن حياتها رهن بليلة واحدة فقط، ولكنها فى هذا الوقت كانت أنهت عملها تقريبا عندما اقترب أخوها.

وزارها رئيس الأساقفة ليقضى معها الساعة الأخيرة من عمرها، وكان وَعد الملك بذلك ولكنها هزت رأسها واستعطفته بعينيها وبإيماءاتها بأن يذهب ففى هذه الليلة تنهى أعمالها، وكل ما كانت تعانى من آلام، وقلق وليالٍ يجافيها النوم، كل هذا سيذهب سدى. وودعها رئيس الأساقفة بكلمات شديدةالغضب، ولكن إليزا السيئة الحظ كانت واثقةمن براءتها تماما واستمرت فى عملها.

وأقبلت عليها الفئران الصغيرة تسحب إليها النباتات الشوكيةحتى قدميها رغبة فى مساعدتها، وحط الطائر المغرد على القضبان الحديدية للنافذة، يغنى لها أعذب ألحانه، ويحث إليزا على ألا تفقد شجاعتها.

وقبل طلوع الشمس بساعة وقف إخوتها الأحد عشر أمام بوابة القصر، وطلبوا مقابلة الملك. ولكنهم أبلغوا بعدم تلبية رغبتهم، إذ كان الليل لا يزال ساكنا والملك نائما، ولا يستطيع أحد أن يوقظه. وتوسلوا وتوعدوا. وجاء الحارس ، ثم جاء الملك أخيرا وسأل عن سبب الضوضاء، وفى هذه اللحظة طلعت الشمس واختفى الإخوة، وطارت البجعات الإحدى عشرة فوق القصر.

وتدفق الناس من بوابات المدينة، آملين أن يروا الساحرة المشعوذة وهى تلقى فى النار.

وسحب العربة التى وضعت فيها إليزا حصان شقى، وقد غطى إليزا رداء خشن من مادة سميكة، وتدلى شعرها الطويل على كتفيها، وعلت صفرة الموت خدودها ولكن شفتيها كانتا تتحركان برقة، وأصابعها تنسج الغزل الأخضر، حتى وهى فى طريقها إلى الموت الزؤام، فلم تترك العمل قط، ووضعت تحت أقدامها القمصان العشر، وكانت تجاهد لإكمال الحادى عشر.

وسبتها الحشود المجتمعة.

قالوا:«انظر إلى الساحرة المشعوذة، وكيف تتمتم! وليس معها كتاب الابتهالات، فهى تجلس ومعها الهراء اللعين! مزِّقها اربا إربا. ألف قطعة!

واحتشد الجميع من حولها وكانوا على وشك أن يخطفوا منها القمصان، حين أقبلت البجعات البيضاء الإحدى عشر، تطير نحو المركبة واستقرت حولها وخفقت بأجنحتها، فتفرق الجمع خشية منها.

وهمس البعض: «إنها بشارة من السماء! لابد أنها بريئة» ولم يستطيعوا أن ينطقوا ذلك بصوت مسموع.

وأمسك عمدة البلد بيدها– فى اللحظة التى ألقت القمصان الإحدى عشر، فظهر مكانها أحد عشر أميرا أنيقا. وكان الأخ الأصغرعلى أية حال له ذراع واحد، بينما ظل الآخر جناحا، لأن قميصه كان ينقصه أحد الأكمام.

وقالت إليزا: «الآن، استطيع أن أتكلم، فأنا بريئة!

وانحنى أمامها جميع الناس الذين شاهدوا ماحدث وكأنهم أمام قديسة. وارتمت بين أذرع أخوتها فاقدة الوعى من هول المفاجأة والخوف والحزن.

وقال أخوها الأكبر: « نعم، إنها بريئة، ثم قص تاريخهم الرائع. وبينما هو يتحدث انبعثت رائحة طيبة كما لو كانت نابعة من ملايين الورود ، وانتشرت فى الجو، لأن كل قطعة خشب كانت فى المحرقة الجنائزية انبثقت منها الجذور وانطلقت منها الأغصان وأينع السياج الحافل بالورود من حول إليزا، وفوق الجميع أورقت زهرة ذات لون أبيض زاه، لامعة كالنجم. قطفها الملك ووضعها على صدر اليزا، وبهذا أفاقت فى وئام ونبض قلبها بالفرح.

وبدأت كل أجراس الكنائس تدوى مرحا، وأقبلت اسراب الطيور، وسار موكب غامر بالفرح والسرور إلى القصر، لم ير ملك مثله من قبل.

الحذاء الأحمر

ذات يوم، كانت هناك بنت صغيرة، جميلة ورقيقة، ولكنها كانت دائما فى الصيف تمشى حافية القدمين لأنها كانت فقيرة، بينما كانت فى الشتاء تلبس حذاء خشبيا كبيرا، حتى صار قدماها أحمران لدرجة كبيرة.

وفى وسط القرية كانت تعيش صانعة الأحذية العجوز، تجلس وتخيط الأحذية بقدر ما تستطيع من أشرطة من القماش الأحمر القديم حتى صنعت حذاء صغيرا. وكان الحذاء دميما وكان من نصيب البنت الصغيرة التى تدعى كارين.

وفى ذات اليوم الذى لبست فيه الحذاء الأحمر للمرة الأولى دفنت والدتها. وكان الحذاء غير لائق لتشييع الجنازة، ولكنها لم يكن لديها البديل، فسارت حافية القدمين خلف النعش المتواضع المصنوع من القش.

وفى نفس اللحظة أقبلت عربة كبيرة قديمة جلست فيها سيدة عجوز ضخمة، فنظرت إلى البنت الصغيرة بحسرة وقالت للراهب: « اسمع! أعطنى هذه البنت الصغيرة وسوف أرعاها بحنان!.

وظنت كارين أن هذا الأمر جاء بسبب الحذاء الأحمر، ولكن السيدة العجوز قالت إنه شنيع وإنه محروق.

ومنحت كارين ملابس نظيفة وأنيقة كى ترتديها، وتعلمت القراءة والحياكة، وقال الناس عنها إنها جميلة، ولكن المرآة قالت لها: «ما أبهاك وما أجملك!»

وذات مرة جالت الملكة فى مملكتها وأخذت معها ابنتها الصغيرة، التى كانت أميرة. وتدافع الناس إلى القصر، وكانت كارين معهم. ووقفت الأميرة تطل من النافذة وهى ترتدى ثوبا أبيض، ولم ترتد فستانا طويلا ولا تاجا، ولكنها كانت تلبس حذاء أحمر من الجلد المغربى. ومن المؤكد أنه كان أجمل بكثير من الحذاء الأحمر الذى صنعته صانعة الأحذية العجوز لكارين الصغيرة.

وبعد كل هذا لم يكن فى العالم شىء يماثل الحذاء الأحمر! والآن، كبرت كارين بالقدر الذى يجعلها سعيدة! فقد ارتدت ملابس جديدة وحذاء جديدا كذلك. وفى المدينة قاس صانع الأحذية الثرى قدميها الصغيرين فى ردهة منزله التى كانت حافلة بأقفاص زجاجية كبيرة مليئة بالأحذية الجميلة والأحذية الطويلة اللامعة. كان المنظر جميلا، ولكن السيدة العجوز كانت قصيرة النظر بحيث لم يمتعها المنظر. وفى وسط كل هذه الأحذية يوجد حذاء أحمر يشبه الحذاء

الذى تلبسه الأميرة. كم كان جميلا! وقال صانع الأحذية إنه صنعة لابنة أحد النبلاء، ولكن مقاسه لم يناسبها.

وقالت السيدة العجوز: «أستطيع القول إنه من جلد أصيل! وإنه لامع!»

فقالت كارين: «نعم، إنه لامع!» وكان مقاسه مناسبا لها فاشترته لها السيدة العجوز التى لم تلاحظ أن لونه أحمر، لأنها لا تسمح لكارين أن تذهب إلى قداس فى الكنيسة وهى تلبس حذاء أحمر. ولكن هذا هو الذى حدث.

ونظر كل شخص إلى قدميها وهى تسير فى الممر المؤدى إلى منصة الكنيسة وبدا لها أن الصور جميعا فى الكنيسة صور الرهبان وزوجاتهم بياقاتهم الجافة وثيابهم السوداء الطويلة– تثبت أنظارها على حذائها الأحمر.

وفكرت فى هؤلاء فقط عندما وضع الكاهن يده فوق رأسها وتحدث عن التعميد المقدس وعهد الله وقال لها إنك الآن مسيحية شابة. ودوى صوت الأرغن بقداسة وترنم الأطفال بأصواتهم العذبة. وأنشد رئيس الجوقة.

ولكن كارين كانت تفكر فقط فى الحذاء الأحمر.

وبحلول المساء أُبلغت السيدةالعجوز بأن حذاء كارين كان أحمر، فقالت ياللعار! ما كان ينبغى هذا! وبعدئذ حرصت كارين على الحضور إلى الكنيسة وهى تلبس حذاءً أسود حتى ولو كان قديما.

وفى يوم الأحد التالى عقد المحفل المسيحى، فنظرت كارين إلى

الحذاء الأسود ثم نظرت إلى الحذاء الأحمر– ثم نظرت ثانية إلى الحذاء الأحمر ولبسته. وكان الطقس صيفيا جميلا، وسلكت كارين مع السيدة العجوز ممرا خلال حقل القمح الذى كان متربا.

وعلى باب الكنيسة جلس الجندى العجوز ذو العكاز واللحية الطويلة العجيبة التى كانت تميل إلى الأحمرار عن البياض، إذ كانت حمراء. وانحنى بجسمه حتى اقترب من الأرض وطلب من السيدة العجوز أن يمسح لها الحذاء. ومدت كارين قدميها الصغيرتين كذلك ليمسح لها حذاءها.

وقال الجندى:« انظرى!كم هو حذاء رقص جميل! عليك أن تظلى لابسته عندما ترقصين. ثم دق النعل بيده.

ومنحت السيدة العجوز الجندى شلنا ثم دخلت الكنيسة ومعها كارين.

ونظر جميع الحضور إلى حذاء كارين الأحمر، كما نظرت إليه جميع الصور المعلقة، وعندما ركعت كارين أمام المحراب ورفعت الكأس الذهبى إلى شفتيها، لم تفكر فى شىء إلا فى الحذاء الأحمر، وخيل إإليها أنه يسبح فى الكأس، ونسيت ترتيل الابتهالات، ونسيت كذلك الصلاة لله.

وخرج كل الناس من الكنيسة، وركبت السيدة العجوز مركبتها. ثم رفعت كارين قدمها لتركب المركبة، فرآها الجندى العجوز الذى كان واقفا بالقرب منها وقال لها: انظرى! كم هو حذاء رقص جميل! وما كادت تسمعه حتى خطت خطوات به راقصة! فإذا ما بدأت

الرقص، ظل قدماها يرقصان ، كما لو كان الحذاء هو الذى يتحكم فيها رقصت حول أركان الكنيسة ولم تستطع أن تتوقف! وركض وراءها سائق المركبة حتى أمسك بها ورفعها إلى المركبة، ولكن قدماها ظلا يرقصان حتى رفستا السيدة العجوز رفسات مزعجات. وأخيرا خلعوا الحذاء حتى استراحت قدماها.

وفى المنزل وضعت الحذاء فى دولاب الأحذية، ولكن كارين مازالت تنظر إليه.

ومرضت السيدة العجوز ورقدت فى سريرها حتى قالوا إنها لن تعيش. وكانت فى حاجة إلى التمريض والرعاية الطبية، وكانت كارين هى أنسب الأشخاص لهذا العمل. ولكن كان فى المدينة حفل راقص كبير، دعيت إليه كارين. ونظرت إلى السيدة العجوز التى اقتربت من الموت، ثم نظرت إلى الحذاء الأحمر، وظنت ألا تكون هناك خطيئة فى هذا المجال. ولبست الحذاء الأحمر، الذى لابد من لبسه، ثم ذهبت إلى الحفل الراقص، وبدأت فى الرقص.

ولكن عندما أرادت أن تنحرف إلى اليمين رقص الحذاء إلى اليسار، وعندما أرادت أن تندفع إلى الأمام رقص الحذاء فى الخلف، ثم نزل الدرج وسار فى الشارع حتى خرج من بوابة المدينة ورقصت ولابد أن ترقص، حتى دخلت الغابة المظلمة.

وعندما لمع شىء بين الأشجار، ظنته القمر، ولم يكن إلا وجها، إذ كان وجه الجندى العجوز ذى اللحية الحمراء. جلس وأومأ برأسه وقال:« انظرى!كم هو حذاء رقص جميل!»

وارتعدت وأرادت أن تقذف بالحذاء الأحمر بعيدا، ولكنه ظل ثابتا فى قدميها، ومزقت الجورب، لكن الحذاء ظل ثابتا فى قدميها، وظلت ترقص ولابد أن ترقص فى الحقول والوديان، فى المطر وفى ضوء الشمس، فى الليل وفى النهار. ولكن الليل كان أكثر إثارة للرعب.

رقصت فى المقابر، ولكن الموتى لم يرقصوا، فعندهم ماهو أفضل من الرقص. وأرادت أن تجلس على قبر الفقير المتسول حيث ينمو نبات الشيح الطبى، ولكن لا راحة ولا سلام لها. وعندما رقصت فى اتجاه باب الكنيسة المفتوح، رأت ملاكا هناك يرتدى ثوبا طويلا أبيض له جناحان طويلان يمتدان من كتفيه حتى الأرض. وكان وجهه عبوسا جافا وفى يده أمسك بسيف عريض لامع.

فقال لها:« سوف ترقصين! ارقصى بحذائك الأحمر حتى يشحب لونك وتبردى وحتى يتجعد جلدك مثل الهيكل العظمى ارقصى من باب إلى باب، وحيث يوجد أطفال مغرورون أشقياء، وسوف تدقين حتى يسمعونك ويخشونك! ارقصى! وسوف ترقصى!»

فصاحت كارين «الرحمة!» ولكنها لم تسمع ردا من الملاك، لأن الحذاء حملها إلى البوابة ومنها إلى الحقل، وفى الطريق وفى الممرات، وظلت ترقص مرغمة.

وذات صباح رقصت أمام باب غرفته جيدا. سمعت من داخله صوت ابتهال، ورأت قوما يحملون نعشا مزينا بالزهور، وعرفت أنه للسيدة العجوز، وشعرت بأن كل الناس هجروها وأنها ملعونة من ملاك الرب.

وما زالت ترقص وترقص، فى الظلام الدامس، حتى حملها الحذاء إلى الأشواك وفضلات الحقول، وخمشت جسدها حتى نزف منها الدم، وهى لا تزال ترقص فوق الأعشاب حتى وصلت إلى بيت ومنعزل ، علمت أن العشماوى قاطع رقاب المفسدين فى الأرض يعيش فيه، فدقت بأصابعها زجاج النافذة وقالت: «تعال! تعال! فأنا لا أستطيع الحضور إليك لأننى أرقص!»

وقال قاطع رقاب المفسدين: « ربما لا تعرفين من أنا؟

أنا قاطع رقاب المفسدين فى الأرض، وأشعر بأن السيف يهتز فى يدى!»

وقالت كارين: «لا تقطع رقبتى لأننى لا أستطيع أن أندم على خطيئتى! بل أقطع قدماى الملتصقتين بالحذاء الأحمر!»

واعترفت حينئذ بكل خطاياها، وعندئذ قطع قاطع رقاب المفسدين قدميها بالحذاء الأحمر. ولكن الحذاء ظل يرقص بالقدمين المبتورين فوق الحقول وفى الغابة العميقة.

ونحت لها قدمين وعكازين من الخشب وعلمها موعظة يرتلها المخطئون دائما، وقبَّلت اليد التى بترت بالسيف قدميها وذهبت عبر الأعشاب.

وقالت:« الآن، لقد عانيت كثيرا من الحذاء الأحمر! والآن سأذهب إلى الكنيسة كى يرانى الرهبان والناس أجمعون! وسارت باتزان وبسرعة نحو الكنيسة. ولكن عندما وصلت إلى باب الكنيسة رأت الحذاء يرقص أمامها، فاستدارت للخلف وهى منزعجة.

وطوال الأسبوعكانت تعانى من ضائقة وتبكى بالدمع الثخين.
وعندما أقبل يوم الأحد قالت: «هذا هو! الآن وقد قاسيت وناضلت بما فيه الكفاية، حتى أستطيع أن أقول إننى أماثل الذين يجلسون فى الكنيسة راضين عن أنفسهم!» ثم ذهبت بجرأة ولكنها لم تدخل أبعد من البوابة، فرأت الحذاء الأحمر يرقص أمامها وخافت وارتعدت واستدارت إلى الخلف وكفرت عن سيئاتها، وندمت على ما اقترفت من خطيئة.

وتوجهت إلى منزل الراهب والتمست منه أن يدلها على بيت تخدمه، وسوف تجاهد نفسها على فعل ما تؤمر به. ولم تكترث بالأجر، ويكفيها أن تعيش تحت سقف وأن تخالط قوما طيبين. وشعرت زوجة الراهب بالأسى عليها وأخذتها فى خدمتها. وكانت مجتهدة متدبرة. كانت تجلس هادئة وتستمع إلى تلاوة الراهب بصوت عال فى الإنجيل فى كل مساء، حتى أحبها الصغار. ولكنها عندما تسمعهن يتحدثن عن الملابس الثمينة المزركشة، ويتمنين أن يكون فى مثل أبهة الملكة، تهز رأسها.

وفى الأسبوع التالى ذهب الجميع إلى الكنيسة وسألوها عما إذا كانت تريد الذهاب معهم، نظرت إلى عكازيها نظرة بائسة وفاضت عيناها بالدموع. وهكذا ذهب الجمع إلى الكنيسة لسماع كلمة الله بينما جلست هى وحيدة فى غرفتها الفسيحة التى تحتوى على سرير وكرسى فقط.

جلست تقرأ بخشوع وإيمان فى كتاب المواعظ والابتهالات،

فسمعت أنغام الأرغن تصل إلى أسماعها وقد حملها الهواء إلى أسماعها، فرفعت وجهها إلى السماء والدموع تترقرق فى عينيها وهى تقول: «ساعدنى ياربى!» وسطعت الشمس بنور ربها، ووقف أمامها ملاك الرب فى ثيابه البيضاء، وهو الذى رأته ذات ليلة فى باب الكنيسة. ولم يعد يمسك السيف الحاد، بل حمل فى يده غصنا جميلا أخضر حافلا بالورود، لمس به السقف ،فنهضت. وعندما لمسه سطعت نجمه ذهبية. ولمس الجدران فاتسعت، وشاهدت الأرغن الذى كان يصدر الأنغام، كما شاهدت صور الرهبان وزوجاتهم. وكان المحفل جالسا فى المقاعد المزركشة يرتل من كتاب الابتهالات، لأن الكنيسة ذاتها حضرت إل يالمنزل حيث تجلس البنت المسكينة فى غرفتها الصغيرة الضيقة بدلا من أن تذهب هى إلى الكنيسة. وكانت تجلس فى المقاعد مع بقية أسرة الراهب، وعندما فرغوا من ترتيل الابتهالات والمواعظ نظروا إليها وأومأوا برؤوسهم وقالوا: «آن الأوان لكى تأتى يا كارين!»

فقالت: «هذا من فضل ربى!»

وانتفخ الأرغن ورددت جوقة الأطفال أصواتا ناعمة جميلة. وفاضت أشعة الشمس اللامعة من النافذة إلى المقعد الذى تجلس عليه كارين. وامتلأ قلبها بنور الشمس وباليقين والاطمئنان والسعادة. وصعدت روحها فى ضوء الشمس إلى بارئها، ولم يعد أحد يسأل عن الحذاء الأحمر.

قبقاب القدر

مفتتح

اجتمع شمل زمرة فى أحد المنازل القريبة من السوق الجديد فى كوبنهاجن. جلس حوالى نصفهم حول مائدةالقمار، بينما انتظرت البقية نتيجة المباراة، تتحدث مع المضيفة التى تقول: «تعالوا لنر كيف نمتع أنفسنا!»

كان موضوع العصور الوسطى ضمن الموضوعات التى أكد بعض الأشخاص الحاضرين أن فترتها كانت أكثر تشويقا واهتماما من أيامنا هذه.

ودافع عن هذا الرأى بحماس شديد المستشار ناب الذى جذب إليه رأى سيدة المنزل. وحينئذ تغنى الاثنان بحماس لمعارضة دراسة أورستيد وعنوانها «العصور الماضية والعصر الحديث» التى فضل فيها العصرالحديث، بينما أعلن المستشار أن عصرالملك هانز فى أواخر القرن الخامس عشر هى بالقطع أفضل العصور وأسعدها حظا.

ولندع هذه المناقشة ونتوجه إلى حجرة الانتظار حيث توضع المعاطف والعصى والقباقيب. وهنا تجلس سيدتان– إحداهما شابة بينما الأخرى مُسنَّة – ومن النظرة الأولى نتصور أنهما من الخادمات اللاتى حضرن لاصطحاب سيداتهن إلى منازلهن، ولكن النظرة القريبة الفاحصة تبديهن بمظهر النبيلات، فأيديهما وبشرتيهما ناعمة، ومظهرهن ملكى– والحقيقة أنهن جنيات. فصغراهن من المؤكد أنها ليست مدبرة القدر بذاتها، ولكنها خادمة إحدى سيدات غرفة النوم، وسمحت بتوزيع هداياها الصغيرة، بينما الأخرى التى تبدو عابسة، هى العناية– وهى التى تحضر شخصيا لإدارة شئون أعمالها، لأنها بذلك تتأكد من عدم حدوث أى خطأ.

وهما تخطران إحداهما الأخرى بكل ما يحدث طوال النهار.

فمدِّبرة القدر أبلغت عن بعض الأعمال غيرالمهمة، ولكنها احتفظت لنفسها فى اللقاء الأخير بواحدة من الأمور المهمة غير العادية.

قالت: أنا مضطرة إلى أن أبلغك أن هذا هو يوم مولدى، وبهذه المناسبة شرفت بأن مُنحت قبقابا أتشرف بإهدائه إلى بنى آدم. وهذا القبقاب لديه القدرة على أن ينقل على الفور أى امرأ يلبسه إلى المكان الذى يريد، يؤدى رغبته فى الزمان والمكان والظروف التى يبتغيها، بحيث يكون الإنسان الذى يرتديه سعيدا للغاية.

وقالت العناية:«ولا حظى! أنه على العكس من ذلك سوف يكون سيء الحظ، ويحمد الظروف التى تساعده على التخلص منه.»

وقالت مدبرة القدر: «هذا هو رأيك!

إلا أننى سأضعه على الباب، وسرعان ما يلبسه إنسان يصير سعيد الحظ.

ماذا حدث للمستشار

كان الوقت متأخرا، حينما كان المستشار ناب لايزال يعيش فى عصر الملك هانز، وأوشك أن يعود إلى منزله، حين دبر القدر أن يلبس قبقاب القدر بدلا من قبقابه، وأن يتوجه به إلى الشارع الشرقى. ولكن القوة السحرية للقبقاب، تلبية لرغبته، عادت به إلى القرن الخامس عشر، إذ غاصت قدماه فى كتلة من الروث والطين، فالشوارع فى هذه الفترة لم تكن نالت حظها من الرصف بالأحجار.

وقال المستشار: «ما هذه القذارة غير العادية هنا! ياللعجب! فالمر قديم متهالك ، وجميع المصابيح مطفأة!

ولم يكن القمرارتفع فى السماء بعد ليعطى ضوءا كافيا، إلى جانب أن، الطقس كان كثيف الضباب بحيث كانت الأغراض غير واضحة المعالم من حوله.

وكان المصباح الوحيد يضىء صورة العذراء فى أحد أركان الشارع، وكان ضوؤه خافتا، فلم يميزه المستشار إلا بعد أن وقف تحته، ثم وقعت عيناه على الصورة المرسومة.

وفكر: «لابد أن ذلك هو أحد المعارض، ولكنهم نسوا أن يضعوا له العلامات الإرشادية.

ومر بجواره رجلان يرتديان ملابس القرون الوسطى.

وفكر: «ما أغرب منظر هؤلاء القوم! لعلهما قادمان من حفلة تنكرية.

وفجـأة سمع ضوضاء الطبول والقِرب، ولمعت الشعلات بالأضواء، واندهش المستشار عندما رأى هذا الموكب الغريب يمر بجواره. أقبل فى أول الأمر فريق كامل من قارعى الطبول، يدقون طبولهم بمهارة زائدة، ثم تبعهم حراس القصر بأقواسهم وسهامهم. وكان الشخص الرئيسى فى هذا الحشد قسيس فى ملابس القداسة. وسأل المستشار وهو فى غاية الدهشة عن معنى ما يراه أمامه. ومَن يكون هذا القسيس.

وجاءه الجواب: «إنه رئيس أساقفة جزيرة زيلاند الدنماركية.

وقال المستشار:« أى معنى من معانى الوعى العام أصاب رئيس الأساقفة هذا؟» ثم شهق وهزَّ رأسه وقال:«لا يمكن أن يكون هذا هو رئيس الأساقفة.

ومازال يتأمل هذا الموضوع وهو يسير فى الشارع الشرقى وفوق جسر القصر وهو لا يتلفت ذات اليمين أو ذات الشمال. فالجسر الذى يقود إلى ميدان القصر غير موجود، وبدلا منه اقترب من حافة الماء، وأخيرا وصل إلى رجلين جالسين فى أحد الزوارق.

وسأله الرجلان: يشرفنا أن نعبر بك إلى هولم.

فكرر المستشار عبارتهما: «إلى هولم؟» فلم يكن يدرك أنه انتقل إلى الفترة السعيدة التى يعشقها. ثم قال: «أريد أن أذهب إلى كريستيان هافن ومنها إلى شارع السوق الصغيرة.

ونظر الرجلان إليه بدون جواب.

وقال المستشار: «قل لى أولا، أين الجسر؟ ياللعار! فالمصابيح غير

مضاءة،والطريق موحل، ويضطر المرء إلى أن يمشى فى مستنقع.»

وكلماتحدث إلى البحارة زاد ارتباكه.وأخيرا صاح: «أنا لا أميز لهجتكم البورنهولمية!

وثار وأدارلهما ظهره. فالجسر غير موجود، وليس هناك أية أسوار له.

ثم صرخ: «إنها لمهزلة أن يعانى المرء من هذه الأمور!» فلم يعهد به أن شكى من ذلك العصر مثلما فعل فى هذه الليلة. « فمن المفضل أن أستقل مركبة.»

هكذا أصرَّ، ولكن ماذاعن المركبات؟ فهو لا يرى أية مركبة. فقال:«لابد أن أعود إلى السوق الجديد، ففيه الكثير من المركبات، وبدون المركبة لن أجد طريقى إلى كريستيان هافن.»

ولذلك رجع مارا بالشارع الشرقى حتى أوشك أن يقترب من نهايته حتى ظهر القمر فجأة من خلف السحب.

وعندما شاهد البوابة الشرقية التى تقع فى نهاية الشارع الشرقى صاح: «لماذا توضع هذه السقالة؟ ووجد منها مخرجا، ومن خلالها توقع أن يصل إلى السوق الجديد، ولكنه تعجب! إذ رأى واد أخضر فسيحا، تنمو به بضع شجيرات هنا وهناك، وفى وسطه يتدفق نهر أو قناة واسعة، لا يدرك المرء هويتها. وعلى الضفة المقابلة توجد بعض الحظائر المتهالكة يسكنها بعض البحارة الهولنديين، ولهذا الأمر سُمىَّ ذلك المكان بوادى الهولنديين.

وجأر المستشار بإحباط شديد: «إما أن يكون هذا الصباح نكدا،

وإما أن أكون فقدت صوابى.

فكيف تسير الأمور؟ وكيف تسير الأمور؟»

وعاد وهو مقتنع تماما بأنه مريض. وعندما دخل الشارع ثانية أمعن النظر فى الشوارع وأدرك أن معظمها مبنى بالخشب ، وأغلبها مسقوف بالقش.

وشهق وقال:«لا، لابد أننى بحالة سيئة جدا! فما شربت غير زجاجة خمر واحدة، ولكنها تبدو أكثر من واحدة. لقد كانوا من الحماقة بحيث يقدموا لنا الخمر ولحم السمك الساخن! وسوف أتجاسر على إبلاغ السيدة المضيفة بذلك. ولدى ذاكرة واعية لكى أعود الآن وأعرفها كم أشعر بأننى مريض، ولكن لا، إذ يبدو ذلك غيرمعقول، هذا إلى جانب أن السؤال يدور عما إذا لم يكن كل فرد أوى إلى فراشه.

وبحث عن المنزل فلم يجده.

إنه لشىء فظيع! إذ إننى لم أعرف حتى الشارع الشرقى. ياللعجب! لا توجد دكاكين، فلا أرى إلا منازل قديمة كئيبة متهالكة. ياللهول! لابد أننى مريض! ولا فائدة من خداع نفسى.

ولكن أين ذهب منزل الوكيل؟ ومن المؤكد أن هذا المنزل غيره! وعلى أية حال، لا يزال هناك بعض الأشخاص، آه، إننى لمريض حقا! واندفع نحو أحد الأبواب الموروبة ينبعث منه الضوء، فكان حانة من حانات ذلك العهد، حانة لشرب الجعة، ويبدو منظر القاعة مختلفا عن قاعات دوقية هولشتاين ذات الطراز القديم والأرضية الطينية. وفيها

عدد من الناس - البحارة ومواطنى كوبنهاجن وعدد قليل من الطلاب- يتسامرون فى حوار عميق دون أن ينتبهوا للقادم الجديد.

وقال المستشار لسيدةالحانة التى اقتربت منه لتقابله: أصابتنى وعكة مرضية الآن، فهل تتفضلى بطلب مركبة توصلنى إلى كريستيانزهافن؟

فحملقت المرأة وهزت رأسها، ثم خاطبته بالألمانية، فعبر المستشار عن رغبته بالألمانية ، مفترضا أنها لا تفهم الهولندية. هذا إلى جانب ملابسه، مما جعل المرأة تفكر فى أنه أجنبى. شىء واحد من كل هذه الأحداث جعلها تدرك بالتأكيد أنه مريض ولهذا أحضرت له دورقا من الماء، كان طعمه غريبا ولو أنه مستمد فورا من البئر. وأسند المستشار رأسه بيده، وشهق نفسا عميقا وأخرج زفيرا فيه أنين عما يدور حوله من أشياء عجيبة.

وسألها عندما رآها تمسك بقطعة كبيرة من الورق: «هل هذه هى صحيفة المساء؟

ولم تفهم المرأة ماذا يريد، ولكنها أعطته الورقة، التى تبين أنها شريحة خشبية خشنة لم يشهدها الناس منذ عهد بعيد فى مدينة كولونيا وهى تمثل شهابا. وصاح المستشار وقد تأثر كثيرا من رؤية ذلك الأثر القديم: «إنها لقديمة جدا! كيف حصلت على هذه الطبعة النادرة؟ إنها لمهمة بدرجة مشوقة، ولو أن الموضوع خيالى. فهذه الشهب يفسرها الناس الآن على أنها انعكاسات من الأضواء الشمالية، وربما كانت تحدث بفعل الكهرباء.

وكل من جلس بالقرب منه وسمع حديثه نظر إليه بدهشة شديدة، ونهض أحدهم باحترام من مقعده وخلع قبعته وقال بجدية عجيبة:

«لابد يا سيدى أنك رجل متعلم!»

وأجابه المستشار: «كلا، فى الحقيقة! آخذ دورى فى المناقشة فقط عندما تدور حول الموضوعات التى يفهمها كل فرد.»

وقال الرجل:«التواضع سيد الفضائل، وخلاف ذلك أود أن أقول أنا لا أعرف غير ذلك، وعلى أية حال، فأنا أعلّق حكمى.»

واستفسر المستشار: «يسعدنى أن أسأل عمن أتحدث معه؟

فأجاب الرجل: «أنا أستاذ فى الكتاب المقدس.» أقنع هذا الجواب المستشار بأن الاسم يناسب الحديث. وفكر:«لابد أنه ناظر مدرسة ريفية منذ عهد بعيد، وأصله يماثل أولئك الذين التقيهم أحيانا فى شبه الجزيرة الدانماركية (جاتلاند).

واستأنف الرجل الغريب: «إنها لهجة محلية حقا، ولكنى أتوسل إليك ألا تستنكف من الحديث معى. فأنت بلا شك ضليع فى قراءة أعمال القدماء!»

فأجاب المستشار: «آه، نعم! فأنا متيَّم بقراءة كتابات القدماء ذات الفائدة. وأنا أحب كثيرا الكتب الحديثة، ماعدا كتاب «حكايات عن الحياة اليومية» التى أظن أنها تضم حقائق كثيرة. وكرر الأستاذ: «حكايات عن الحياةاليومية!»

فقال المستشار: «نعم، أعنى الروايات الحديثة التى يبدو أن الناس تتحدث عنها كثيرا».

وقال الرجل والابتسامة على شفتيه: «كمثل هذا، من المؤكد أنها تشتمل على قدر كبير من الذكاء، وهى تقرأ فى البلاط الملكى. فالملك بالتحديد يحب رواية السير إيوين والسير جاوين التى تعلم أنها تدور حول الملك آرثر وفرسان المائدة المستديرة، التى كان هو ولورداته الكبار يمرحون بسعادة بالاستماع إليها.»

وقال المستشار: «من الغريب أننى لم أقرأها قط! ولابد أن تكون من أحدث منشورات هايبيرج.»

وقال الرجل: «كلا، لم ينشرها هايبيرج، بل نشرها جودفرى ابن جيهمين.»

وصاح المستشار: «وهل هو المؤلف؟ فهذا اسم قديم جدا! أليس هو أول رجل ينشر كتابا فى الدنمارك؟

وأجاب الرجل: «بلى ، فمن المؤكد أنه أول ناشر». فعسى أن يكون خيرا. بدأ الآن أحد المواطنين المحافظين الشرفاء فى المدينة فى الحديث عن الوباء الشديد الذى ضرب البلاد منذ بضع سنين، يعنى عام ١٤٨٤م.

وظن المستشار أنهم يتحدثون عن الكوليرا التى مرت بسلام. فزمن حرب القرصان (١٤٩٠) كان يقرب من هذا الوقت الذى يلمحون إليه عادة. ويقال إن القرصان الإنجليز اقتنصوا سفنهم من شواطئهم، وقد عايش المستشار أحداث عام ١٨٠١، وشارك الناس قلبا وروحا فى لوم الإنجليز. ولكن بعد ذلك لم يمر الحوار بهدوء، فكل لحظة تمرعليه كانت تتطور إلى تنافر. فكان الأستاذ الفاضل

يبدو جاهلا، بحيث تبدو له أبسط الأمور وأكثرها تأكيدا لدى المستشار إيجابية جدا وخيالية. فنظر كلاهما إلى الآخر نظرة غضب شديد وأخيرا تحدث الأستاذ باللاتينية بغية أن يكون أكثر وضوحا، ولكن ذلك ذهب أدراج الرياح.

وسألت المضيفة المستشار وجذبته من كمه: «كيف حالك الآن؟» وفى حمية المناقشة نسى تماما ماذا حدث، ولكنه الآن عاد إلى صوابه.

فقال وهو يشعر بالدوار فى رأسه: «أين أنا؟»

وصاح أحد الضيوف: «سوف نشرب الخمر الأحمر وبيرة بريمير، وسوف تشرب معنا.»

ودخلت فتاتان، ترتدى إحداهما زنطا مختلط الألوان.

فصبتا الخمر وانحنتا للمجموعة فارتعد المستشار من قمة رأسه إلى أخمص قدمه.

وصاح: «ما كل هذا؟ ما كل هذا؟ واضطر إلى أن يشرب معهم. ودعموا الرجل الطيب تماما، وشعر باليأس، وعندما قال أحدهم أنه مخمور، لم يشك لحظة فى هذه الحقيقة. والتمس منهم أن يحضروا له مركبة، وحينئذ ظنوا أنه يتحدث لغة موسكو. ولم يحدث من قبل أن خالط مثل هذه المجموعة المتدنية المستوى. وفكر: «على المرء أن يظن أن البلاد صارت متخلفة مرة ثانية، فهذه هى أبشع ساعة فى حياتى!» طرأت هذه الفكرة فى رأسه فانحنى ليزحف تحت المائدة فى الحجرة، وقبل أن يصل إلى باب الحجرة، أدرك الآخرون مقصده

فأمسكوا قدمه. ولحسن الحظ أنخلع القبقاب، وتبدد مشهد الرقوةالسحرية تماما.

ورأى المستشار المصباح يلمع أمامه، ومن خلف المصباح يقف منزل كبير. وصار كل شىء مألوفا لديه، وعاد إلى الشارع الشرقى الذى يعرفه. وتمدد على عتبة الباب، يركل بقدميه باب المنزل، وفى مقابله تماما جلس الحارس يغط فى نوم عميق.

وقال: «أظن أنى رقدت هنا أحلم فى الشارع! نعم، هذا هو الشارع الشرقى حقا، بمرحة وأناقته وإضاءته الجيدة! ومن الغريب أن تفعل بى زجاجة واحدة من الخمر كل هذا التأثير.

وبعد ذلك بدقيقتين كان يجلس بارتياح فى مركبة، أحضرته سريعا إلى كريستيانز هافن. وتذكر كل ما واجه من متاعب، وأثنى على الحقيقة السعيدة لزمننا الذى نعيش فيه بكل ما يحمل من عيوب، ووجده أكثر بهجة من الفترة الماضية التى جربها.

مغامرات الحارس

قال الحارس: «هناك قبقاب، لابد أن يكون صاحبه هو الملازم الذى يسكن فى الطابق العلوى، لأنه موضوع أمام الباب».

وكان على الرجل الأمين أن يدق جرس الباب ويعيد القبقاب إلى صاحبه، فلا تزال غرفة نوم الملازم مضاءة، ولكنه كان يخشى أن يوقظ سكانا آخرين فى المنزل.

وقال: «لابد أن هذا القبقاب يريح قدمى ويدفئهما، فهو مصنوع من الجلد الناعم.» ووضع القبقاب فى قدميه وقال: «كيف صار كل

شىء غريبا فى هذا العالم! فالملازم ينبغى الآن أن يكون حسبما يود فى سريره الدافئ، ولكنه لم يفعل ذلك ، فهو يمشى فى غرفته ذهابا وإيابا! وهو رجل سعيد، فليست له أم ولا أطفال يرعاهم، وكل ليلة يذهب إلى الحفلات. آه، ياليتنى كنت مثله، فلسوف أكون سعيدا حقا!»

ولم يكد ينطق بهذه الأمنية حتى تحققت.

فالقبقاب له أثره – فروح الحارس انطبعت على الملازم. إذ وقف فى غرفته يمسك بين أصابعه ورقة صغيرة من أوراق المفكرة الوردية اللون، كتبت عليها قصيدة– كتبها الملازم الموهوب.

وتلك هى القصيدة:

ليتنى كنت ثريا! قلتها إذ كنت طفلا لاهيا
قلتها عن كل شىء بين أتراب قساه
ليتنى كنت ثريا.. ضابطا يزهو كثيرا
بشهر السيف ويمضى.. شامخا قد تبهج الريشة رأسه!
ويمر الوقت حتى.. قد منحت من الأمانى واحدة
صرت فعلا ضابطا.. لكننى عانيت فقرا طول عمرى
يا إلهى أنت تعلم حالتى.. أنت لم تتخلَّ عنى لحظة!

ذات أمسية جلست وروحى انتعشت كثيرا
حيث جاءت طفلة وتعلقت بمحبتى
مشتاقة أن تسمع القصص التى دبجّتها

ولدى منها وفرة لم أحصها
وبرغم هذا زارنى الفقر اللعين
هذه الطفلة كانت تبتغى منى حكاية
تبتغى الحب الذى يأتى بغيض المعرفة!
واعدتنى بالحضور ولم تفارقنى كثيرا!
أنتتعلم يا إلهى ماتكنُّ.. فكن لها نعم الحفيظ!

ليتنى كنت ثريا.. أرفع الكفين أضرع بالصلاة إلى السماء
أن تصير الطفلة الصغرى شبابا ناضرا
فهى صافيةالسريرة تتمتع باللطافة والحنان
فإذا ما قدَّست أسرار قلبى اليائسة
ظللتُ أرمق عينها فى كل حين بارتياح
لا، فإن الفقر يمنعنى.. لهذا سوف أبقى صامتا
هكذا شاء إلهى .. حكمه دوما صواب
ليتنى كنت ثريا فى اصطبارى مثل حبى
لاستجابت دعوتى من فوقنا.. من ذى السماء،
يا حبيبى، فلتبادلنى المحبة بالمحبة
إن أبياتى الهزيلة علمتنى فى شبابى كل تاريخى الحزين
إننى أرفض ذلك.. فالحقيقة أمرها لم يتضح
حيث أنى مدقع الفقر.. وفى مستقبلى دنيا الظلام
فلتباركها إله الطيبين.. ولتهيئها لصحبة أصدقاء مخلصين

وشعر الملازم ببؤسه الشديد، فأسند رأسه إلى إطار النافذة وشهق شهيقا عميقا.

وقال: «الحارس المسكين الذى يقف فى الشارع أسعد منى بكثير. فهو لا يعرف ماذا أتمنى، إذ إن له بيتا وزوجة وأطفالا يحزنون لحزنه ويفرحون لفرحه. آه، كم أكون سعيدا إذا استبدلت مصيرى بمصيره، وأمضى فى الحياة وليس لدى طموحات أكثر من طموحاته! نعم، إنه قطعا أسعد منى.»

وفى هذه اللحظة عاد الحارس إلى حالته الأولى حارسا. فالقبقاب استبدل روحه بروح الملازم، ولكنه هناك كما رأينا شعر بأنه أقل اقتناعا، وفضل العودة إلى الحياة التى احتقرها منذ بضع دقائق.

ولهذا عاد الحارس ليصبح كما كان حارسا.

وقال: «ياله من حلم سخيف، ولكنه كان تهريجا حقا. فكرت أن أكون ملازما، ولكننى لم أكن مرتاحا، تمنيت أن أرى أمى العجوزة وأطفالى الذين يغمروننى بالقبلات.

وجلس ساكنا يفكر فى حلمه، فلم يكن تبدد من ذاكرته. ولا يزال القبقاب ثابتا فى قدميه.

وفجأة سقط نجم من السماء.

فقال: «لقد ذهب النجم! وكم نجمة توجد فى السماء! أريد من كل قلبى أن أرى هذه الأجرام السماوية اللامعة عن كثب، وخاصة القمر».

والآن، ياليتنى أقفز قفزة صغيرة إلى القمر، ولا يهمنى إذا تركت

جسدى راقدا خلفى هنا على هذا الدرج.

هناك أفكار وأمانى معينة يجب أن نحذر النطق بها، ولابد أن يكون حريصا من يكون قبقاب القدر فى قدميه. انظر الآن ماذا حدث للحارس.

فى بحر بضع ثوان قطع الحارس مسافة مائتين وأربعين ألف ميل حتى وصل إلى القمر الذى يعرف كل الناس عنه أنه يتكون من مواد أدق من نظيرتهاعلى الأرض، وأن ما نعتبره ضوءا ما هو إلا جليد تساقط عليه. ووجد نفسه واقفا فوق أحد الجبال الكثيرة التى يمكن أن نراها على خريطة الدكتورمادلر الضخمة للقمر، وبداخله ما يمكن وصفه بأنه قِدر عمقه نصف ميل. وتقع عند سفح الجبل مدينة، يوحى مظهرها بفكرة وضع بياض بيضة فى كوب من الماء، لأن المادة التى تتكون منها المدينة رخوة مثل بياض البيضة، وتوجد بالمدينة أبراج وقباب وشرفات كلها شفافة تحوم ذهابا وإيابا فى الغلاف الجوى الرقيق الواضح.

وتبدو أرضنا فوقه أشبه شىء بالكرة الكبيرة الحمراء الداكنة.

ورأى عددا من المخلوقات حوله، من المؤكد أنهم ما نطلق عليهم العنصر البشرى، ولكنهم يختلفون عنا اختلافا كبيرا، ويبدو أنهم من جنس آخر، ويحتاجون إلى خيال أرحب من خيال الفلكيين الذين يتصورون شيئا مثلهم. ولهم لغة خاصة بهم.. أفترض أن روح الحارس لا تستطيع فهمها- إلا أنه استطاع أن يفهمها، لأن أرواحنا لها قدرات أفضل مما نتوقع.

وهكذا أدركت روح الحارس تماما لغة سكان القمر. وهم يتناقشون حول أرضنا، ويشكون فيما لوكانت مسكونة أم غيرمسكونة. ويظنون أن الهواء أشد كثافة على الأرض بحيث لا يستطيع ساكن القمر أن يستنشقه، ويرى معظمهم أن القمر هو الوحيد المسكون بين كل الأجرام السماوية.

وعلى أية حال، لن نستمع إلى ما قيل، ولكن من الأفضل أن نعيد أنفسنا إلى الشارع الشرقى لنرى ماذا حدث لجسم الحارس.

رقد على الدرج فاقدا الحياة، وسقطت من يده «نجمة الصباح»، ذلك النبوُّت المسلح ببروزات حديدية، وعيناه مثبتتان تحملقان إلى أعلى.. إلى القمر. لقد مات الحارس! وأحدث هذا الحدث صدمة عنيفة فى نفوس زملائه.

وتناقل الجميع الخبر، وقالوا عنه الكثير، فإذا بزغ النهارحملوا جسمه إلى المستشفى، حيث من الطبيعى أن يخلعوا القبقاب من قدميه فى أول الأمر. ولابد أن تعود إليه الروح الآن، التى طارت إلى الجسم مباشرة، وفى بضع ثوان عادت الحياة إلى الرجل، الذى أعلن أن هذه هى أبشع ليلة فى حياته، ولن يضحى بمثل هذا الشعور مرة أخرى من أجل قطعتين من العملة الذهبية. وعلى أية حال، مضى كل شىء الآن.

وفى نفس اليوم غادر المستشفى، وخلف وراءه القبقاب.

لحظة حرجة- قراءات مسرحية ذات مساء- رحلة غير عادية

يفصل هذا المستشفى عن الشارع سور حديدى بارتفاع مناسب، تقف القضبان التى يتكون منها متباعدة عن بعضها البعض، حتى

يقال إن بعض الطلاب النحفاء كانوا أحيانا يتسللون من بينها ويقضون زيارات متكررة تبهج نفوسهم مع أصدقاء لهم فى المدينة وكانت الرأس هى الجزء الأصعب من الجسم فى المروق بين القضبان، وبالتالى، ففى هذه الحالة مثل غيرها كانت أصغر الرؤوس هى أقدرهاعلى المرور بارتياح.

ويكفى هذا القدر من التقديم.

وحدث أن أحد الشبان كانت رأسه كبيرة فيزيائيا، أوكلت إليه المراقبة فى ذلك المساء.

وهطل المطر فى زخات كثيفة، ولكن رغم هذين العائقين- الطقس وحجم الرأس- لابد أن يخرج لقضاء ربع ساعة فقط. وظن أن الأمر لا يقتضى أن يزعج بواب المستشفى بهذا الطلب التافه، إذا كان يستطيع أن ينزلق بين القضبان الحديدية فى السور، وبينما هو يتأمل الموضوع تعثر فى قبقاب القدر الذى تركه الحارس وراءه. ولم تكن له سابقة خبرة بهذا القبقاب، وكان واضحا أنه يلبى النداءات فى مثل هذا الطقس، ولهذا لبسه.

وكان السؤال الوحيد فى ذهنه هو عما إذا كان يستطيع أن يحشر نفسه خلال القضبان أم لا، إذ إنه لم يجرب ذلك من قبل.

وقال:«كم أتمنى أن أدخل رأسى خلالها!» ولم يكد ينتهى من قوله حتى تم له ما أراد، فقد مكنته قوة القبقاب من أن ينزلق برأسه بسهولة فى هذا السور ذى القضبان الغليظة ولكن جسمه يجب أن يمر كذلك.

وقال:« آه، إننى غليظ جدا، وإنى ظننت أن الصعوبة تكمن فى الرأس فقط، ولكننى لن أمر!»

حاول أن يسحب رأسه ثانية دون جدوى. فهو يستطيع أن يحرك رقبته للأمام وللخلف بسهولة، وهذا هو كل ما يستطيع فعله. لقد وضعه القبقاب فى أشد المواقف بأسا، ولسوء حظه أنه لم يدر بخلده أن يطلب تحرير نفسه، وبدلا من الرغبة صار يناضل، وبالتالى لم يتحرك عن مكانه قيد أنملة.

وهطل المطر غزيرا، ولم ير أى فرد يسير فى الشارع.

ولم يدرك بيديه جرس الباب. فكيف يستطيع أن يحررنفسه؟ فعليه أن ينتظر حتى الصباح، حتى يرسل أحدا إلى الحداد ليبعد القضبان عن بعضها البعض، وهذا العمل لا يأتى وليد اللحظة، وفى ذات الوقت يأتى تلاميذ المدرسة الكبيرة بعد انصرافهم، ويسارع كل سكان حى نيبودار ليستمتعوا بمشاهدته وهو فى أزمة هذه المصيدة. فأية ملهاة سوف تحل به!

وقال:«آه، الدم يندفع إلى رأسى! وسوف يقودنى هذا إلى الجنون! وأنا الآن نصف مجنون! آه، يا ليتنى أتحرر من هذه الورطة!

وهذا ما كان ينبغى عليه أن يطلبه من قبل. فما كاد ينطق بهذه الأمنية حتى تحققت ، وتحرر رأسه.

فاندفع مضطربا إلى المنزل بسبب الخوف الذى أحدثه له قبقاب القدر.

ولكن يجب ألا نفترض أن مغامراته انتهت. كلا، بل سيحدث ما هو أسوأ.

مر الليل بهدوء ، وكذلك النهار الذى أعقبه. وفى الوقت ذاته، لا يزال القبقاب فى قدميه، فلم يخلعه. ففى المساء كانت قراءة مسرحية تدور فى المسرح الصغير فى شارع كانايك. وكان المسرح مزدحما، ومن بين الفقرات كانت قراءة لقصيدة ألفها هـ. ك.آ نديرسين وعنوانها «نظارة عمتى» وكان موضوعها كما يلى:

كانت عمة الشاعر ساحرة مشعوذة ذات مهارات غير عادية فى قراءة الطالع، وفى العصر الطيب القديم، كان من المؤكد أن تنال شرف الإعدام حرقا. وكانت تبدى أنها تعرف مقدما الظروف والتغيرات فى هذا العالم المتغير، ولو أنها لم يحن الوقت «لأفول شمسها»، فإن «معارفها السرية» العجيبة جعلت «الأحداث القادمة تلقى بظلالها مسبقا.»

واشتهى كل امرئ أن يعرف سرها دون جدوى، فهى لن تكشفه وأخيرا، توسل إليها ابن أخيها الصغير المحبوب بإلحاح أن تسره إليه وتأمنه عليه، هو وحده، واستسلمت السيدة الطيبة، وأبدت على وجهها ملامح الأهمية القدسية، فخلعت نظارتها وقدمتها إليه، معلنة أن القوة العجيبة للنظرة الثانية تركزت فيها، وفيها وحدها. وقالت:

«جربها بنفسك يا ولدى، وبدا عليه عدم القدرة على التصديق. اذهب إلى أى مكان يتجمع فيه الناس، واتخذ لنفسك موقعا تطل منه على كل الحشد، وضع النظارة على عينيك، وبهذا يصبح كل الناس

الذين تنظر إليهم أمام عينيك مثل مجموعة أوراق اللعب مبسوطة أمامك على منضدة، وسوف تنكشف أمامك كل أفكارهم وأمنياتهم السرية، وسوف تتمكن بالإضافة إلى ذلك وبدون صعوبة من التنبؤ بمصائرهم ومستقبلهم.»

ولم ينتظر الشاب لحظة حتى شكر السيدة الفاضلة على أريحيتها، وسارع إلى الخروج واختبار معرفته الجديدة. وتذكر أن المسرح سوف تكون فيه قراءة مسرحية فى كل ليلة. وليس هناك أكثر مناسبة من خشبة المسرح التى تمكنه من الإطلال على الحشد الكبير بسهولة، وبناء على ذلك، ذهب إلى هناك. وقدم نفسه للمشاهدين ووضع النظارة على عينيه وصرح بأنه يستطيع أن يقص الطالع لكل من فى الحشد. وبدأ الآن بالتعبير عن دهشته للمشهد العجيب الذى انفتح أمامه.

وعرض تفاصيل سرية عن ملكة الورق ذات القلوب، إذ أعلن إن عيونها السوداء المثيرة مثبتة بقلق على الولد ذى الألماس، الذى أراد أن يذكر عالما يتجه بأنظاره نحوه. كما ذكر بعدئذ:« إن الولد ذا العصى هو أغنى رجل فى هذ الحشد، ولو أنه لسوء الحظ»، وهنا توقف عن الحديث، وكأنه لا ينوى أن يكشف أسرارا عائلية، وأطول الناس عمرا، وحظ الأمة فى المستقبل. والنجاح الذى ينتظر الممثلين فى المسرح. ولا يزال يتجنب إعطاء معلومات مباشرة، استبطانية، معلنا عن نفسه أنه مرتبك. وكان مصرا على ألا يجرح شعور المشاهدين بحديثه، ويخشى ألا يصدقوا قدراته الجامحة. وهكذا

استطاع باحترام عميق أن يتركهم لاستنتاجاتهم قبل أن يودع الحفل.

كانت القصيدة ركيكة، ولكن حسن إلقائها جعل الجمهور يصفق لها كثيرا. وكان من بين الحاضرين صديقنا القادم من المستشفى الذى يبدو أنه نسى تماما مغامرته فى المساء الماضى.

وكان قبقاب القدر لا يزال فى قدميه، نظرا إلى أنه لم يطلبه أحد، وكانت الشوارع موحلة، ولكنه ظن أنه يفضل السير به.

أعجبة كثيرا الجزء الأول من القصيدة، ولو أن انتباهه سرعان ما تشتت، فلا زالت الفكرة عالقة بذهنه وتصور أنه يجب أن يحصل على النظارة بنفسه. ففكر: ربما مكنت لابسها من النظر مباشرة إلى قلوب الناس، وسوف يكون ذلك أكثر تشويقا من معرفة الطالع فى المستقبل.

ولنفرض أنها قلوب الصف الأول من الرجال والنساء الجالسين على المقاعد الأمامية– فهل أستطيع أن أنفذ إلى دخائلهم، ياله من وحى وإلهام، وسوف ينفتح أمامى نوع من محلات التجارة. آه، كيف تفتش أعينى فى كل ركن! أتمنى حقا أن أخطو هذه الخطوة وأتنقل كالفكرة المبهجة من قلب إلى قلب!

وكانت هذه الكلمات الأخيرة كافية لأن توقظ القوة الكامنة فى القبقاب وبدأ الرجل على الفور يتراجع، وبدأ رحلته غير العادية، لأنه بدأ يتنقل داخل قلوب المشاهدين فى الصف الأول، وكان أول قلب يدخله هو قلب سيدة، وفى لحظة تصور أنه فى مستشفى للمعاقين

فرأى فى الغرفةأطرافا مصبوبة معلقة على الحوائط ملصقة بالأشرطة الطبية اللاصقة. وكان هناك خلاف ذلك المعهد قوالب مسبوكةتؤخذ كلما دخله مرضى، لأن الأطراف الأصلية قد استنفدت. وهى فى الحقيقة قوالب مسبوكة لأصدقاء حميمين مميزين، كانت تشوهاتهم فى الجسم أو فى العقل محفوظة جيدا.

وفجأة مر من قلب هذه السيدة إلى قلب سيدة أخرى، ظهر كأنه كنيسة فاخرة مقدسة، ترقد الحمامة البيضاء على بيضها ببراءة فوق المحراب، فكاد أن يركع لها خشوعا، ولكنه اضطر إلى الخروج ليدخل القلب التالى. ومازال يسمع نغمات الأورج العميقة، ويبدو أنه صار رجلا آخر أفضل من ذى قبل، غير جدير على الإطلاق بأن يدخل المعبد المجاور. وهنا تكشفت له رؤية غرفة عليا تهجع فيها أم مريضة، وكانت هذه الغرفة تبدو فقيرة بائسة، ولكنها دافئة تتدفق فيها أشعة الشمس من النافذة المفتوحة، تزهر فيها الورود الجميلة فى صندوق خشبى وضع على السقف، وهناك طائران أزرقا اللون بمثل زرقة السماء، يغردان فوق الأغصان أغنية جميلة بمرح وسلام وحب، بينما الأم المريضة تبتهل بالدعاء لابنتها.

وزحف الآن على يديه ورجليه فى محل جزار مزدحم بالعملاء، كله لحم فى لحم ولا شىء غير اللحم من حوله. وكان هذا هو قلب أحد الرجال الأثرياء الموقرين.

وبعد ذلك دخل القلب الأخير لزوجة أحد الأشخاص. كان ذلك برج حمام قديم متهايل، استخدمت فيه صورة نصفية للزوج لتمثل

ديك الطقس، ويبدو أنه مرتبط بالباب بطريقة ما، يتحرك تلقائيا عندما يتحرك الرجل فيفتح أو يقفل وفقا لذلك.

ومن هنا انزلق إلى مقصورة تكونت من المرايا، مثل الغرفةالمعروضة فى قصر روزينبورج هذه المرايا ذات قوة تكبير لدرجة لا يصدقها العقل. وفى الوسط جلس على الأرضية شخص يشبه دالاى لاما التبت، وهى نفس الشخص المتواضعة، تبدو مشغولة تماما بالتأمل فى عظمته المذهلة، وبعد هذا اعتقد أنه انتقل إلى صندوق للإبر مملوء بالإبر المدببة بشدة. وفكر «من المؤكد أن ذلك هو قلب إحدى العانسات»! لكن كلا، بل كان قلب ضابط صغير يقال إنه كان شديد الذكاء والرقة.

وزحف الشاب السيء الحظ من القلب الأخير إلى صف مرتبك تماما.

فشهق وقال: «ياللهول! هل أصبحت مجنونا؟ أشعر بالحر الشديد الذى لا يطاق، والدم يندفع إلى رأسى! وفجأة تذكر الحدث الفردى فى المساء السابق، كيف ظلت رأسه محصورة بين القضبان فى سور المستشفى وقال: «هذا هو! لابد أن أذهب إليها قبل فوات الآوان. فربما كان الحمَّام الروسى جاهزا، فكم أشتاق إلى التمدد فوق الرف العلوى!

وبناء على هذا، وجد نفسه راقدا فى أعلى رف من رفوف الحمَّام البخارى، رقد هناك وهو يرتدى كل ملابسه وجواربه وقبقابه وكل شىء، وتساقطت على وجهه قطرات من الماء جاءته من السقف.

فصرخ: آه!» ونهض مندهشا. وصرخ مدير الحمَّام كذلك عندما

رأى رجلا يقف بملابسه كاملة فى الحمام. وكان بطلنا لا يزال محتفظا بقدر من الحضور الذهنى ليهمس شارحا: «فعلت هذا لكسب الرهان!» ولكن كان أول شىء يفعله عندما وصل إلى المنزل هو أن يضع على صدره رباطا ضاغطا كبيرا، وآخر على ظهره حتى يمتصا ما به من جنون.

وفى المساء التالى كان ظهره مضرجا بالدماء، وذلك هو كل ما جناه من قبقاب القدر.

تحولات أمين الشرطة

نحن لا ننسى طوال هذا الوقت الحارس، ولم ينس هو كذلك القبقاب الذى وجده فى الشارع.

فقد حضر إلى المستشفى وأحضره معه، ولكن لا يملكه أحد حتى الملازم ولا غيره من سكان الشارع، ولهذا وصل القبقاب أخيرا إلى قسم الشرطة.

وقال أحد أمناء الشرطة: إنه يشبه قبقابى تماما، ولا يمكن أن يميزهما عن بعضهما سوى صانع الأحذية الذى يعرف الفرق بينهما.

وقال أحد الرجال الذى دخل القسم ومعه أوراق: يا سيادة الأمين! واستدار الأمين ليلبى للسائل طلبه. وعندما قضى الرجل مسألته نظر الأمين ثانية إلى القبقاب، ولم يعمل ذهنه عما إذا كان قبقابه موضوعا عن يمينه أم على يساره.

وفكر: لابد أن قبقابى هو هذا المندى!.

ولسوء حظه كان هو قبقاب القدر .ولبس القبقاب ووضع الأوراق

فى جيبه، كما وضع لفافة من عدة أوراق مخطوطة تحت إبطه لينسخها فى بيته. وفى يوم الأحد، كان الطقس جميلا، ففكر: إن النزهة فى فريدريكسبيرج تبدو ممتعة.

وسار على قدميه بعض الوقت دون أن يلوى على شىء، ودون أن يجد القبقاب فرصة ليعرض قدراته السحرية.

وتقابل فى أحد المرات مع أحد الشعراء من معارفه الذى أبلغه أنه ذاهب إلى نزهة صيفية قصيرة فى اليوم التالى.

فقال أمين الشرطة: ماذا؟ نزهة عشوائية ثانية؟ يالك من رجل سعيد، لك مطلق الحرية أن تذهب أينما تريد، أما نحن عامة الناس فمكتوب علينا أن نلبس طوقا فى أعناقنا.

فأجاب الشاعر: لكن الطوق يوثق فى شجرة جميلة! يجب ألا تضيق هما بغدك، فعندما تكبر وتحال إلى التقاعد يصرف لك المعاش.

فقال أمين الشرطة: «لكل هذا فمصيرك أسعد. فمن المتعة أن تجلس تحت ظل شجرة طوال النهار تكتب الشعر، ثم تجد تقريظا لما كتبت من العالم أجمع. هذا إلى جانب أنك سيد لنفسك. آه، ياليتك تحاول مرة أن تعانى من الوقت الذى تمضيه فى قسم الشرطة!

وهز الشاعر رأسه وهز أمين الشرطة رأسه مثله، والتزم كل برأيه ثم تفرقا.

وقال الأمين: «ما أعجب شأن أولئك الشعراء! أود كثيرا أن أفهمهم ، وأن أصبح شاعرا، وأنا واثق من أننى لن أكتب مثل

جئيرهم وأنينهم والترهات التى يكتبها بعضهم ما أجمل يوم الربيع هذا! يا له من يوم يناسب الشعراء! فالهواء نقى بشكل غير عادى، والسحب جميلة المنظر، والرائحة العطرة تعبق من شذا الأشجار والأزهار! لم أشعر منذ عدة سنوات بمثل ما أشعر به من متعة الآن.

ومن الفقرة الأخيرة من حديثه يبدو أنه صار شاعرا.

وقال: «هذا العبير المبهج يذكرنى بأقحوان عمتى ماجدالين! آه، كان ذلك عندما كنت ولدا صغيرا. ياله من وقت طويل مر منذ أن فكرت فى عمتى الطيبة العجوزة! اعتادت أن تعيش خلف مركز الاتصالات. فإذا أقبل الشتاء بقسوته وجدتها دائما تحتفظ بغصن وبعض الفسائل الخضراء فى الماء.

ما أجمل ذلك الأقحوان! واعتدت أن أضع عملة معدنية ساخنة على زجاج النافذة المتجمد لأصنع ثقبا أطل من خلاله على المنظر الجميل! وكانت السفن واقفة ساكنة فى القناة وسط الماء المتجمد وقد هجرها جميع بحارتها، ولا يحرسها إلا غراب ينعق بضوضاء مفزعة. وعندما تأتى نسمات الربيع المنعشة تدب الحياة من جديد، ويتفتت الجليد بالأغانى والسعادة، وتجهِّز السفن بالحبال وبكرات الرفع وتبحر إلى البلاد الأجنبية. وكنت دائما أبقى خلفها ، ولابد أن أكون من خلفها، أجلس فى مكتبى أنظر فى أمور القادمين بجوازات سفرهم ابتغاء السفر إلى الخارج! وهذا هو عملى! يا للهول! ثم شهق، وبعدئذ سأل نفسه: ياللعجب، ماذا يضايقنى! لم أفكر أو أشعر بمثل هذا من قبل، ولابد أن يكون ذلك بفعل هواء الربيع

المنعش، الذى يمنحنى ألما بقدر ما يمنحنى السعادة! وتحسس أوراقه فى جيبه، وقال: سوف تجعلنى هذه أفكر فى شىء آخر وجال ببصره على أول ورقة ثم قرأ بصوت مرتفع: «السيدة سيجبريث، مسرحية مأساوية من خمسة فصول، ماهذا؟ ياللعجب! إنها مكتوبة بخطى، فهل كتبت أنا هذه المأساة؟ المؤامرة فى تحصينات فودفيل. كيف جاءت كل هذه الأوراق إلى جيبى؟ لابد أن يكون دفعها أحد الأشخاص فى جيبى. وهذا هو خطاب! أتى إلى من مدير أحد المسارح. وكلا المؤلفين اللذين قرأت عنوانهما رُفض، وقد عبر المدير عن رأيه بعبارات مهذبة. «وقال الأمين: هيه! هيه! ثم جلس على أريكة، وقد بدت أفكاره نيِّرة ، وروحه قابلة للتعديل. وبدون تفكير قطف إحدى الزهور القريبة منه، فكانت أقحوانة صغيرة عادية، ولكن أى بستانى يستطيع أن يبلغنا فى عدة محاضرات مطولة عما تشرحه هذه الزهيرة البسيطة فى دقيقة واحدة.

فهى تحكى أسطورة مولدها تخبرنا بقدرة الشمس الساطعة التى نشرت أوراقها الرقيقة وبثت منها الشذا العطر، فاستحضرت أفكار البشر المناضلين التى بدورها أيقظت المشاعر النائمة فى الإنسان.

وقف أحد الصبية على بعد بضعة خطوات وقذف بعصاه فى حفرة، فطرطش الماء على الأغصان الخضراء التى تتراقص من فوقه، وفكر أمين الشرطة فى أن ملايين الحشرات لابد أن تكون انطلقت عاليا فى قطرات الماء، وأن تطورا مخيفا مثل هذا لابد أن يحدث لنا فجأة عندما يُقذف بنا عاليا فى منطقة السحب وتبِّسم

الأمـين وهو يتلـهى بمثل هـذه الفكرة، وشـعر بأنـه حرك فى نفسه مثل هذه الأوهـام بتأمله لهذا التغيير العظيم فقال« أنا أعرف، أننى مجرد حالم، ولكن ما أعجب ما أحلم به ، ولكن علىّ أن أدرك أننى أحلم! ولكننى أتـأمل فيما كنت أتذكر هذا الحلم غدا عندما استيقظ فـأنا أسعد حالا عما كنت عليه من قبل، ويبدو أننى فى كامل اليقظة، ولدى إدراك كامل بكل شىء، ولكننى واثق من أننى لو تمكنت من السيطرة على أفكارى الحالية ومشاعرى فى الغد، فسوف تبدو لى جميعها هراء باطلا. فكل الأفكار الذكية والأشياء الجميلة التى يظنها المرء ويسمعها فى أحلامه ما هى إلا مجرد ذهب فى عالم الجن، وثراء وقيمة فى الليل، فإذا طلع عليها النهار صارت لا شىء سوى أحجار صلدة وأوراق نبات ذابلة. ياللهول!» وشهق بعمق حزين، ونظر إلى الطيور الصغيرة المغردة السعيدة وهى تقفز من غصن إلى غصن، وقال: «إنها أسعد حالا من حالى. فهى تستطيع الطيران، وهو فن رفيع! ما أسعد من ولد ليحلقِّ فى الجو! آه، نعم، ليتنى أتحول إلى شىء آخر، وأن أكون مثل هذا الطائر الصغير!» وفى اللحظة نفسها تحولت أكمامه وأغطية جيوبه إلى أجنحة، وتحولت ملابسه إلى ريش، وتحول القبقاب إلى مخالب، وعلم بالتحوّل، فضحك فى نفسه وقال: « حسنا، أنا الآن متأكد من أننى أحلم، ولكننى من المؤكد أننى لم أحلم بشىء أكثر سخرية من هذا مسبقا!.

طار وحط على الأغصان الخضراء وغنى، دون أن يكون فى الأغنية شعر، لأن موهبة الشعر ولت أدبارها. فالقبقاب يحقق أمنية

واحدة فى وقت واحد. وتمنى أمين الشرطة أن يصبح شاعرا، وبناء على ذلك صار شاعرا، ثم تمنى أن يصير طائرا صغيرا، فصار طائرا صغيرا، بينما لم يعد شاعرا بعد.

وقال : «كفانى إعجابا بهذا، فطوال النهار أجلس فى مكتبى أمارس عملى، وطوال الليل أستطيع أن أحلم بالطيران على هيئة قنبرة فى حدائق فريدريكمسبيرج. فما أجمل هذه الملهاة!

ثم هبط من الغصن ، وأدار رأسه فى جميع الاتجاهات، ونقر بمنقاره أوراق الحشائش الرقيقة، التى تقارن بالنسبة لحجمه الحالى بجريد النحل العالى فى شمالى أفريقيا.

حدث ذلك لحظيًّا وفجأة بدا كأنه محاط بالظلام، فقد أُلقى فوقه شىء ضخم كثيف كانت قبعة كبيرة لتلميذ فى المدرسة، مرت يد الولد تحته فأمسكت أمين الشرطة من ظهره وأجنحته.

وصاح عند أول نبضة فاجأته قائلا: أيها النذل الصغير الوقح! أنا أمين شرطة فى قسم الشرطة!

ولكن ذلك بدا فى أسماع الولد كأنه زقزقة بيبى! وضرب الطائر على منقاره وانصرف.

وسرعان ما تقابل الولد مع تلميذين أفضل منه، أشتريا منه الطائر بأربعة بنسات وهكذا عاد أمين الشرطة إلى كوبنهاجن.

وقال الأمين: «من أفضل الأمور أننى أحلم، وإلا لغضبت! ففى أول الأمر كنت شاعرا، وأنا الآن طائر! وأفترض أن الطبيعة الشعرية هى التى حولتنى إلى طائر صغير لا قيمة له! إنها لحالة بؤس كافية،

وخاصة إذا وقع المرء فى أيدى الأطفال. وأعجب عما سيحدث لى بعدئذ؟

أحضره الولدان إلى شقة أنيقة الأثاث، حيث قابلتهما أمرأة قوية البناء فكهة المظهر، فرحت على أية حال بإحضارهما هذا العصفور الذى يرتاد الحقول العادية كما كانت تسميه.

وعلى أية حال اعتذرت عما قالت، وأراد الولدان أن يضعا عصفورهما الصغير كالسجين فى قفص فارغ معلق بجوار النافذة وقالت السيدة: «ربما أعجب به ببغاؤنا الجميل بول. وابتسمت برقة إلى ببغاء كبير أخضر وهو يؤرجح نفسه فى قفصه الفاخر: «هذا هو يوم مولد بول ولهذا فطائر الحقل الصغير يجب أن يأتى ويهنئه. ولم يجب بول بأية كلمة، بل ظل يؤرجح نفسه إلى الأمام وإلى الخلف وهو فى غاية الزهو والخيلاء، بينما بدأ العصفور الكنارى الصغير الذى أتى فى الصيف الماضى من موطنه فى البلاد الدافئة العطرية يغرد أنشودة الترحيب بصوت عال.

قالت السيدة، وقد ألقت على قفصه بمنديل: «أهدأ أيها الكائن المزعج!

ووضع أمين الشرطة الذى أسمته السيدة عصفور الحقل فى قفص صغير ملاصق لقفص عصفور الكنارى وليس بعيدا عن قفص الببغاء. والجملة الوحيدة التى يعرفها بول هى: «تعال، دعنا نصبح بشرا! وهو ينطقها أحيانا بصوت مضحك وكل ما يقوله أو يصرخ به عدا هذه العبارة غير مفهوم مثل صياح عصفور الكنارى، إلا أن

أمين الشرطة الذى تحول الآن إلى طائر، استطاع أن يفهم زميليه الاثنين. وغنى عصفور الكنارى: ذات يوم كنت حرا طليقا أطير حول النخيل الأخضر وأشجار الورد المزهرة أطير مع إخوتى وأخواتى فوق الزهور الجميلة والبحيرة الصافية كالمرآة التى تحفها الشجيرات العطرية بوفرة. وهناك أيضا ببغاوات ذات ريش فاخر، اعتادت أن تقص علينا حكايات طريفة كثيرة وطويلة! وقال الببغاء كانت هناك طيور برية غير متعلمة تعال دعنا نصبح بشرا! لماذا لا تضحك؟ فإذا كانت السيدة وكل الغرباء الذين حضروا يضحكون فمن المؤكد أنك تستطيع أن تفعل مثلهم كذلك.

وإذا لم يكن فى استطاعتك أن تستمتع بطرفة جيدة فإن هذا يدل على أن بك عيبا فى إدراكك. تعال، دعنا نصبح بشرا!

آه، ألا تذكر أولئك الفتيات الجميلات اللاتى رقصن فى ظل الخيام الواسعة الانتشار، والأشجار العالية الكثيرة الأزهار؟ ألا تذكر الفواكه اللذيذة التى تحملها والرحيق البارد الطازج فى الأعشاب البرية التى تنمو تحت أقدامهن بثراء؟

وقال الببغاء: «آه، نعم، ولكننى أنعم هنا براحة أوفر. فأنا أتناول طعاما شهيا، وأُعامل باعتبار شديد. وأعرف أننى زميل ماهر، وهذا يكفينى فخرا. دعنا نصبح بشرا! فلديك حقا ما يقال له الروح الشعرية، ولكننى اكتسبت مهارات جليلة وكثيرا من الذكاء والفطنة.

وأنت عبقرى ولست فطنا، ولهذا فأنت دائما تطلق أنغاما برية نفاذة، ولهذا يدعونك دائما إلى السكوت ولا يفترض أحد أن يغطى

قفصى، لأن ثمنى فى الحقيقة يفوق ثمنك كثيرا، هذا إلى جانب أننى أستطيع الدفاع عن نفسى بمنقارى، وأسب من يؤذينى بذكائى. تعال، دعنا نصبح بشرا!.

وتغنى عصفور الكنارى: «آه، يا حبيبى، يا وطنى الحبيب! أنا دائما أتغنى بأشجارك الداكنة الأوراق، وخلجانك الآمنة، حيث تقبل أغصانك المتدلية مياهك الراقصة، وأنا دائما أتغنى بحركات إخوتى وأخواتى ذوات الألوان اللامعة وهى تلعب وتغرد بين أشجار الصبار الفاخرة!

وقال الببغاء: أرجوك أن يهجر هذه النغمة الحزينة! وقل ما يضحكنا. فالضحك أغلى علامات الذكاء. هل تظن أن الكلب أو الحصان يضحك؟ كلا، بل يصيحان، فالناس فقط هم الذين يضحكون».

وصاح بول: «هأ! هأ! هأ! وأنهى حديثه بالعبارة الذكية الوحيدة التى يعرفها «تعال، دعنا نصبح بشرا!

وقال عصفور الكنارى: «يا أيها الطائر الدنماركى الرمادى الصغير، أنت سجين كذلك. ربما كان الطقس باردا فى موطنك فى الغابة، ولكن هناك على الأقل تنال حريتك. آه، اخرج وطر! فقد نسوا أن يغلقوا باب قفصك، والنافذة مفتوحة، فلتهرب!»

وقفز أمين الشرطة خارجا من القفص بغريزته الطبيعية وفى الوقت ذاته سمع الباب المروب يصر صريرا، وتسللت القطة إلى الحجرة بعيونها الخضراء اللامعة. وخفق عصفور الكنارى بأجنحته

فى القفص، ورفرف الببغاء بجناحيه وصاح: «تعال، دعنا نصبح بشرا!» وفزع أمين الشرطة كما يفزع البشر وطارخارجا من النافذة. وبعد برهة قصيرة طار فوق المنازل والشوارع، ولكنه أخيرا شعر برغبة فى الراحة. وكان المنزل المقابل له يبدو مألوفا لديه. وكانت إحدى نوافذه مفتوحة، فدخل فى غرفته، وحط على المائدة.

وبدون وعى منه كرر عبارة الببغاء الذكية: تعال، دعنا نصبح بشرا» وفى اللحظة التالية تحول الطائر إلى أمين الشرطة الذى يجلس باطمئنان إلى مائدته.

آخر وأفضل منحة يهبها القبقاب

فى الصباح الباكر من اليوم التالى، بينما كان أمين الشرطة لا يزال نائما فى سريره، سمع طرقا بالباب، تبين أنه جاره، الطالب الشاب فى علم اللاهوت والقداسة الذى يسكن فى الدور ذاته ودخل.

وقال لأمين الشرطة: « أعرنى قبقابك، فالحديقة موحلة رطبة ، على الرغم من أن الشمس ساطعة بشدة فسوف أخرج لأدخن.

وسحب القبقاب، وهو الآن يسير فى الحديقة كانت الساعة السادسة تماما حين دوى بوق ساعى البريد.

وصاح:« آه، إلى السفر! إلى السفر! تلك هى السعادة الغامرة التى يمنحها لى العالم! وتلك هى أسمى وأهم طموحاتى! وهكذا سوف تستقر آمالى الجامحة. فسوف أشاهد سويسرا المجيدة، وأزور إيطاليا، وسوف...

ومن حظه وحظنا أن يلبى القبقاب نداءه بدون تأخير، وما عليه

إلا أن يتجول، ولا يدرى أحد أين يتجول.

وسافر. وبينما هو فى سويسرا دس نفسه مع ثمانية ركاب آخرين فى مركبة عامة. وشعر بألم فى رأسه، وأشد منه فى ظهره، وتورمت قدماه بأسى نظرا لضيق حذائه وطول مدة بقاء قدميه فيه.

وكان فى حالة ما بين النوم واليقظة وفى جيبه الأيمن توجد خطابات ائتمان، وفى جيبه الأيسر يوجد جواز سفره، وفى كيس جلدى صغير مخاط فى صدريته من الداخل توجد بضع عملات ذهبية فرنسية.

وكل حلم ينبئ بفقد واحد أو أكثر من هذه الثروات ولهذا فقد كان دائم التفتيش بصبر نافد، إذ تتحرك يده على شكل مثلث، من الجيب الأيمن إلى الجيب الأيسر ومنه إلى صدره ليتحسس الجميع ويطمئن على سلامته.

وتتدلى الشماسى والعصى والقبعات من سقف المركبة وتهتز فوق رأسه وتمنعه من الاستمتاع بالمناظر المحيطة به.

وبدأ الجليد يهطل والريح تعصف بالبرد.

وشهق وقال: «آه، ياليتنا نكون فى الجانب الآخر من جبال الألب، حيث يكون الموسم صيفا وأستطيع أن أحصل على مقابل لخطابات الضمان الائتمانى نقدا. فقلقى على ما لدى من مال يمنعنى من الاستمتاع بسويسرا. آه لو كنت فى الجانب الآخر من جبال الألب!.

وفورا وصل إلى الجانب الآخر مسافرا إلى إيطاليا ما بين فلورنسا وروما. وأمامه وسط الجبال الزرقاء الداكنة تقع بحيرة

ترازيمين تبدو كأنها ذهب يضوى حيث تعكس سحب المساء الفاتنة وهنا أشجار العنب تضفِّر جدائلها اللامعة بالنباتات المتسلقة، بينما يرى الأطفال أنصاف العرايا قطيعا من الخنازير السوداء الفاحمة التى تحتشد تحت مجموعة من أشجار الغار ذات الرائحة العطرة التى تنمو على جنبات الطريق.

فإذا استطعنا أن نرسم هذه اللوحة، لكان من العدالة أن يصبح كل من يراها بانشراح قائلا: ما أجمل إيطاليا! ولكن طالب القداسة الإلهية ورفقته المسافرة لم تعلق على ذلك بشىء.

وحلقت حولهم أسراب من البعوض بالآلاف.

ولم تُجد ضربات المسافرين المساكين على البعوض شيئا بأغصان الريحان فلم يلقوا اهتماما كبيرا بذلك، بل على العكس ، زاد لدغ البعوض لهم. ولم يكن بين المسافرين شخص فى المركبة لم يتورم وجهه أو يتشوه من لدغات البعوض أما الخيول المسكينة فقد استقرت عليها أسراب البعوض، حتى إذا نهض السائق من مقعده ليطاردها، عادت ثانية فى لحظة أخرى.

وغربت الشمس فسرت رعدة برد فى كل الريف، وكأنه يتنفس هواء باردا رطبا من لحد بعد يوم ممتع بدفء الصيف. وأوحت السحب والجبال المحيطة بأن اللون الأخضر العجيب الذى يُرى أحيانا فى اللوحات القديمة بالعين التى لم تعتد الأسفار وكأنه شىء غريب، ولكنه كان حقا منظرا جميلا. ولكن الأمعاء خاوية والأجسام منهكة وكل ما يتمنى القلب تركز على مأوى مريح فى تلك الليلة فهو

نعمة يندر أن يتوقعها المسافر.

كان طريقهم يؤدى إلى غابة من أشجار الزيتون، مثلما كان طريقهم إلى وطنهم يلتف بهم خلال غوطة من أشجار الصفصاف المعوجة وهنا يوجد فندق منعزل، يعسكر أمامه بعض الشحاذين المقعدين، بعضهم أعمى وبعضهم كسيح بأطراف متهرئة،وبعضهم يعرض أذرعا متقلصة وأيد بدون أصابع. وهنا يوجد البؤس والشقاء حقا. وكانوا يموءون:

أنا بائس يا سيدى! وقابلت المضيفة الضيوف الجدد بثياب رثة وأقدام حافية وشعر منكوش وقد قفل الباب بخيط من خيوط التغليف، وتتكون الأرضية من قرميد مصفوف نصفه مكسور، وتلهو به الخفافيش ذهابا وجيئة تحت السقف المنخفض، أما عن الرائحة!..

وفتحت النوافذ لتسمح بدخول الهواء النقى، عندما نهض الشحاذ ذو الأذرع المتهالكة، وسُمع وهو يردد نداءه الخالد: « أنا بائس يا سيدى!»

وأحضر العشاء حضر الحساء أولا عبارة عن ماء متبل بالفلفل والزيت الزنخ ولعب الزيت الزنخ كذلك دورا كبيرا فى السلطة، وكان الطبق الرئيسى هو البيض الفاسد مقليا بطريقة عُرف الديك وهو أشهى ما قُدم وحتى الخمر كان مذاقه مشبعًا برائحة المطبخ، وكانت مزيجا حقا.

صُفَّت صناديق المسافرين بجوار الباب، وكان يحرسها واحد من المجموعة عندما ينام الآخرون وأسندت مهمة الحراسة إلى طالب

القداسة الإلهية.

آه، ما أضيق هذه الغرفة! فالجرارة فيها صعبة الاحتمال، والبعوض يطن ويلدغ بلا رحمة، والبؤساء يجأرون ويئنون فى الخارج حتى وهم يحلمون.

وشهق الطالب: «نعم يصبح السفر متعة إذا لم يكن للمرء بدن! أو إذا استراح الجسد بينما تحوم الروح بحرية وارتياح بدون قيود! وأينما ذهبت فأنا لا أزال أعذب بشهوات لا تحصى، تستهلك روحى تماما. وأنا أشتاق إلى شىء أفضل مما أنا فيه، شىء يمكن احتماله، نعم، شىء جيد، ولكن أين أجده وماذا هو؟ ولكننى أعرف جيدا ما هو الشىء الذى أتمناه:

إنها السعادة، السعادة الكاملة الأبدية!

ولم يكد ينطق بهذه العبارة حتى عاد ثانية إلى بيته. تتدلى الستائر البيضاء الطويلة أمام النوافذ ، وفى وسط أرضية الحجرة يوجد نعش أسود. وهنا يرقد نائما باطمئنان نومة الموت.

تحققت أمنيته فقد ارتاح جسده بينما راحت روحه تتجول حرة بدون إعاقة من الجسد الأرضى.

وكان فى الغرفة شبحان يتحركان: هما سفيرة القدر وحورية العناية. كانا يميلان على الرجل الميت.

قالت حورية العناية: هل ترى الآن أية سعادة جلبها القبقاب للبشرية؟

وأجابت السعادة: من المؤكد أنه وهب نعمة حقيقية لمن يرقد هنا،

إذا لم تكن لغيره.

وأكملت العناية: «كلا، بل إن فراقه كان من محض اختياره، ولم ينتظر نداءه. فعيون الروح لم تتفتح بعد لتعرف الثروات المخبوءة التى ينطوى عليها هذا العالم، إذ إنه لم ينجز مهمته التى كتبت له وسوف أهبه حسنة حقيقية. ثم خلعت من قدميه القبقاب.

وفى الحال انتهت رقدة الموت، ونهض الرجل الميت متجدد الحياة والعافية. واختفت حورية العناية، واختفى معها القبقاب ومما لا شك فيه أنها رأت أن القبقاب ثبت أنه من أدواتها الصحيحة.

تعريف بالمؤلف

*** هانز كريستيان أندرسن (١٨٠٥-١٨٧٥)**

ولد فى ٢ أبريل ١٨٠٥ فى مدينة أودنيسا بالدنمارك.

كان أبوه صانع أحذية ومات وولده فى الحادية عشرة.

رحل إلى كوبنهاجن ليحترف الغناء أو الرقص أو التمثيل، ونجح فى الالتحاق بالمسرح الملكى.

بدأ يكتب مسرحيات ولكن المسرح الملكى رفضها.

التحق بجامعة كوبنهاجن وأتم تعليمه بها.

نشر فى جريدة كوبنهاجن أول قصيدة له: «طفل يصارع الموت» فى ١٨٢٧، ثم نشر بعدها عدة قصائد ومسرحيات وروايات.

وفى ١٨٣١ زار ألمانيا والسويد وإسبانيا وإيطاليا والبرتغال والشرق الأوسط. واستضافه تشارلز ديكنز فى منزله لمدة أسبوعين.

ذاع صيته بعد نشر حكايات الجن fairy tales فى ١٨٣٥ وحتى ١٨٧٢.

ومات دون أن يتزوج فى ١٨٧٥، رغم أنه أحب ثلاث فتيات لم يبادلنه الحب.

تعريف بالمترجم

*** د. توفيق على منصور**

الميلاد : ٩ مارس ١٩٣١ بجزيرة الحجر - منوفية

العمل : لواء ركن متقاعد - أستاذ جامعى متفرغ - مترجم - شاعر

المؤهل : ماجستير فى العلوم العسكرية (١٩٦٥)

ماجستير فى الشئون الفنية - برنو (١٩٥٨)

ماجستير فى الأدب الإنجليزى - جامعة القاهرة (١٩٨٤)

دكتوراه فى الأدب الإنجليزى - جامعة القاهرة (١٩٩٣)

التأليف والترجمة : أكثر من ٦٠ كتابا فى موضوعات الهندسة والجيولوجيا والجغرافيا والإدارة والأدب، منها خمسة كتب باللغة الإنجليزية ومسرحيتين شعرا إنجليزيا - وترجمة جميع قصائد وسونتيات شيكسبير ومارلو شعرا فى البحر المتقارب.

الزيارات الأجنبية : تشيكوسلوفاكيا - سويسرا - ألمانيا - فرنسا - إيطاليا- تركيا - اليمن - المملكة العربية السعودية - قطاع غزة.

المؤتمرات الدولية : الجنادرية بالرياض ١٩٩٦ - الأمن الدولى ٢١ بالرياض ١٩٨٣ - الطبى الدولى ٨ بالرياض ١٩٨٥ -

الملتقى الدولى الثالث للترجمة - القاهرة ٢٠٠٦ - الأدباء والكتاب العرب - العريش ٢٠٠٧ .

دور النشر : الأمن العام - الفرزدق بالرياض - مركز الأهرام للترجمة والنشر - دار المعارف - الهيئة المصرية العامة للكتاب - الهيئة العامة لقصور الثقافة - المجلس الأعلى للثقافة - مكتبة الانجلو المصرية - مكتبة الآداب - دار الكتاب اللبنانى - المركز القومى للترجمة .

المحتوى

للنشر فى السلسلة :

* يتقدم الكاتب بنسختين من الكتاب على أن يكون مكتوباً على الكمبيوتر أو الآلة الكاتبة أو بخط واضح مقروء. ويفضل أن يرفق معه أسطوانة (C.D) أو ديسك مسجلاً عليه العمل إن أمكن.
* يقدم الكاتب أو المحقق أو المترجم سيرة ذاتية مختصرة تضم بياناته الشخصية وأعماله المطبوعة .
* السلسلة غير ملزمة برد النسخ المقدمة إليها سواء طُبع الكتاب أم لم يطبع .

صدر مؤخراً فى سلسلة

آفاق عالمية

82- أنا ، أورهان والى
تأليف : أورهان والى
ترجمة : عبد المقصود عبد الكريم
83- هذا البيت لا تدخله الجرائد (وقصص أخرى)
ترجمة : رحاب الصفصافي أحمد
أ. د / الصفصافي أحمد القطوري
84- عليك بالصبر على البنفسج(وقصائد أخرى)
مسعود أحمدي
ترجمة و تقديم : يوسف عبد الفتاح
نسرين شكيبي
85- من العيون فى العيون
تأليف : يوسف هروبى
ترجمة : يوسف ليمود
86- القميـــص
تأليف : لاورو أولمو
ترجمة وتقديم : د.طلعت شاهين
87- أبناء الشمس الخامسة
ترجمة وتقديم : فاطمة ناعوت
تصدير : د.ماهر شفيق فريد